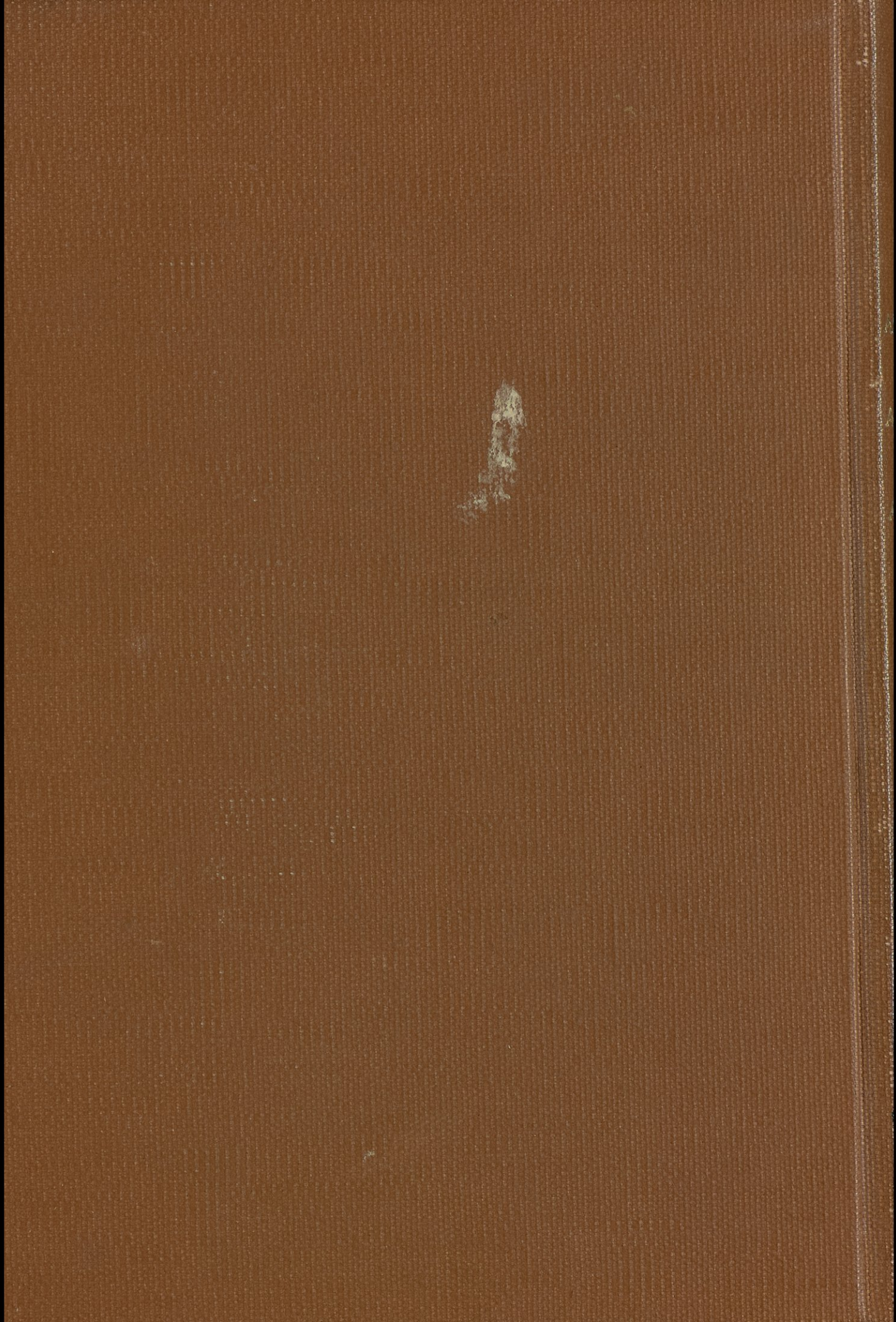
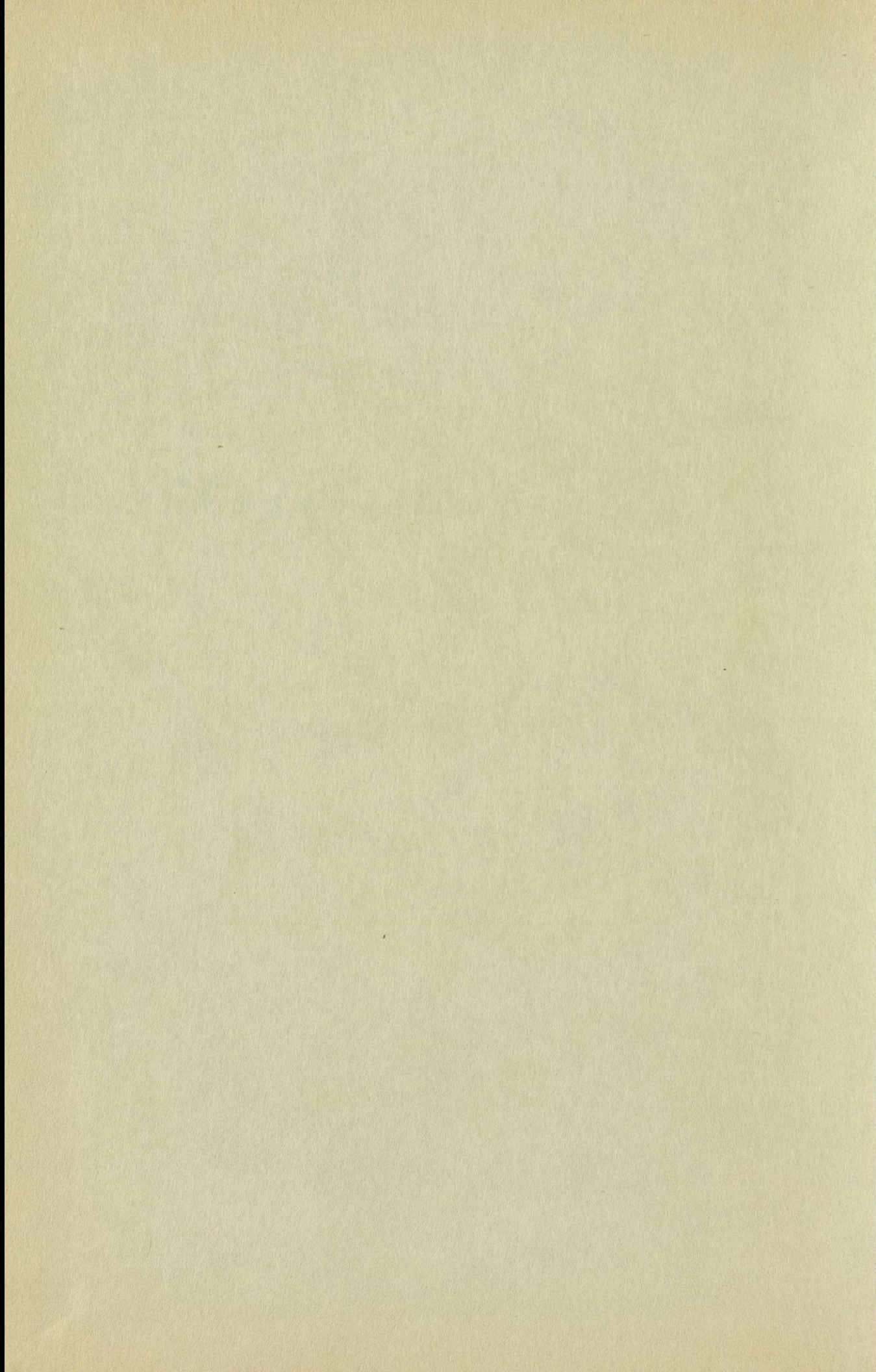


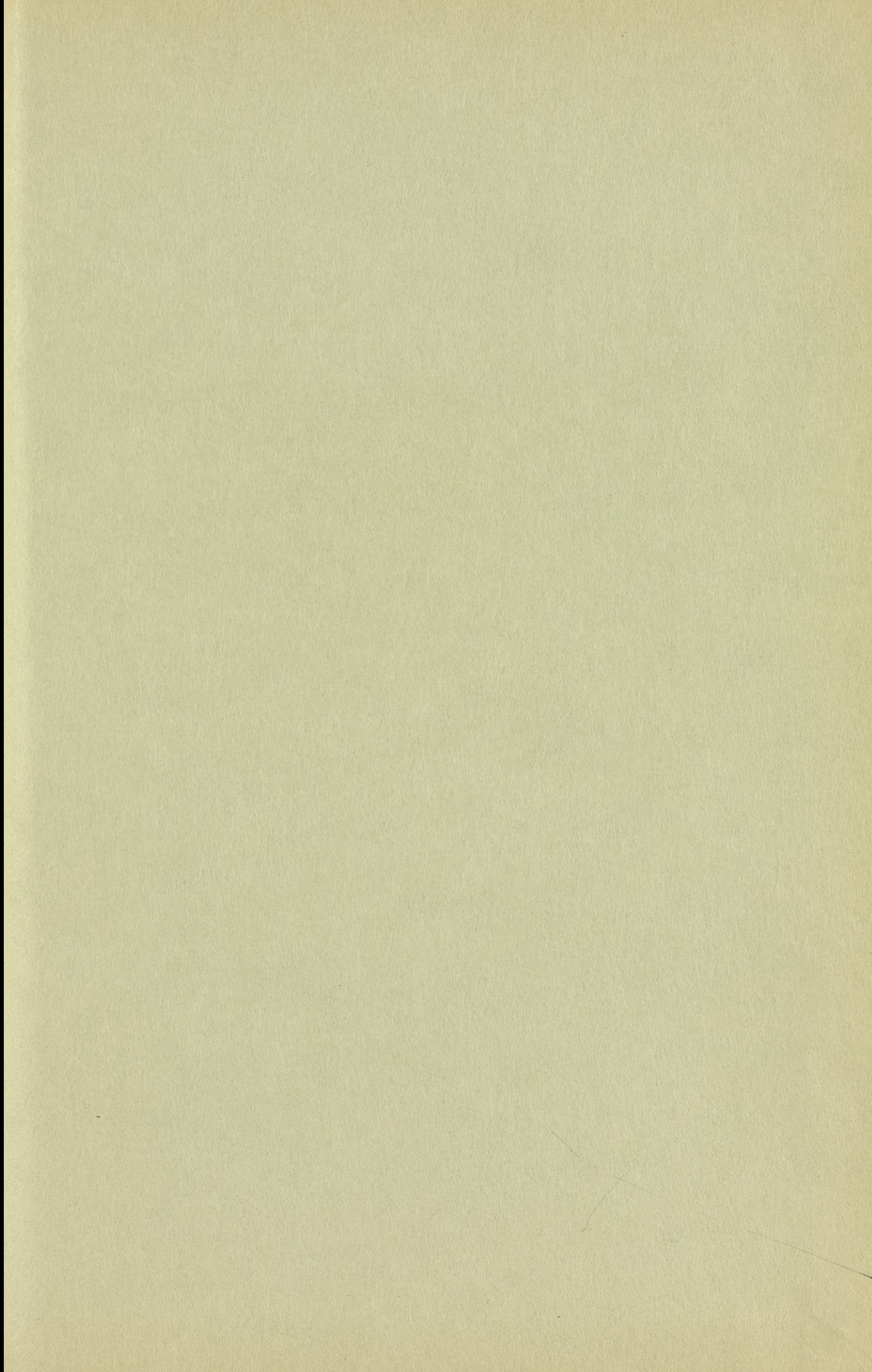


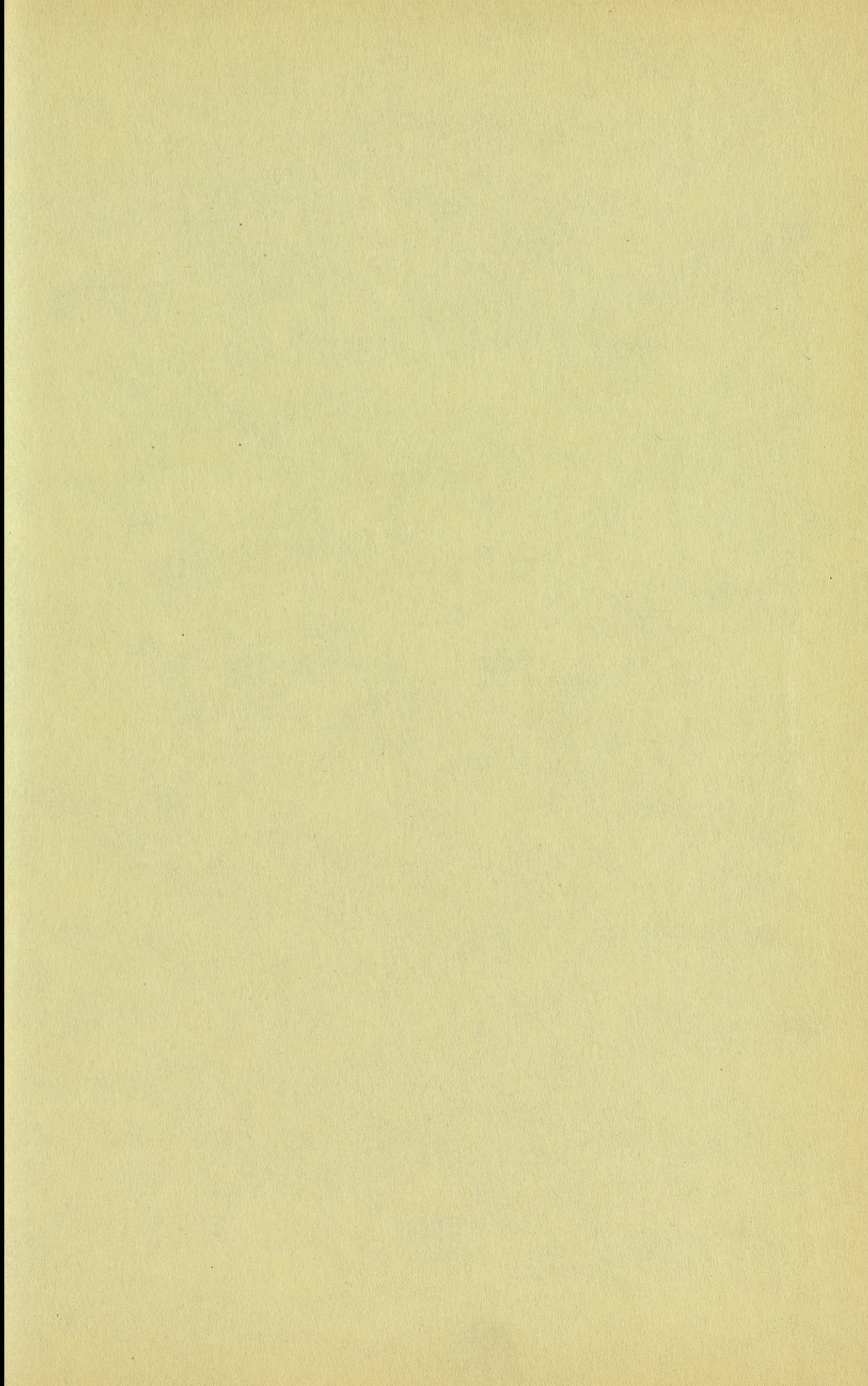
Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES









الصاحب بن عباد

سريع

حياته وادبه

تأليف

الشيخ محمد حسن آل ياسين

مكتبة الصاحب بن عباد

893.75a19

DA

« جميع الحقوق محفوظة لدار المعارف »

3789G

الطبعة الاولى

مطبعة المعارف - بغداد

١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

تصدير

العلامة الشيخ محمد رضا الشيباني

873.1

AL 97

593.1 Sec 19

DA

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

27.87 C

ظهرت حتى الآن بحوث غير قليلة عن الصاحب أبي القاسم اسماعيل
ابن عباد - رحمه الله - ، وهذه البحوث لجمهرة من الباحثين والمؤرخين
والادباء متقدمين ومحدثين ، غير ان جميع ما كتب عن الصاحب حتى
هذه الأيام الأخيرة يعوزه الإحاطة والاستيعاب ، الى أن جاءت نوبة
الاستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين - وهو ممن شغفهم أدب الصاحب
وفضله وطريقته ومنهجه حباً - فعمد الى هذه الخلطة فسدّها بهذه الدراسة
القيّمة على وجه حالفه التوفيق فيها ، فهي دراسة وافية جامعة تناول
فيها الاستاذ المؤلف - حرسه الله - نواحي انفرادها مما يتعلق بابن عباد
ورجع فيها الى عشرات من المآخذ والمراجع التاريخية وغيرها ، ولم
يكتف بذلك بل ناقش ما ناقش مما جاء في تلك المراجع حتى خاص الى
رأي اختاره ورجّحه - شأن الباحث المنقّب - كما تجد ذلك ظاهراً في
أكثر فصول الكتاب ، ومن ذلك فصول عقدها للبحث في سيرة الوزير
العالم المترجم له قبل استيزاره وبعد ذلك ، واخرى خصّصها بالبحث عن
نسبه وبلده ، وثالثة عن شيوخه وأساتذته وأصحابه ، وعن علومه
وفنونه وأخلاقه وملكاته .

وخلاصة القول ما أكثر الطرائف والفوائد في هذا السفر الممتع ،
ومن ذلك تلك المناقشة الحصيفة لبعض آراء أبي حيان التوحيدي في

رسالته المعروفة عن « مثالب الوزيرين » ، وهي مناقشة خاص المؤلف
منها الى أن الشيخ أبا حيان كان منظوياً على حسيكة من الحسد لابن
عباد ، هذا ويطول بنا نفس القول اذا أردنا التوسع في التنويه بمميزات
هذه الدراسة ، وإني لأرجو أن يحذو حذو الاستاذ المؤلف وأن يترسم
خطاه في البحث سائر المنتمين الى الحوزة العلمية وأن يربأوا بأنفسهم عن
خطئة الجلود ، وإليه تعالى أبتهل أن يحالفه التوفيق سواء أكان ذلك في
التأليف أم في نشر « نفائس المخطوطات » خصوصاً ديوان الصاحب
المترجم له الذي ظفر المؤلف - فيما علمنا - ببعض نسخه وعني بدراستها
ثم أضاف إليها ما عثر عليه من شعره في شتى الكتب والأسفار ، الى
غير ذلك من رسائله فان الصاحب تفوق في الصناعتين وجود في المنظوم
والمنثور ، ولا يخفى ان الشيخ الفاضل أطرف المكتبة العربية حتى الآن
بتحقيق طائفة من الرسائل والمخطوطات النادرة ونشرها ، وبذل في
هذه الناحية جهداً يستحق المصداق البالغ والتشجيع .

هذا وإنه ليسرني - في الختام - تقديم هذا الكتاب الى المعنيين
بدراسة الموضوعات الأدبية والتاريخية ، ولا يخالجنني أدنى شك في
الاقبال عليه وتقدير جهد المؤلف فيه من قبل محافلنا الأدبية
أحسن تقدير .

محمد رضا الشيباني

جمادى الآخرة ١٣٧٦

١٩٥٧/١/٢٣

الْمَقْدِمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى

- ١ -

ترجع معرفتي بابن عباد الى سنين خلت : يوم صممتُ على إصدار المجموعة الاولى من « نفائس المخطوطات » وتضمينها رسالتين له في بعض المباحث الكلامية والتاريخية ، وكان من واجبي في تقديم الرسالتين أن أعرف مؤلفهما وأشير الى موجز من ترجمته ، فرجعت الى المصادر الكبرى لهذا الغرض وقرأت سائر ما ضمنته هذه المصادر من أحاديث وتفاصيل تتعلق بالصاحب ، فاذا بها تداني على شخصية تاريخية كبيرة كان لها يد بارزة وشأن جليل في عالم العلم والأدب ، والوزارة والإدارة ، والدين والدولة ، في القرن الرابع الهجري .

ورجعت الى مؤلفات القدامى والمحدثين فاحصاً عن كتاب مستقل يعنى بترجمة هذا الرجل الكبير فلم أجد سوى رسالة للسيد أبي القاسم القوباني ألفها عام (١٢٥٩ هـ) ورسالة اخرى للاستاذ المعاصر خليل

مردم ، وكلا الرسالتين - باختصارهما وإيجازهما وتقائدهما للسابقين في آرائهم وجمعها شتات الأقوال المدونة من دون تمحيص - لا تعطيان الصورة الكافية المطلوبة لهذا الوزير الأديب .

وأخذت - آنثذ - ما كان يحتاجه التقديم من ترجمة الصاحب عازماً على العودة ثانية الى الموضوع شرحاً وتمحيصاً وبحناً وتحليلاً ، آملاً أن يتيسر لي تعريف هذا الرجل الملائم العربي تعريفاً قريباً الى الواقع - بالمقدار المستطاع .

- ٢ -

وعدت الى صاحبي - مرة اخرى - قبل عام ، فبدأت بتصوير سائر كتبه ورسائله المخطوطة المبتوثة في خزائن الكتب في العالم ، ثم درستها بامعان لاأخذ منها المصدر الأول لبحثي المفصل ، وعرجت - بعد الانتهاء منها - على المصادر القديمة والحديثة استقرؤها الواقع وأتساءل منها عن الحقيقة ، فرأيت فيها من الخلط والخلط ، ومن أمالي الحب الأعمى والحقد المتطامن ، ومن تأثيرات الميول والنزعات الدينية والسياسية والأدبية المختلفة ، ما مسح الحقائق وشوه الوقائع وضيع الباب الفض بين أكوام مكدسة من القشور والحواشي والتعليقات .

رأيت الثعالي - مثلاً - وقد ارتفع بالصاحب الى حد المبالغة الصارخة ، فنسب له ما يشبه العصمة في كل أفعاله ، وما يشبه الإعجاز

في كل أقواله ، وأحله من الرتب والمنازل ما تقصر عنه رتب الملوك
ومنازل الخلفاء فضلاً عن الامراء والوزراء .

ورأيت أبا حيان التوحيدي - مثلاً - وقد أهوى بالصاحب الى
الخصيضة ، فنسب له سخف التفكير وركعة التعبير وسلطنة اللسان وقلة
العقل وسوء السليقة وضحولة المعلومات ، والى آخر ما شاكل ذلك
من مفردات قاموس الشتم والسباب .

وكان لكل من الثعالي وأبي حيان - بعدهما - من يحتج بأقوالهما
ويعتبرها الحق والحق وحده ، كما كان بين هاتين الدرجتين من الافراط
والتفريط درجات كثيرة من الآراء المتضاربة والأقوال المختلفة ، لم
تسجل بشكلٍ حر محايد إلا فيما شذ وندر .

- ٣ -

وكانت أهم محاولاتي في بحثي هذا أن أكون حراً محايداً بمقدار
ما أستطيع ، فلم أغرف - مع المادحين - من بحرهم ، ولم أركض - مع
الحاقدين - في ميدانهم ، بل رحلت أؤيد هذا تارة وأؤيد ذاك ثانية ،
وأخالفهما - كليهما - مرة أخرى ، رغبة في استجلاء الحقائق وكشف
النواميس ، وحباً في بيان الواقع التاريخي بعيداً عن النزعات والأهواء
والخضوع للماطفة .

لقد وقفت عند كثير من الروايات والفروض موقف المشكك
المتردد ، فلم أعبأ بالجلبة اللفظية وقوائم السند وأسماء المروي عنهم ،

ولم أكرث بجمال التعبير وتأنق السجع وبلاغة البيان ، وكان أبو حيان التوحيدي على رأس قائمة هؤلاء الرواة المحدثين المكثرين ، فقد وقفت لديه طويلاً وتأملت كلامه ملياً ، ورأيت كيف يهتم نفسه من طرف خفي فيقول : « اني رجل مظلوم من جهته ، وعانٍ عليه في معاملتي ، وشديد الغيظ لحرمانني ، وإن وصفته أريدتُ منتصفاً ، وانتصفتُ منه مسرفاً ، فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب أو عارياً منهما جملة ، كان الوصف أصدق ، والصدق به أخلق » (١).

ثم رأيت يطلب من الوزير ابن سعدان كتمان الرسالة التي كتبها في « مثالب الصاحب وابن العميد » خوفاً من الصاحب وبطشه لأن « جانبه مهيب ولمـكره ديب » .

وعجبت جداً من خوف أبي حيان من الصاحب وهو بعيد عنه كل البعد ، وفي كنف دولة أخرى وحكم آخر ، وتحت حكم الوزير ابن سعدان وزير البلاط النافذ الكلمة في بغداد ، فما سبب هذا الكتمان ؟ ولم هذا الخوف ؟ وهل يرشدنا ذلك الى اشتغال الرسالة على كثير من الوضع والكذب والتلفيق عن السنة بعض الأحياء الذين يخشى تكذيبهم لما نسب اليهم ؟.

ووقفت مرة أخرى لدى روايات بعض المؤرخين في تعيين مذهبه ، حيث رأيتها خاضعة للعاطفة كل الخضوع ، بل كان لهذا البعض في تأويل

(١) الامتاع والمؤانسة : ١/٥٣-٥٤ .

كلمات الصاحب وحملها على تعيين ما لم يُرد وعلى النحو الذي لم يُقصد ،
تمحل وتمسف وتكاف لا يلتئم مع روح البحث العلمي الصريح .

وهكذا كان منهجي في البحث هو الرجوع أولاً الى كلمات ابن عباد
نفسه وتصريحاته ، ثم الى تحقيق النصوص الاخرى والأخذ بالراجح
منها بلا تأويل أو تفسير أو تحميل لألفاظها ما لا تطيق .

ثم كان من منهجي أيضاً مخالفة عشاق الدراسات المنهجية في شأن
النصوص التاريخية والأدبية ، حيث دأب اولئك على نقل تلك
النصوص بالمعنى والفحوى ، ليمس القارئ مقدار بلاغتهم في التعبير ،
وتمسكنهم من البيان ، وجمال تنميقهم لتلك النصوص .

أما أنا فلست من الزاهبين هذا المذهب ، بل جعلت كل همي أن
أنقل النصوص بحذافيرها - فيما يحتاج الى الاستشهاد بالنص - ، ثم
التعليق عليها بما يرجح لدي من تأييد أو تردد أو دحض ، وكل غرضي
من ذلك أن اشرك القارئ معي في الاطلاع على الروايات التاريخية
المتضاربة ، فلمله يصل - بعد اطلاعه - الى نتائج اخرى تتميز بالدقة
والرجحان ، وإن خالفني فيها أو لم يرجح ما أذهب اليه .

أقول هذا ، ولا أقصد منه الطعن في أساليب المحدثين في البحث ،
فلهم رأيهم في ذلك ، ولأسلوبهم خصائصه وميزاته للمعرفة ، ولكنني
وددت أن أشرح للقارئ رأئي في الموضوع ، مع الاحتفاظ باحترام
سائر وجهات النظر الاخرى في ذلك .

ويسرني أن اسجل في هذه المقدمة ان هذا الكتاب هو الأول في سلسلة « مكتبة الصاحب بن عباد » التي أرجو أن يوفقني الله تعالى فيها فأنشر سائر آثار الصاحب المخطوطة على التوالي ، وسيكون « ديوان الصاحب » هو الكتاب الثاني من هذه السلسلة ، وتتلوه كتبه الأخرى كـ « الاقتناع في المرض وتخريج القوافي » و « كتاب الفرق بين الضاد والظاء » و « كتاب شرح المنظومة الفريدة » و « كتاب الروزنامة » .
كما أرجو أن اوفق الى إعادة نشر بعض مؤلفات الصاحب المطبوعة بتحقيق أكثر وتدقيق أوفر ، بعد أن عثرت على نسخ خطية منها تدل على وقوع بعض الأخطاء في المطبوع ، ومنها : « كتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي » و « كتاب الابانة عن مذهب أهل العدل » .
ولا يسعني - في الختام - إلا أن اسجل شكري لسائر من آزرني في تحضير مادة هذا الكتاب ، من هيئات ثقافية ومؤسسات علمية وأساتذة كرام ، راجياً للجميع تسديد الخطى في ميادين العمل العلمي المثمر والجهد الثقافي البناء ، والله تعالى ولي التوفيق .

محمد حسن آل ياسين

الكاظمية ١٨/٧/١٣٧٦ هـ

١٩/٢/١٩٥٧ م

فهرس الكتاب

القسم الاول

سيرته ٣٧ — ٥

اسمه ونسبه وكنيته - لقبه - تاريخ ولادته - آباؤه
وامه - موطنه ومسقط رأسه - وفاته - قبره -

أخلاقه وملاكانه ٦٦ — ٤١

تقديم - علاقة أبي حيان بالصاحب - مقدار أمانته
في النقل - عجب الصاحب بنفسه - تواضعه - حلمه
وسعة صدره - كرمه وصلاته - عداؤه للشعبوية -

مذهبه الديني ٨٦ — ٦٩

أقوال المؤرخين في ذلك - تشيعه - اعتزاله - نقول
أخرى في تعيين مذهب - ما يدل على اعتزاله -
ما يدل على تشيعه - الخلط التاريخي بين التشيع
والاعتزال - ايران والاعتزال - نتيجة البحث -

القسم الثاني

قبل الوزارة ١٠٤ — ٩١

تمهيد في نشأة الحكم البويهى - وزارة ابن العميد -
صحبة الصاحب للأمر البويهى - تولى مناصب
الكتابة - موت ابن العميد وتولى ابنه أبي الفضل

الوزارة - عداؤه لابن عباد - حرب الصحاح الى
اصفهان - قتل أبي الفضل - تولي الصحاح اوزارة -

بعد الوزارة ١٠٧ — ١٣٢

وزارة الصحاح لمؤيد الدولة - علاقته مع أميره
وعضد الدولة - أعماله في ذلك العهد - موت مؤيد
الدولة - استدعاء الصحاح لفخر الدولة وتنصيبه أميراً -
مساعي الصحاح في هذه السبيل - أعماله في عهد فخر
الدولة - علاقته بأميره - عظمة الصحاح وسمو مقامه -
ابهة الوزارة - احترام الأمير له - احترام الملوك
والامراء له - احترام العلماء والأدباء له -

القسم الثالث

شيوخه وأساتذته ١٣٧ — ١٥٠

دراسته الاولى - أساتذته - ابن العميد - ابن فارس -
السيرافي - ابن كامل - ابن مقسم - عبدالله بن
جعفر - العباس بن محمد - أبو عمرو - منابع ثقافته
الآخري - مكتبته - ارتياده لمجالس العلم - مجلسه
العلمي أيام وزارته -

معارفه ١٥٣ — ١٩٣

ثقافة الصحاح - الفروع العلمية التي يحسنها -
التفسير - الحديث - الكلام - اللغة - النحو -
العروض - النقد الأدبي - التاريخ - الطب -

مؤلفاته ١٩٧ — ٢٥٤

عدد تلك المؤلفات - مؤلفاته الموجودة - الابانة -
الافناع - الأمثال السائرة - التذكرة - ديوان
شعره - رسائله - رسالة في أحوال عبدالعظيم -
رسالة في الطب - رسالة في الهداية والضلالة - عنوان
المعارف - الفرق بين الضاد والظاء - الكشف عن
مساوى شعر المتنبي - المحيط - المنظومة الفريدة
وشرحها - مؤلفاته المفقودة التي روت المصادر بمض
نصوصها - مؤلفاته المفقودة - كتب أخرى -

القسم الرابع

أدبه ٢٥٧ — ٢٧٦

شهرته الأدبية وأسبابها - رأي القدامى في أدبه -
رأي المحدثين فيه - الأدب في القرن الرابع -
النثر - الشعر - نثر ابن عباد : خصائصه ونماذج
منه - شعر ابن عباد : ملاحظه وشواهد منه -

فهرس الأعلام ٢٧٧ — ٢٨٥

فهرس المراجع ٢٨٥ — ٢٨٨

۳۵۰ - ۷۶۶

...
...
...
...
...
...
...
...

...

۳۵۱ - ۷۶۷

...
...
...
...

۳۵۲ - ۷۶۸

۳۵۳ - ۷۶۹

القسم الأول

100

سیر



اسم ونسبه وكنية

هو اسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن ادريس .
هكذا ساق أكثر المؤرخين سلسلة نسبه (١) ، ولم نعتز على ما يخالف ذلك إلا
في بيتين من الشعر أ بدل فيها اسم « عباد » جد أبي اسماعيل بـ « عبد الله » ، وهما :
أ - بيت الشاعر السلامي :

يا ابن عباد بن عبـا من بن عبد الله حرها (٢)

ب - بيت الشاعر الرستمي :

يمني ابن عباد بن عباس بن عبـ مد الله نعمي بالكرامة تردف (٣)
والظاهر أن هذين الشاعرين لم يقصدا من تسمية عباد بـ « عبد الله » أن
اسمه كذلك ، وإنما كن استقامة الوزن وضرورة الشعر قد اضطررتهما لذلك ، خصوصاً

(١) ومنهم : ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب : ١١٣/٣ ، وابن

خلكان في وفيات الاعيان : ٢٠٦/١ ، والسيوطي في بغية الوعاة :

١٩٦ ، وعبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص : ١٥٢/٢ ، وابن

كثير في البداية والنهاية : ٣١٤/١١ ، وأبو نعيم في أخبار اصبهان :

١٣٨/٢ - في ترجمة عباد - ، والقوبائي في الارشاد : ٨ .

(٢) يتيمة الدهر : ٢٥٢/٣ ، ومعجم الادباء : ٢٣٦/٦ .

(٣) يتيمة الدهر : ٢٨٨/٣ ، ومعجم الادباء : ١٧٠/٦ .

وان لفظ عبّاد مشتق من العبادة أو العبودية ، وكلتاها مرتبطة بالله تعالى ^(١) .
وأما كنيته فقد زخرت كتب التاريخ التي ذكرت اسماعيل ، ومعاجم الأدب
التي روت ما قيل في مدحه ، بـ « كنيته بـ » أبي القاسم ، ولما مدحه أبو الرجاء
الضرير الشاعر بقصيدته العصماء ، وانتهى في انشاده إلى قوله :

إلى ابن عباد أبي القاسم ^(٢) صاحب إسماعيل كافي الكفاة
قال اسماعيل : « قد كنت والله أشتهي بأن تجتمع كنيتي واسمي ولقبتي
واسم أبي في بيت » ^(٣) .

وروي أنه « دخل إلى صاحب رجل لا يعرفه ، فقال له صاحب :
أبو من ؟ فأنشد الرجل :

وتتفق الأسماء في اللفظ والكنى كثير أولكن لا تلاقى الخلائق
فقال له : اجلس يا أبا القاسم » ^(٣) .

وإذا فتـ كنية اسماعيل بهذه الكنية أمر لا شك فيه ، ولا كني لم أعر على
ولدٍ لاسماعيل يدعى « قاسماً » ليكني به أبوه ، بل صرحت المصادر التاريخية
أنه لم يرزق إلا بنتاً واحدة ، وظني أن هذه الكنية قد كناه بها أبوه عبّاد
تيمناً وتبركاً بها حيث كانت كنية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان من
المتعارف جداً أن يكنى المولود ويلقب - عند ولادته وتسميته - بكنية ولقب
يختارهما الأب كما يختار الاسم له .

(١) وردت تسمية جد أبي اسماعيل باسم « عباد » في عدة من الكتب
التاريخية - غير التي ذكرناها في الهامش الأول - ، ومن تلك الكتب :
معجم الأدباء : ١٦٨/٦ ، والمنتظم : ١٨٤/٧ - في ترجمة أبي
اسماعيل - ، والانساب : ٣٦٤ ، واللباب : ٧٧/٢ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٥٣/٦ .

(٣) معجم الأدباء : ١٨٥/٦ .

لإسماعيل بن عباد لقبان مشهوران :

أولهما - الصاحب :

وقد لقّبه به سائر المؤرخين والكتاب والشعراء حتى بلغ حدّ الاسم ؛ فاستعاض بعض المؤرخين كما استعاض مشهور الناس عن ذكر اسمه بذكر هذا اللقب .

ويقول ابن خلدون كان في بيان سبب تلقيبه بذلك :

« هو أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد ف قيل له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه » (١) .

ويؤيد ابن خلدون - في تعيين سبب اللقب وكونه مأخوذاً من مصاحبة إسماعيل لابن العميد - لفيف من المؤرخين نذكر منهم :

أ - ابن العماد الحنبلي حيث يقول :

« صحب أبا الفضل الوزير ابن العميد ، وأخذ عنه الأدب والشعر والترسل ، وبصحبه لقب بالصاحب » (٢) .

ب - أبو الفداء حيث يقول :

« وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد ف قيل له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة » (٣) .

(١) وفيات الاعيان : ٢٠٧/١ .

(٢) شذرات الذهب : ١١٤/٣ .

(٣) تاريخ أبي الفداء : ١٣٠/٢ .

وخالف لفيف آخر من المؤرخين في ذلك ، فعزوا اللقب الى سبب آخر

غير السابق ، واليك بعض ما قالوا :

أ - قال ابن تغري بردي :

« أول وزير سمي بالصاحب ، لأنه صُحب مؤيد الدولة من الصبا فسمّاه

الصاحب فغلب عليه ، ثم سمي به كل من ولي الوزارة حتى حرافيش زماننا
حملة اللحم وأخذة المكوس ! » (١) .

ب - وقال السيوطي :

« هو أول من سمي الصاحب من الوزراء لأنه صُحب مؤيد الدولة من الصبا

وسمّاه الصاحب فغلب عليه هذا اللقب » (٢) .

ج - وقال ياقوت الحموي :

« كتب لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه أخي عضد الدولة بن ركن الدولة

الدليبي ، ومؤيد الدولة حينئذٍ أمير ، وأحسن في خدمته ، وحصل له عنده بِقَدَم
الخدمة قَدَم ، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه بالصاحب » (٣) .

د - ورجّح عبد الرحيم العباسي هذا السبب مضعفاً ما روي من تلقيبه

بذلك لصحبته لابن العميد (٤) .

هـ - وقال الصابي :

« إنما قيل له الصاحب لأنه صُحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسمّاه

الصاحب ، فاستمرَّ عليه هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده » (٥) .

(١) النجوم الزاهرة : ١٧٠/٤ .

(٢) بغية الوعاة : ١٩٦ .

(٣) معجم الادباء : ١٧٣/٦ .

(٤) معاهد التنصيص : ١٥٢/٢ .

(٥) وفيات الاعيان : ٢٠٧/١ نقلا عن كتاب « التاجي » للصابي .

وما كان لي من طريق لترجيح أحد السببين لولا كلمة الصابي وصراحتها في اختيار سبب معين لهذا اللقب ، والصابي - وقد عاصر صاحب واتصل به واطلع على كثير من شؤونه وأخباره - حجة في هذا المقام لا يصح للمؤرخ أن يتجاوزها بقليل أو كثير ، وواضح أن المعلومات التي تستند الى المشاهدة والاطلاع لا تعارض - أو لا تطرح على الأقل - بمجرد قول يسند الى راوية ، أو نقل ينقل عن كتاب متأخر وفي كتاب متأخر أيضاً ، ولا مندوحة - إذن - من الأخذ بما يقوله الصابي في بيان سبب هذا التلقب .

ومما يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون - ممن روينا نصوصهم فيما سبق - من صيرورة هذا اللقب بعد اسماعيل لقباً لكل وزير ورئيس « حتى حملة اللحم وأخذة المكوس » - على حد تعبير ابن تغرى - ، ومعنى ذلك انه لقب رسمي منحه الأمير مؤيد الدولة لوزيره فورثته الأجيال بعد مؤيد الدولة واسماعيل لقباً كبيراً يلقب به صاحب السلطات ومدير شؤون الرعية ، ولو كان هذا اللقب مشتقاً من مصاحبة ابن العميد لما صحّ تلقب الوزراء به بعد ابن عباد ، لأن مصاحبة ابن العميد كانت صفة دراسة وكتابة وأدب ، وليس من الصحيح سحب الألقاب الأدبية من نطاقها الخاص الى نطاق المناصب السياسية الكبرى .

ثانيهما - كافي الكفاة :

يقول ياقوت الحموي :

« كتب لمؤيد الدولة وأحسن في خدمته وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه كافي الكفاة » ^(١) .

(١) معجم الادباء : ١٧٣/٦ .

ومن قول ياقوت - هذا - نعرف أن هذا اللقب سياسي أيضاً ، وقد منح
من الأمير مؤيد الدولة ، وورد في الشعر كثيراً حيث جاء في :

أ - شعر العميري قاضي قزوين إذ يقول :

العميري عبد كافي الكفاة ومن اعتد في وجوه القضاة^(١)

ب - وشعر أبي منصور الجرجاني إذ يقول :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة المرتجى^(٢)

ج - وشعر أبي القاسم ابن بابك إذ يقول :

كافي الكفاة إذا اثنت مقل القنا الخطي رمدا^(٣)

د - وشعر بعض من هجا الصاحب إذ يقول :

متلقب كافي الكفاة وإنما هو في الحقيقة كافر الكفار^(٤)

ه - وشعر أبي محمد الخازن إذ يقول :

كافي الكفاة المرتجى والسيد الهادي المفدى^(٥)

و - وشعر أبي الحسن الجوهري إذ يقول :

كافي الكفاة بقصد من صرائمه حامي الحماة بحصد من مناصيله^(٦)

الى كثير وكثير من أمثال ذلك .

والمؤسف جداً أننا لم نهتد الى نص يكشف لنا سبب هذا التلقب ، فنعرفه

كمعرفتنا لسبب التلقب بالصاحب ، ولكنّه على كل حال لقب مشتق من

(١) يتيمة الدهر : ١٧٤/٣ .

(٢) يتيمة الدهر : ١٧٥/٣ .

(٣) نفس المصدر : ٢٠٩/٣ .

(٤) معجم الادباء : ٢٢٠/٦ .

(٥) يتيمة الدهر : ٢١٤/٣ .

(٦) نفس المصدر : ٢١٦/٣ .

كفاءة اسماعيل السياسية والعلمية والأدبية ، أو من اكتفائه عن المعونة والمشاركة في إدارة شؤون الدولة وتنظيم امورها .

وبالرغم من أن اللقب المشار اليه كان « كافي الكفاءة » بهذا النص ؛ فقد ورد في بعض الكتب والمناسبات مختلفاً عن ذلك بتغيير بعض ألفاظه :

جاء في مقدمة كتاب الهداية والضلالة تلقيبه بـ « أكفي الكفاءة » (١) .

وجاء في مرثية أبي القاسم الاصبهاني له :

يا كافي الملك ماوفيت حظك من وصف وإن طال تمجيد وتأبين (٢)

وواضح أن هذه التعابير لم تكن القاباً أخرى غير لقب « كافي الكفاءة » ، وإنما كان الغرض من استعمال صيغة التفضيل - في التعبير الأول - هو التعظيم والتبجيل ، وكان الغرض من التعبير الثاني بيان خدمة اسماعيل للملك وكفاءته في ذلك ؛ فهي إذن تعابير مقتبسة من اللقب الرئيسي المشار اليه .

(١) راجع الصفحة الاولى المصورة عن المخطوط . ط طهران ١٣٧٤ هـ .

(٢) يتيمة الدهر : ٢٥٣/٣ .

تاريخ ولادته

ولد اسماعيل في اليوم السادس عشر من شهر ذي القعدة الحرام على ما اتفق المؤرخون عليه ^(١) ، ولم يخالف في ذلك غير أبي حيان التوحيدي الذي ذكر انه ولد لأربع عشرة ليلة من ذي القعدة الحرام ^(٢) .

واذا لم تكن في الأصل كلمة « بقيت » بين لفظي « ليلة » و « من » ؛ وقد سقطت أثناء نسخ الفاسخين ، فلا مجال لنا للترجيح بين القولين إلا اذا أخذنا السكثرة مرجحاً يلزم الرضوخ له ؛ وهي تذهب الى تحقق الولادة في اليوم السادس عشر من شهر ذي القعدة - كما ذكرنا قبل قليل - .

هذا كله في تعيين يوم الولادة ؛ وأما تعيين السنة فقد مني باختلاف كبير بين المؤرخين يميل بنا أن ننقل نصوصه ثم نشرح القول الراجح وما يؤيد ترجيحه على سائر الأقوال الأخرى المتضاربة :

١ - ولادته عام ٣٢٠ هـ

قال شهاب الدين النويري : « اسماعيل بن عباد توفي في صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة » ^(٣) .

٢ - ولادته عام نيف وعشرين وثلاثمائة :

نقل ذلك السمعاني في كتابه « الأنساب » ^(٤) .

(١) وفيات الاعيان : ٢٠٩/١ ، وشذرات الذهب : ١١٥/٣ .

(٢) معجم الادباء : ٢٠٩/٦ .

(٣) نهاية الارب : ١٠٨/٣ .

(٤) ورقة : ٣٦٤ .

٣ - ولادته عام ٣٢٤ هـ :

ذهب الى ذلك : السيوطي ^(١) والسيد حسن الصدر ^(٢) والشيخ آقا بزرك الطهراني ^(٣) .

وعلم السيد محسن الأمين ذهاب الشيخ آقا بزرك الى هذا التاريخ : بأنه محاولة لتصحيح ما صرح به الثعالبي من بلوغ ابن عباد الستين من العمر حين وفاته ، ولا يلتئم ذلك إلا بتعيين ولادته بهذا التاريخ ^(٤) .

ولاكنني لا أستطيع الاقرار بصحة هذا التعليل ، لأن قول الثعالبي لا يتم بهذه المحاولة ، بل بالقول بولادة صاحب عام (٣٢٥) ولم يقل بذلك أحد ، فلا بد - إذن - من حمل قول الثعالبي - ومن تابعه - على التقريب وانتخمين لا النص والتحديد ، ويكون - بناء على ذلك - تاريخ الشيخ آقا بزرك والسيد الصدر مجازاة للسيوطي فيما ذكره ، وبدلنا على ذلك ما ذهب اليه آقا بزرك في مناسبة أخرى من تعيين تاريخ الولادة عام (٣٢٦) ^(٥) .

٤ - ولادته عام ٣٢٦ هـ :

ذهب الى ذلك من القدماء : ابن العماد ^(٦) ، وابن خلدون ^(٧) ، وأبو الفداء ^(٨) ، وعبد الرحيم العباسي ^(٩) ، وأبو حيان التوحيدي ^(١٠) ،

(١) بغية الوعاة : ١٩٦ .

(٢) تأسيس الشيعة : ١٦١ .

(٣) الذريعة : ٥٦/١ .

(٤) أعيان الشيعة : ٣٢٣/١١ .

(٥) الذريعة : ٢١/٤ .

(٦) شذرات الذهب : ١١٥/٣ .

(٧) وفيات الاعيان : ٢٠٩/١ .

(٨) تاريخ أبي الفداء : ١٣٠/٢ .

(٩) معاهد التنصيص : ١٥٢/٢ .

(١٠) معجم الادباء : ٢٠٨/٦ .

وياقوت الحموي^(١) ، وأبو نعيم^(٢) ، وابن حجر^(٣) .

كما ذهب الى ذلك من المتأخرين : الشيخ عباس القمي^(٤) ، وآقا بزرك^(٥) ،
والآساتذة المستشرقون في دائرة المعارف^(٦) ، والزركلي^(٧) ، والبستاني^(٨) ،
وآدم متز^(٩) ، والاسكندري ورفيقه^(١٠) .

ومن التدقيق في هذه النقول المتضاربة نستخلص ما يلي :

أ - لم أجد في قول النويري قصد تنصيب على تعيين عام الولادة ، وأظن
انه أراد بياناً تقريبياً لعمر صاحب حين وفاته .

ب - عبارة السمعاني - باجمالها وعدم تعيينها - قابلة للانطباق على عدة
أعوام ، فلا تكون مخالفة لبقية النصوص التي ذهبت الى عام ٣٢٤ أو ٣٢٦ .
ج - ذكرنا ما رجحناه من عدم الاعتماد على ما اختاره السيد الصدر
والشيخ آقا بزرك .

د - لا يصلح قول السيوطي لمعارضة القول المشهور الذي رجّحه أكثر
المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين ، وفي ضمن هؤلاء الثعالبي المعاصر للصاحب ؛
الذي يلتزم قوله - بالتقريب - مع القول الأخير الذي روينا ، وفيهم أيضاً

-
- (١) معجم الادباء : ١٧١/٦ .
 - (٢) أخبار اصبهان : ٢١٤/١ .
 - (٣) لسان الميزان : ٤١٤/١ .
 - (٤) الكنى والالقب : ٣٦٥/٢ .
 - (٥) الذريعة : ٢١/٤ .
 - (٦) دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية - : ٢٢٠/١ .
 - (٧) الاعلام : ١٠٦/١ .
 - (٨) دائرة المعارف : ٥٨٠/١ .
 - (٩) تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع - الترجمة العربية - : ١٣٤/١ .
 - (١٠) الوسيط في الادب العربي : ٢١٢ .

أبو حيان التوحيد الذي نقل روايته عن أحد المتصلين بالصاحب نفسه ، كما
أن فيهم أيضاً جماعة من المتقدمين على السيوطي بمآت السنين كابن خلدون
وياقوت وأمثالهما .

هـ - وإذا فقد ولد ابن عباد عام ٣٢٦ هـ على أرجح الأقوال ؛ أو هو
القول الراجح الذي لا يعارض بغيره .

يقول أبو سعيد الرستمي :

ورث الوزارة كبراً عن كبر موصولة الاسناد بالاسناد^(١)

ويقول أبو بكر الخوارزمي :

« صاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج من وكرها ،
ورضع أفابقي درها ، وورثها عن آباءه »^(٢) .

ويدلنا هذا البيت وهذه الجملة المنشورة على أن آباء الصاحب - ولانعلم عددهم -
كانوا من أقطاب الوزارة والحكم والادارة في عصرهم ، فانتقلت الى اسماعيل
موصولة الاسناد بالاسناد ، وموروثة من الآباء والأجداد .

ولكن المؤسف اني لم أعثر على تفاصيل وافية فيما يتعلق بآباء الصاحب
وأجداده غير جده وأبيه القرييين ، ولعل فيما ضاع من الكتب وفقد من
المصادر ودفن في زوايا المكتبات من المراجع المخطوطة ما يضم التفاصيل المنشود
في هذا الموضوع ومواضيع أخرى مما يتعلق بابن عباد .

ومهما يكن من أمر ، فنحن لم نعرف من آباء الصاحب غير عباس وعباد ،
إذ حفظت لنا بعض المصادر نقفاً تتعلق بهما ، فترشدنا إلى بعض ما نريد على نحو
الاختصار والاجمال .

ويدلنا على وزارة عباس - جد اسماعيل - ما نسجله في أدناه :

١ - قول محمد ربيع بن شرف جهان الأردستاني :

(١) يتيمة الدهر : ١٧٠/٣ .

(٢) وفيات الاعيان : ٢٠٦/١ ، ويتيمة الدهر : ١٧٠/٣ .

« كان أبوه عباد وجده عباس بن أحمد بن ادريس الطالقاني وزيرين » (١) .

٢ - قول الشاعر الرستمي :

يروي عن العباس عباد وزا رته واهما عيل عن عباد (٢)

٣ - ما يستشعر من كلام صاحب نفسه إذ يقول :

« وجميع ما أنفقت من صغري الى وقتي هذا من مال أبي وجدي » (٣) .

هذا كل ما لدينا من النصوص المتعلقة بعباس جد صاحب ، وأظنها كافية في الدلالة على تسنمه كرسي الحكم على الإجمال ، أما التفاصيل الأخرى فلا مجال للتخصص بها لعدم العثور على ما يشير إليها ولو من بعيد .

أما أبو اسماعيل « عباد بن العباس » فيظهر من التاريخ انه كان على جانب كبير من العلم والفضل ، والفهم والسياسة والكياسة ، والتقى والورع ، وبلغ من ورعه وزهده أن لقب بـ « الشيخ الأمين » ، دلالة على طهارة ضميره ، ونزاهة يده ، وقوة إيمانه .

ولم نعتز فيما يتعلق بتاريخه في أول أمره إلا على نصين نقلهما أبو حيان التوحيدي في رسالته « مثالب الوزيرين » نسجلهما فيما يلي :

أ - « . والأمين كان ينصر مذهب الأشعري تديناً وطلباً للزلفى عند ربه ، والعميد كان يعمل لعاجلته ، وإن قلت : كان الأمين معلماً بقرية من قرى طالقان الديلم . قيل : وكان والد العميد نخلالاً في سوق الخنطة بقم » (٤) .

(١) الارشاد : ٨ .

(٢) يتيمة الدهر : ١٧٠/٣ .

(٣) معجم الادباء : ٢٥٢/٦ .

(٤) نفس المصدر : ١٧١/٦ .

ب - لما ظهر من أبي حيان عدم إعجابه برسائل الصحاب - في قصة طويلة - ،
وبلغ ذلك الصحاب ففضب غضباً شديداً ، قال أبو حيان معلقاً على ذلك :
« حتى كأني طعنت في القرآن ، أو رميت الكعبة بخرق الحيز ، أو عقرت
ناقة صالح ، أو سلحت في بئر زمزم ، أو قلت : كان النظام مأبونا ، أو مات
أبو هاشم في بيت خمار ، أو كان عباد معلم صبيان » (١) .

وكل ما نفهمه من هذين النصين ان عباداً كان من معلمي الصبيان في أول
أمره ، ولعله كان كذلك في الواقع ، ولكننا لا نستطيع الجزم بذلك ،
لعدم اعتمادنا على صحة ما يرويه أبو حيان في كتابه « مثالب الوزيرين » على
ما يأتي تفصيله .

وسواء أكان معلماً للصبيان أو لم يكن ، فقد تطورت الأمور بآبن عباس
وتقلبت به الأحوال ، حتى نال رتبة الكتابة ، فأصبح كاتباً لركن الدولة
ابن بويه - أحد مؤسسي الدولة البويهية في إيران - كما صرح بذلك ياقوت
حيث يقول :

« كان ... مقدماً في صناعة الكتابة ... وكتب الأمين لركن الدولة » (٢)
ثم علا ذكره ولمع نجمه فتقلد الوزارة لركن الدولة كما صرحت به
النصوص التالية :

١ - يقول ابن العميد في رسالة يخاطب بها اسماعيل :

(١) معجم الادباء : ٣٤/١٥ - ٣٥ ، وقد روى الدكتور أحمد شلبي هذه
القصة بتحريف ذيلها هكذا : « أو كان الصحاب معلم صبيان » - تاريخ
التربية الاسلامية : ٢٠٤ - ، كما أن الاستاذ عبدالرزاق محي الدين
روى هذا الذيل محرفاً هكذا : « أو كان ابن عباد معلم صبيان » - أبو
حيان التوحيدى : ٢٨٣ -
(٢) معجم الادباء : ١٧١/٦ .

« مولاي وإن كان سيداً بهرتنا نفاسته ، وابن صاحب تقدمت علينا
رياسته » (١) .

ومنها :

« فمن هذ الدولة جرى ما فضله وفضل الشيخ الأمين من قبله » (٢) .

٢ - يقول فخر الدولة مخاطباً ابن عباد :

« لك في هذه الدولة من إرث الوزارة كما لنا من إرث الامارة ، فسبيل

كل واحد منا أن يحتفظ بحقه » (٣) .

٣ - صرح بوزارة عباد كل من أبي الفداء (٤) ، وابن الأثير (٥) ،

وأبي نعيم (٦) ، وابن خلكان (٧) ، والسمعاني (٨) .

٤ - مرت قبل قليل كلمة أبي بكر الخوارزمي وشعر أبي سعيد الرستمي ،

وفيها صراحة في الدلالة على ما نحن بصدده .

وإذن فقد كان عباد وزيراً لركن الدولة ، ولكن شؤون الوزارة لم تكن

لتصرفه عن النواحي الأخرى ، فلقد وصفه المؤرخون بالعلم والفضل ، وذكروا

روايته الحديث عن أبي خليفة الفضل بن الحباب البصري - أحد شيوخ الحديث

في عصره - ، وأبي بكر محمد بن يحيى الروزي البغدادي ، وجعفر بن محمد

القرماني ، ومحمد بن حيان المازني ، وجماعة من البغداديين والاصبهانيين

(١) معجم الادباء : ٢٢١/٦ و ٢٢٤ .

(٢) معجم الادباء : ٢٢١/٦ و ٢٢٤ .

(٣) نفس المصدر : ١٧٤/٦ .

(٤) تاريخ أبي الفداء : ١٣٠/٢ .

(٥) اللباب : ٧٧/٢ .

(٦) أخبار اصبهان : ١٣٨/٢ .

(٧) وفيات الاعيان : ٢١٠/١ .

(٨) الانساب : ٣٦٤ .

والرازيين ، كما حدث عنه لفيف من رجال الرواية ، كأبي اسحاق بن حمزة الحافظ ،
وأبي الشيخ ، وابنه صاحب أبي القاسم اسماعيل ، وأبي بكر بن مردويه ^(١) .
ونقل بعض المؤرخين أن لعباد هذا كتاباً في أحكام القرآن « نصر فيه
الاعتزال وجوّد فيه » ^(٢) ، وقد « استحسّنه كل من رآه » ^(٣) ، وكانت
بينه « وبين الحسن بن عبد الرحمن بن حماد القاضي مكاتبات ومراسلات
مذكورة مدوّنة » ^(٤) .

وفي تاريخ وفاة عبّاد اختلاف غريب ملفت للنظر يحسن بنا سرده قبل
بيان ما نرجحه فيه :

١ - وفاته عام ٣٣٤ أو ٣٣٥ هـ

صرّح بذلك ابن خلدون ^(٥) ، والسمعاني ^(٦) ، وابن الأثير ^(٧) .

٢ - وفاته عام ٣٣٥ هـ

ذكر ذلك الحافظ أبو نعيم ^(٨) ، والحسن بن محمد بن الحسن القمي المعاصر
لصاحب ^(٩) .

-
- (١) راجع في تفصيل ذلك : المنتظم : ١٨٤/٧ - ١٨٥ ، والانساب : ٣٦٤ ،
واللباب : ٧٧/٢ ، وأخبار اصبهان : ١٣٨/٢ ، ومعجم الادباء :
١٧٢/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٧٢/٤ .
- (٢) معجم الادباء : ١٧٢/٦ ، وقد ذكر هذا الكتاب منسوباً لعباد سائر
المؤرخين المذكورين في التعليق المتقدم .
- (٣) معجم البلدان : ٨/٦ .
- (٤) معجم الادباء : ١٧٢/٦ .
- (٥) وفيات الاعيان : ٢١٠/١ .
- (٦) الانساب : ٣٦٤ .
- (٧) اللباب : ٧٧/٢ .
- (٨) أخبار اصبهان : ١٣٨/٢ .
- (٩) تاريخ قم : ١١ ، وقد ورد تاريخ الوفاة في هذه الصفحة وفيه سقط من
قلم الناسخ كما تدل عليه ص ١٠١ .

روى ذلك ابن الجوزي ^(١) ، وابن تفرى بردى ^(٢) ، وياقوت ^(٣) .
ولدى التدقيق في الموضوع رأيت أن تحديد وفاته في عام ٣٨٥ عارٍ عن
الصحة والصواب ، مسترشداً الى ذلك بأمور :

أ - لم يُنقل عن اسماعيل في أوج عزه ومجده وعظمته أي اتصال له بأبيه
أو مراسلة معه أو تحدث عنه أو ذكر له .

ب - ان ركن الدولة قد توفي عام ٣٦٦ هـ ، ولم نعثر على نص يشير
الى وزيره عباد وبيان ما أصبح عليه أمره ، وهل استوزر بعد ذلك ومن
استوزره ؟.

ج - يقول فخر الدولة لابن عباد : « لك في هذه الدولة من إرث الوزارة
كما لنا من إرث الامارة » وأي إرث هذا اذا كان عباد حياً ؟ وهل يورث
الرجل وهو حي يرزق ؟

د - يقول ابن العميد : « فمن هذه الدولة جرى ما فضله وفضل الشيخ
الأمين قبله » ، وأية قبلية لعباد على ابنه اذا ماتا في عام واحد ؟.

هـ - توفيت أم اسماعيل عام ٣٨٤ هـ فأين زوجها عنها ؟ ولم لم يذكر
بهذه المناسبة ؟

و - اذا كانت وفاته و وفاة ابنه في عام واحد ، فان كانت قبل ابنه
فأين مجلس ابنه الذي أعده لتقبل التمزية بأبيه - كما فعل لأمه - ، وإن كانت

(١) المنتظم : ١٨٥/٧ .

(٢) النجوم الزاهرة : ١٧٢/٤ .

(٣) معجم الادباء : ١٧٢/٦ .

بعد ابنه فأين مجلس الأب الذي جلس فيه لتقبل التعازي بابنه العظيم ؟
وأين عنه الشعراء والادباء والمعزّون وهو وزير يفتجع بوزير ؟

ز - الف الحسن القمي كتابه تاريخ قم عام ٣٧٨ هـ وقد روى فيه خبر
وفاة عباد عام ٣٣٥ هـ .

من مجموع ما مرّ نعرف ان هذه الرواية غير قابلة التصديق ، وأظن ان
الاشتباه قد ورد من تشاكل ثلاثين وثمانين في النطق والكتابة فسجله
بعض المؤرخين خطأ ثم تابعه على ذلك من جاء بعده ، وروى عنه من دون
تأمل وتدقيق .

* * *

هذا كله في آباء الصاحب وأما امه فلم نعرف من تاريخها ما تجب معرفته ،
بل لم تُذكر في كتب التاريخ إلا في مناسبتين ثنتين هما :

١ - ما رواه السيوطي فيما يتعلق بطغولة الصاحب وصباه إذ قال :

« كان في الصغر اذا أراد المضي الى المسجد ليقرأ تعطيه والدته ديناراً
في كل يوم ودرهماً ، وتقول : تصدّق بهذا على أول فقير تلقاه ، فكان هذا
دأبه في شبابه الى أن كبر » (١) .

٢ - ما رواه ياقوت الحموي فيما يتعلق ببيان جلالة الصاحب وسمو مقامه
إذ قال :

« توفيت أم كافي الكفاة باصبهان ، وورد عليه الخبر فجلس للتعزية يوم
الخميس للنصف من محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وركب اليه سلطانه وولي
نعمته فخر الدولة بن ركن الدولة معزياً ، ونزل وجلس عنده طويلاً يعزّيه

(١) بغية الوعاة : ١٩٦ ، وروى مثل ذلك في معاهد التنصيص : ١٥٤/٢ ،
والكنى والالقباب : ٣٦٩/٢ .

ويسكن منه فسمعه يقول حين أراد القيام : أيها الصاحب هذا جرح
لا يندمل ... الخ « (١) .

ولا ترشدنا هاتان القصتان لما نود الاطلاع عليه من حياة ام اسماعيل
وتاريخها الطويل ، بل لا تدل على أكثر من الحب المتبادل والعلاقة المتينة بين
الأم وابنها ، وهو ما لا يستدعي أي برهنة أو بيان .

(١) راجع في تفصيل ذلك : معجم الادباء : ٢٣٨/٦ ، ومنه نقلنا النص
المذكور في المتن .

موطن الصامب ومسقط رأسه

في تعيين وطن اسماعيل ومحل ولادته أقوال متضاربة وروايات مختلفة ،
ونقدم - فيما يلي - قبل بيان الرأي المنتخب قائمة بالأقوال التاريخية المتعددة :

١ - من إصطخر :

روى ذلك ابن خلكان^(١) وابن العماد^(٢) وأبو الفداء^(٣) مرددين بينه
وبين ميلاده بالطالقان ، ولكن تعبيرهم مشعر بترجيح إصطخر ؛ حيث رووا
ذلك ثم اردفوه بقولهم : « وقيل بالطالقان » مما يدل على ترجيحهم للنقل الأول .
وروى ذلك صاحب سلم الوصول^(٤) جازماً فيه .
كما روى أبو حيان التوحيدي عن الخليلي عن اسماعيل بن عباد انه أخبر
عن ولادته بإصطخر^(٥) .

أما عبد الرحيم العباسي فقد روى القولين - إصطخر وطالقان - من دون
أن يرجح أحد القولين على الآخر^(٦) .

٢ - من الري :

نقل ذلك أبو القاسم القوبائي عن بعض كتب التاريخ - ولم يذكر اسمه -^(٧) .

-
- (١) وفيات الاعيان : ٢٠٩/١ .
 - (٢) شذرات الذهب : ١١٥/٣ .
 - (٣) تاريخ أبي الفداء : ١٣٠/٢ .
 - (٤) معجم الادباء : ١٧٠/٦ في الهامش .
 - (٥) معجم الادباء : ٢٠٩/٦ .
 - (٦) معاهد التنصيص : ١٥٢/٢ .
 - (٧) الارشاد : ٥ .

٣ - من قزوين :

نقل ابن حجر^(١) ان الرافي قد ترجم للمصاحب في كتابه : « التدوين في علماء قزوين » ، كما نقل نصاً يتعلق بهذا الموضوع من الكتاب نفسه ، وكذلك لقبه الشيخ آقا بزرك بالقزويني^(٢) .

٤ - من كورة فارس :

روى ذلك أبو الحسن البيهقي في كتابه مشارب التجارب على ما نقل عنه^(٣) .

٥ - من الطالقان :

والطالقان في كتب البلدان بلدتان : احدهما تنسب لخراسان ، والاخرى تنسب لقزوين ، وابن عباد من الطالقان الثانية على ما ذهب اليه ابن تغري بردى^(٤) ، والشيخ الاسكندردي^(٥) ، وآقا بزرك^(٦) ، وياقوت الحموي^(٧) ، والسمعاني^(٨) والسيوطي^(٩) .

٦ - من اصفهان :

عده أبو نعيم من الاصفهانيين^(١٠) ، ولقبه ابن شهر آشوب بالاصفهاني^(١١) ،

-
- (١) لسان الميزان : ٤١٦/١ .
 - (٢) الذريعة : ٥٦/١ .
 - (٣) معجم الادباء : ٢٥٧/٦ .
 - (٤) النجوم الزاهرة : ١٧٠/٤ و ١٧٢ .
 - (٥) الوسيط : ٢١٢ .
 - (٦) الذريعة : ٥٦/١ و ٢١/٤ .
 - (٧) معجم الادباء : ١٦٨/٦ ، ومعجم البلدان : ٨/٦ .
 - (٨) الانساب : ٣٦٤ .
 - (٩) بغية الوعاة : ١٩٦ .
 - (١٠) أخبار اصفهان : ٢١٤/١ .
 - (١١) معالم العلماء : ١٣٦ .

وعبّر الثعالبي بأن اصبهان هي التي أخرجت الصاحب (١).

٧ - من الديلم :

قال أبو حيان التوحيدى : « كان الأمين معلماً بقرية من قرى طالقان الديلم » (٢) ، ولقبه الشيخ آقا بزرك بالديلمي (٣).

ولدى نخل هذه النصوص ودراستها نرى ان الشيء الذي يمكن فهمه منها هو ما يلي :

أ - انه ولد باصطخر كما صرح به اسماعيل نفسه ، وكما أشار اليه بعض المؤرخين الاثبات جازمين أو مرجحين ، وبما ان اصطخر بلدة من بلدان ولاية فارس فلا تنافي حينئذ بين هذا الترجيح وبين ما رواه البيهقي من ولادته بكورة فارس .

ب - انه بعد ولادته بقليل سافر الى طالقان ، ولعلّ عباداً انتقل الى طالقان لغرض التعليم - كما روى أبو حيان - ، وبالنظر الى صغر سن الصاحب حين انتقال أبيه الى موطنه الجديد فقد فتح عينيه في طالقان واشتهر في كثير من الكتب التاريخية انه طالقاني حتى أصبح ذلك من أشهر ما يضاف الى اسمه ، ويروي أبو حيان في كتابه : « مثالب الوزراء » انه سأل الخليلي عن محل ولادة ابن عباد فأجابه : « كان عندنا انه ولد بطالقان ، وقال لنا يوماً : باصطخر » (٤).

وبالنظر الى قرب قزوين وطالقان الى جبال الديلم قال أبو حيان باشتغال

(١) ينشئة الدهر : ٢٦٧/٣ .

(٢) معجم الادباء : ١٧١/٦ .

(٣) الذريعة : ٥٦/١ و ٢١/٤ .

(٤) معجم الادباء : ٢٠٩/٦ .

عباد بتعليم الصبيان بقرية من قرى طالقان الديلم ، ثم تبعه آقا بزرك على ذلك
فلقبه بـ « الديلمي » .

ج - ذكرنا سابقاً أن اسم طالقان يطلق على بلدين : طالقان خراسان
وهي « بين مرو الروذ وبالخ ... وهي مدينة في مستوٍ من الأرض ... ولها
نهر كبير وبساتين » ^(١) . وطالقان قزوين وهي « بلدة وكورة بين قزوين
وأهر ، وبها عدة قرى يقع عليها هذا الاسم ، وإليها ينسب صاحب بن
عباد » ^(٢) ، واعتقد أن انتساب طالقان لقزوين هو الذي حدا الرافعي إلى عد
ابن عباد من علماء قزوين ، وحدا آقا بزرك إلى تلقيبه بـ « القزويني » .

ولم يذكر المؤرخون - فيما رأيت - طالقاناً ثالثاً سوى ما قرأت للثعالبي من
جملة كلام جاء فيه : « والصاحب من قرية الطالقان من قرى اصبهان » ^(٣) ،
وظني بل اعتقادي أن هناك قرية تسمى « الطالقان » كانت تنسب - أولاً -
لاصبهان - كما يقول الثعالبي - ثم تغيرت نسبتها بتطور الأوضاع والشؤون
العمرائية فنسبت لقزوين ، وقزوين واصبهان من إقليم واحد هو الإقليم
الرابع ^(٤) .

ويرجح هذا الرأي أن الثعالبي مؤرخ ثقة ثبت دقيق في معلوماته ورواياته ،
ولا اعتقد أنه أرسل كلمته هذه جزافاً وبلا تمحيص ، خصوصاً وهو من
المعاصرين للصاحب بن عباد ومن المستقصين لأخباره وآثاره وأشعاره ،
فلا بد أنه سجل كل ما سجل مأخوذاً من أوثق المصادر وأصح الروايات
وأصدق المحدثين .

-
- | | |
|-----|---------------------------------|
| (١) | معجم البلدان : ٧/٦ . |
| (٢) | معجم البلدان : ٨/٦ . |
| (٣) | يتيمة الدهر : ٢١٦/٣ . |
| (٤) | معجم البلدان : ٢٦٩/١ ، و ٧٩/٧ . |

ويبدو لي ان تسمية الطالقان بطالقان اصبهان لم تكن معروفة لدى ياقوت فلم يشر اليها في معجم البلدان ، ثم نجده في معجم الادباء ناقلاً لقول الشعالي السابق ومعلقاً عليه بقوله : « هذا الذي ذكر الشعالي ان طالقان من قرى اصفهان ، والصواب ما تقدم » ^(١) ، مشيراً بذلك الى ما ذهب اليه من كون ابن عباد « من أهل الطالقان ، وهي ولاية بين قزوين وأبهر » ^(٢) .

د - إنَّ الصاحب قد هاجر من طالقان في أيام صباه الى اصفهان ، ولعل هذه الهجرة قد تمت حينما تولى عباد الكتابة للحسن بن بويه ركن الدولة ، ويرشدنا الى سكنى اسماعيل اصفهان في أيام صباه ما نسجته في أدناه :

١ - ما رواه المافروخي إذ قال :

« حكي انه كان في أيام صباه - والضمير يعود للصاحب - باصفهان إسكاف ، وكان مختلف الصاحب الى مدارس بباب دكانه ، والاسكاف كلما مرَّ به الصاحب تسفَّه عليه وأوسع له عناءاً وسباً وتنقصاً وثلباً .. الخ » ^(٣) .

٢ - قول الصاحب نفسه :

يا اصفهان سقيت الغيث من كشب فأنت مجمع أوطاري وأوطاني
والله والله لما أنس بركي بي ولو تمكنت من أقصى خراسان
سقياً لأيا منى والشمل مجتمع والدر ما خاتي في قرب اخواني
ذكرت ديمرت إذ طال الثواء بها يا بعد ديمرت من أبواب جرجان ^(٤)
وهذان النصان - كما يشاهد القارئ - صريحان في بيان ما نهذف اليه من

(١) معجم الادباء : ٢٨٦/٦ .

(٢) نفس المصدر : ١٦٨/٦ .

(٣) محاسن اصفهان : ٩٨ .

(٤) نفس المصدر : ١٣ .

ترجيع هجرة صاحب الى اصبهان في صباه ، فهي مجمع أوطاره وأوطانه ،
ومجتمع شمله وأخذانه ، وفيها درس أيام صباه ، وفي ديمرت طال
ثواؤه وغناه .

ولعلّ مما يؤيد ذلك ما قرأناه في كتب التاريخ من نظرة صاحب الخاصة
لاصفهان - أيام وزارته - ؛ ومن عنايته الزائدة بها وبشؤون أهلها :
كبنائه جامعاً كبيراً لها على نفقته (١) .

وتشييد دار له بها (٢) .

ومعاملته لأهلها بالحسنى (٣)

وتخفيض الضرائب عن أهلها (٤) .

ومدحه لها وتوصية الحكّام بملاحظتها (٥) .

ثم - أخيراً - وصيته بأن يدفن فيها - كما سيأتي تفصيل ذلك - .

(١) نفس المصدر : ٨٥ .

(٢) نفس المصدر : ٩٠ ، ویتیمه الدهر : ١٨٣/٣ .

(٣) نفس المصدر : ٨٤ و ٩٥ .

(٤) نفس المصدر : ٩٩ .

(٥) رسائل صاحب بن عباد : ٣١ .

المؤرخين في تحديد عام وفاة ابن عباد خلاف نشير اليه في أدناه :

١ - وفاته عام ٣٨٤ هـ

نص على ذلك السمعاني ^(١) من القدماء ، وآدم منز من المتأخرين ^(٢) .

٢ - وفاته عام ٣٨٥ هـ

ذهب الى ذلك :

من القدماء : ابن العماد الحنبلي ^(٣) وابن خلكان ^(٤) والسيوطي ^(٥)
وأبو الفداء ^(٦) والوزير أبو شجاع ^(٧) والثعالبي ^(٨) وابن الأثير ^(٩) وابن
كثير ^(١٠) والوزير القفطي ^(١١) وعبد الرحيم العباسي ^(١٢) وياقوت الحموي ^(١٣)
وشهاب الدين النويري ^(١٤) وأبو نعيم ^(١٥) وابن تفرى بردى ^(١٦)

-
- (١) الانساب : ٤٦٣ .
 - (٢) تاريخ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ١٢١/١ .
 - (٣) شذرات الذهب : ١١٣/٣ .
 - (٤) وفيات الاعيان : ٢٠٩/١ .
 - (٥) بغية الوعاة : ١٩٧ .
 - (٦) تاريخ أبى الفداء : ١٣٠/٢ .
 - (٧) ذيل تجارب الامم : ٢٦١ .
 - (٨) يتيمة الدهر : ٢٥٣/٣ .
 - (٩) الكامل : ١٦٩/٧ .
 - (١٠) البداية والنهاية : ٣١٦/١١ .
 - (١١) انباء الرواة : ٢٠٢/١ .
 - (١٢) معاهد التنصيص : ١٦١/٢ .
 - (١٣) معجم الادباء : ١٧١/٦ .
 - (١٤) نهاية الارب : ١٠٨/٣ .
 - (١٥) أخبار اصبهان : ٢١٤/١ .
 - (١٦) النجوم الزاهرة : ١٦٩/٤ .

وابن حجر (١) وابن خلدون (٢) وصاحب النزهة (٣) وابن الجوزي (٤)
وابن الشحنة (٥) .

ومن المتأخرين : شكيب أرسلان (٦) وعباس القمي (٧) والزركلي (٨)
وآقا بزرك (٩) ولجنة دائرة المعارف (١٠) والدكتور ذبيح الله صفا (١١) وآدم
متز (١٢) وآخرون غيرهم .

٣ - وفاته عام ٣٨٧ هـ

نصّ على ذلك الشيخ بهاء الدين العاملي (١٣) ومحمد ربيع الأردستاني (١٤) .
ومن مجموع هذه النصوص التاريخية يظهر :
(أولاً) - ان أكثرية المؤرخين - بل ما يشابه الاجماع - قد ذهبت الى
وفاته عام ٣٨٥ هـ ، ومن جملتهم الثعالبي - المعاصر للصاحب - وأبو شجاع -
القريب الى ذلك العهد - .

-
- (١) لسان الميزان : ٤١٤/١ .
 - (٢) تاريخ العبر : ٤٦٦/٤ .
 - (٣) نزهة الالباء : ٤٠١ .
 - (٤) المنتظم : ١٧٩/٧ .
 - (٥) تاريخ ابن الشحنة : - هامش الكامل - ٥/١٢ .
 - (٦) رسائل الصابي : ٢٨٠ في الهامش .
 - (٧) الكنى واللقاب : ٣٧٠/٢ ، وهدية الاحباب : ١٧٠ ، وتتممة
المنتهى : ٤٥٨ .
 - (٨) الاعلام : ١٠٦/١ .
 - (٩) الذريعة : ٥٦/١ ، و ٢١/٤ .
 - (١٠) دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية - : ٢٢١/١ .
 - (١١) تاريخ أدبيات ايران : ٥٣ .
 - (١٢) تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع : ١٣٤/١ .
 - (١٣) الكشكول : ٢٦١ .
 - (١٤) الارشاد : ٤٣ .

(ثانياً) - إن ذهاب آدم منزلي وفاته عام ٣٨٤ لا يعتمد عليه ، لأنه عاد في موضع آخر من كتابه فأرخ بالتاريخ المشهور - كما أشرنا إليه في موضعه - مما يدل على أن قوله هذا لم يكن عن قصد وترجيح ، ولعله اعتمد على السمعاني في ذلك .

(ثالثاً) - لا نرى لنص السمعي من القوة ما يمكنه من الوقوف قائماً أمام نصوص الأثرية الساحقة من المؤرخين ، ولعله سجل ذلك سهواً ، أو كان من أخطاء النسخ .

(رابعاً) - كذلك لا نرى لتحديد البهائي والأردستاني قوة تقابل رأي الأثرية ، ولعلها حاولت بذلك تصحيح ما جاء عن الثعالبي من بلوغ الصاحب الستين ، ولا يتم ذلك - إذا كانت ولادته عام ٣٢٦ هـ - إلا بإضافة سنتين ، وقد سبق لنا القول بأن الثعالبي لم يقصد من « لفظ الستين » هذا التحديد الدقيق ، بل ذكره على النحو المتعارف من اغتفار سنة أو سنتين في تخمين الأعمار ، خصوصاً وإن الثعالبي قد نص صريحاً على وفاة الصاحب عام (٣٨٥) - كما مر عليك .

ومهما يكن من أمر فإن ابن عباد لما دخل في عام ٣٨٥ دعا من كان لديه من المنجمين ، وطلب منهم أن يخبروه عما يقع في هذا العام - ولعلها كانت عادة جارية له في كل عام - ، فلم يكن من المنجمين إلا أن لمحو له عن وفاته من طرف خفي ، فأنشأ يقول :

يا مالك الأرواح والأجسام وخالق النجوم والأحكام
مدبر الضياء والظلام لا المشتري أرجوه للانعام
ولا أخاف الضر من بهرام وإنما النجوم كالأعلام

والعلم عند الملك العلام يارب فاحفظني من الأسقام
ووقني حوادث الأيام وهجنة الأوزار والآثام
هني حب المصطفى المعتام وصنوه وآله الكرام (١)
ثم أردف ذلك بقوله :

أرى سنتي قد ضمنت بعجائب وربّي بكفني جميع النوائب
ويدفع عني ما أخاف منه ويؤمن ما قد خوفوا من عواقب
إذا كان من أجرى الكواكب أمره معيني فما أخشى صروف الكواكب
عليك أيا رب السماء توكلني فخطني من شرّ الخطوب الحوارب
وكم سنة حذرتها فتزحزحت بخير وإقبال وجد مصاحب
إلى آخر ما جاء في هذه القطعة الشعرية المؤثرة (٢) .

وكان مرضه الذي ابتلي به في أواخر أيامه نذيراً له بقرب المنية ودنو
الأجل ، ولم يكن اسماعيل ممن يخفى عليه ذلك ، فأشدد يقول :
إني وحق خالقي على جناح السفر (٣)

وفي أثناء مرضه هذا « كان امراء الديلم وكبراء الناس يروحون الى بابه
ويغدون ، ويخدمون بالدعاء وينصرفون ، وعاده فخر الدولة عدة مرات » (٤) .
وحكي « انه قال لفخر الدولة - أول مرة - وهو على يأمن من نفسه : قد
خدمتك - أيها الأمير - خدمة استفرغت قدر الوسع وسرت في دولتك سيرة
جلبت لك حسن الذكر بها ، فان أجريت الأمور بعدي على نظامها ، وقررت

-
- (١) يتيمة الدهر : ٢٥٢/٣ ، وفرج المهموم : ١٨٠ .
(٢) يتيمة الدهر : ٢٠٣/٣ ، وفرج المهموم : ١٨١ .
(٣) يتيمة الدهر : ٢٠٣/٣ .
(٤) ذيل تجارب الامم : ٢٦١ .

القواعد على أحكامها ، نسب ذلك الجميل السابق اليك ، ونُسيت أنا في أثناء ما يثنى به عليك ، ودامت الاحدوثة الطيبة لك ، وإن غيرت ذلك وعدلت عنه كنتُ أنا المشكور على السيرة السالفة ، وكنت أنت المذكور بالطريقة الآتية « (١)

وما إن أزف الوقت المحتوم ودقت ساعة الرحيل - وكان ذلك ليلة الجمعة لست بقين من صفر - حتى علت الواعية في دار اسماعيل ، وسرى الخبر بين الناس سرى النار في الهشيم ، ف « أُغُلقت مدينة الري ، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته ، وحضر مخدموه فخرالدولة المذكور أولاً وسائر القواد وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة ، وقبلوا الأرض ، ومشى فخرالدولة أمام الجنازة مع الناس » (٢) .

و « ماروئي أحد وُفي من الاعظام والاكابر بعد موته ما وُفيه الصاحب ، فانه لما جهز ووضع في تابوته وأُخرج على أكتاف حامله للصلاة عليه ، قام الناس بأجمعهم فقبلوا الأرض بين يديه ، وخرقوا عند ذلك ثيابهم ، ولطموا وجوههم ، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم » (٣) .

والشيء الذي يلفت النظر أن نجم القاضي عبد الجبار المعتزلي مخالفاً إجماع الشعب على حب الصاحب والترحم عليه والافتجاج به ، فقد روي عنه انه كان

-
- (١) نفس المصدر ، وتجد مثل ذلك في الكامل : ١٧٠/٧ ، والبداية والنهاية : ٣١٦/١١ ، والمنظوم : ١٨١/٧ ، ومعجم الادباء : ١١٤/٢ .
(٢) وفيأت الاعيان : ٢١٠/١ ، وتجد مثل ذلك في انباء الرواة : ٢٠٢/١ ، ومعجم الادباء : ٢٧٥/٦ ، وذيل تجارب الامم : ٢٦٢ ، وشذرات الذهب : ١١٥/٣ ، ومعاهد التنصيص : ١٦١/٢ .
(٣) معجم الادباء : ٢٧٥/٦ .

يقول : « لا أرى الترحم عليه لأنه مات عن غير توبة ظهرت منه » (١) .
« فلا جرم أن فخر الدولة قبض عليه بعد موت صاحب وصادره - فيما
قيل - على ثلاثة آلاف الف درهم ، وعزله عن قضاء الري » (٢) ، وذلك لما
ظهر منه من قلة الوفاء وخسة النفس وخبث الطوية .

« فهلاً نظر هذا القاضي في شأن نفسه ، ثم أفتى في شأن غيره مثل ابن
عبّاد الذي قدّم قدمه وأثّل نعمته وراش جناحه ومهّد أحواله . صدق المثل :
« تبصر القذى في عين غيرك وتدع الجزع المعترض في حلقك » ، فرحم الله
من أبصر عيب نفسه فشغل بستره عن عيب غيره » (٣) .

وبعد انتهاء مراسيم التشييع والصلاة وما الى ذلك حفظ تابوته و « علق
بالسلاسل في بيت » (٤) ثم كان نقله بعد حين « الى تربة له باصفهان » (٥) .
وجلس فخر الدولة للعزاء أياماً (٦) وكذلك فعل أبو العباس الضبي - خلفه
في الوزارة - ، ثم أرسل فخر الدولة بعد ذلك « ثقاته وخواصه حتى احتاطوا
على الدار والخزائن ونقل جميع ما في الدار والخزائن الى دار
فخر الدولة » (٧) .

وهكذا مات اسماعيل بن عبّاد فمات بموته فضائل وفواضل ؛ وشيم
ومكارم ، وانفرط بفقده عقد الادباء والشعراء والعلماء ، فلا غرو اذا ما رأينا

-
- | | |
|-----|-------------------------|
| (١) | الكامل : ١٧٠/٧ . |
| (٢) | معجم الادباء : ٢٩٩/٦ . |
| (٣) | ذيل تجارب الامم : ٢٦٣ . |
| (٤) | نفس المصدا : ٢٦٢ . |
| (٥) | نفس المصدا : ٢٦٢ . |
| (٦) | وفيات الاعيان : ٢١٠/١ . |
| (٧) | ذيل تجارب الامم : ٢٦٢ . |

فحول الشعر في ذلك العصر يتبارون في رثائه بقصائدهم العامرة ؛ المفعمة بالآلم به الطائفة بالشجى ؛ الصارخة بهول الفجعة ، كقصائد أبي القاسم الاصبهاني وأبي الفرج بن ميسرة وأبي سعيد الرستمي وأبي الفيّاض الطبري وأبي العباس العلوي والنيسابوري وأبي الحسن علي الحسيني والشريف الرضي ، الى كثير من ذلك مما هو خارج عن الصدد (١) .

وينام أبو القاسم بن أبي العلاء يوماً فيرى في منامه قائلاً يعتب عليه لعدم رثائه صاحب ، فيعتذر أبو القاسم ببعض الأعذار فيقول له القائل : أجز ما أقوله ، ثم أنشد :

فقال : ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة

فأجابه : ليأنس كل منها بأخيه

فقال : هما اصطحبا حين ثم تعانقا

فأجابه : ضجيعين في لحد بباب ذريه

فقال : اذا ارتحل الثاؤون عن مستقرهم

فأجابه : أقاما الى يوم القيامة فيه (٢)

وباب ذريه المذكور في هذه الأبيات اسم محلة باصبهان دفن صاحب في قبة فيها بعد نقله من الري ، « وهي عامرة الى الآن ، وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض » (٣) .

(١) راجع في تفصيل مراثي صاحب : يتيمة الدهر : ٢٥٣/٣ - ٢٦١ ، ومعاهد التنصيص : ١٦١/٢ - ١٦٢ ، وديوان الشريف الرضي ٣٧٩ ، وكتابي « شعراء صاحب » الذي سوف تقدمه للطبع بعد الانتهاء من هذا الكتاب .

(٢) معجم الادباء : ٢٧٦/٦ ، ومعاهد التنصيص : ١٦٣/٢ .

(٣) وفيات الأعيان : ٢٠٩/١ .

« قال . . . ابن البنداري الاصهاني نزيل دمشق : هي عامرة الى الآن ،
والعلويون من ولد بنته يتتاعون لها في الوقت بعد الوقت كلساً اصهبانياً
يبيضونها به » (١) .

ويقول الخونساري : إنها قد اصبحت « بانهدام وفتور ؛ من مرور
الدهور ، فأمر شيخنا الامام العلامة الحاج محمد ابراهيم . . . بتجديد عمارتها
وتطينها ، وتشيد نضارتها وتزيينها ، فصارت كأحب موضع يرام ، وأجود
منزل ومقام ، وهو سلمه الله تعالى - مع ما به - . . . ليس يدع زيارته أيضاً
طول شهر أو شهرين بل أيام ، إلا أن تلك المحلة المسعودة موسومة في زماننا
بـ (باب الطوقجي) والميدان العتيق » (٢) .

(١) انباه الرواة : ٢٠٢/١ .

(٢) روضات الجنات : ١٠٩ .

در آن زمان که در این شهر بودیم
 مشاهده نمودیم که در این شهر
 (۱) در آن زمان که در این شهر بودیم

مشاهده نمودیم که در این شهر
 (۲) در آن زمان که در این شهر بودیم
 مشاهده نمودیم که در این شهر
 (۳) در آن زمان که در این شهر بودیم
 مشاهده نمودیم که در این شهر
 (۴) در آن زمان که در این شهر بودیم
 مشاهده نمودیم که در این شهر
 (۵) در آن زمان که در این شهر بودیم
 مشاهده نمودیم که در این شهر

(۱) در آن زمان که در این شهر بودیم
 (۲) در آن زمان که در این شهر بودیم

افہلاقہ و ملکاتہ

يجدر بي - وأنا أهدف الى دقة البحث ونخل النصوص واستخراج النتائج الصريحة - أن أقوم - قبل الدخول في التفاصيل المتعلقة بشخصية ابن عباد ومكانه الخلقية وغرائزه النفسية - بالاشارة الى المصدر الأول في هذا الموضوع ، والى مقدار الاعتماد على هذا المصدر في بحثنا المائل بين يديك ، الذي نحاول أن نرسم فيه الصورة القلمية الدقيقة لأخلاق اسماعيل وسماته .

والمصدر الرئيس الأول الذي عثرنا عليه هو رسالة « مثالب الوزيرين » لأبي حيّان التوحيدى الأديب الشهير الكبير ، فقد حفلت بشروح وتفاصيل وقصص تحكي لنا بين سطورها شخصية الصاحب وخصاله وخلائقه ، بالشكل الذي لم نعثر على مثله في سائر كتب التاريخ والأدب التي ترجمت للصاحب أو أشارت اليه . خصوصاً ونحن نعلم ان أبا حيّان قد قصد ابن عباد الى الري واجتمع به طويلاً وعاشره مدة مديدة ، وشهد مواسمه وحضر مجلسه ، وتعرف على حاله في الليل والنهار ، وفي ساعتي التبذل والوقار ، وشافه حجاب اسماعيل وخدمه ، وكتّابه وشعرائه ، وسائر رواد مجلسه والمترددين عليه ، فجاءت رسالته والمتوقع منها أن تسكون مبنية على المراتب والمشاهدات والاطلاعات الشخصية .

ولكن السؤال الذي يفاجئ الباحث - حينما يقرأ هذه الرسالة - هو معرفة مقدار الاعتماد على ما فيها من نقول وروايات ؛ وقصص وحكايات ، فبمعرفة ذلك يتجلى الموضوع أمام الباحث تصديقاً لها أو نبذاً لما فيها . ولمعرفة هذه الناحية في الرسالة يجب أن نقف قليلاً عند علاقة أبي حيان بالصاحب ؛ فذستقرى الآثار التاريخية لنعرف كيف ابتدأت الصلة بينهما وكيف انتهت ، ومن نتيجة هذا الاستقراء التاريخي نستخلص ما ننتقيه من معرفة حقيقة ما حوته الرسالة صدقاً أو كذباً . لاسيما وان الرسالة قد كتبت بعد رجوع أبي حيان من الري ومفارقتها لابن عباد ، فلا بد وانها تعتمد على معرفة كيفية فراق أبي حيان لصاحبه ، وهل كان فراقاً بين صديقين يأملان الاجتماع ويحبان اللقاء ؛ أم كان فراقاً بين عدوين تصادقا أولاً ثم تطورت بهما الأحوال حتى تشاحا وتنازرا فهارق كل منهما صاحبه غاضباً خنقاً يكيل له الشتم والسباب . تبدأ العلاقة بين أبي حيان وابن عباد بأن يسمع التوحيدي من أفواه الناس ان ابن عباد كريم النفس ؛ سخي اليد ؛ مسامح الكف ؛ يحب الأدب والادباء ؛ ويحترم العلم والعلماء ؛ ويسعى كثيراً في سبيل جذبهم اليه ؛ وجمعهم بمجلسه ؛ وضمهم في ركابه ، فيجمع أبو حيان حقائقه - وكانت مهنته الوراقة - ويدفعه حب الراحة والسلامة الى السفر الى الري والانخراط مع الادباء الذين وقفوا على باب الصاحب ، آملاً بأن يظفر من ابن عباد بالسعادة والمال ؛ ورغد العيش ؛ ورفاه الحياة ، والى ذلك يشير بقوله :

« إنما توجهت من العراق الى هذا الباب وزاحمت منتجمي هذا الربيع
لاتخلص من حرفة الشؤم » (١) .

(١) معجم الادباء : ٢٨/١٥ .

وحرفة الشؤم هي الوراقة يجدها وتعبها واتلافها العين وقتلها الوقت ، فأراد
 - بدخوله على ابن عباد والأنحراط في زمرة منتجعي ربيع - التخلص من
 وصب هذه الحرفة ، والتنعم بالحياة الوادعة المائعة البعيدة عن الأتعاب والمشقات .
 ويحدثنا أبو حيان عن اللقاء الأول للصاحب فيقول :
 « وأما حديثي معه - والضمير لابن عباد - فأتي حين وصات اليه قال لي :
 أبو من ؟ قلت : أبو حيان ، فقال : بلغني أنك تتأدب ، فقلت : تأدب
 أهل الزمان ، فقال : أبو حيان ينصرف أولاً ينصرف ؟ قلت : إن قبله
 مولانا لا ينصرف » (١) .

وهكذا تبدأ العلاقة بين أبي حيان وابن عباد ، ثم تنتهي بعد سنوات
 بأسوء نتيجة واوخم عاقبة ، فما هو السبب الرئيس في هذه النهاية المؤسفة ، ومن
 المسبب منهما لذلك ؟

وتتضح الإجابة على هذين السؤالين ، بل سوف يسبقني القارئ إلى
 الإجابة عليهما ، بعد الاطلاع على بعض مارواه أبو حيان في مثالب الوزيرين :
 أ - قال ابن عباد لأبي حيان : « الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب ،
 فقلت : أنا سامع مطيع ، ثم اني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلاً : إنما
 توجهت من العراق الى هذا الباب ، وزاحمت منتجعي هذا الربيع ، لأتخلص
 من حرفة الشؤم » (٢) .

ب - قال الصاحب يوماً : فَعَلَّ وأَفْعَال قليل ، وزعم النحويون انه
 ما جاء إلا زَنْد وأَزْناد وْفَرخ وأَفْرَاح وْفَرْد وأَفْراد . فقلت له : أنا أحفظ
 ثلاثين حرفاً كلها فعل وأفعال . فقال : هات يا مدعي ، فسردت الحروف
 ودلت على مواضعها من الكتب ، ثم قلت : ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا

(١) معجم الادباء : ٢٧/١٥ .

(٢) نفس المصدر : ٢٨/١٥ .

الحكم إلا بعد التبعر والسماع الواسع ، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً ، وهذا كقولهم : فعيل على عشرة أوجه ، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً ، وما انتهيت في التبعر الى أقصاه . فقال : خروجك من دعواك في فعل يدلنا على قيامك في فعيل ، ولكن لا نأذن لك في اقتصاصك ، ولا نهب آذاننا لكلامك ، ولم يف ما أتيت به بجرأتك في مجلسنا وتبسّطك في حضرتنا ^(١) .

ج - « حضرت مائدة الصاحب بن عباد فقدمت مضيرة فأمعنت فيها ، فقال لي : يا أبا حيان انها تضر بالمشايخ ، فقلت : إن رأى الصاحب أن يدع التطيب على طعامه فعل ^(٢) . »

د - « قال لي الصاحب يوماً - وهو يحدث عن رجل أعطاه شيئاً فتلكأ في قبوله - : « ولا بد من شيء يعين على الدهر » ، ثم قال : سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك فقلت : أنا أحفظ ذلك ، فنظر بغضب فقال : ما هو ؟ قلت : نسيت ، فقال : ما أسرع ذكرك من نسيانك ! قلت : ذكرته والحال سليمة ، فلما استحالت عن السلامة نسيت . قال : وما حيولتها ؟ قلت : نظر الصاحب بغضب فوجب في حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب . قال : ومن تكون حتى تغضب عليك ؟ دع هذا وهات . قلت : قول الشاعر :

الأم على أخذ القليل وإنما أصادف أقواماً أقل من الذر
فإن أنا لم آخذ قليلاً حُرِمته ولا بد من شيء يعين على الدهر
فسكت ^(٣) .

(١) معجم الادباء : ٢٦/١٥ .

(٢) نفس المصدر : ٧/١٥ .

(٣) نفس المصدر : ٣٣-٣٢/١٥ .

هـ - « قدّم إليّ نجاح الخادم - وكان ينظر في خزانة كتيبه - ثلاثين مجلّدة من رسائله وقال : يقول لك مولانا : انسخ هذا فانه قد طلب منه بخراسان ، فقلت بعد ارتياح : هذا طويل ، ولكن لو أذن لي لخرجت منه فقراً كالفرر ، وشذوراً كالدرر ، تدور في المجالس . كالشمات والدستنبوهات لورقي بها مجنون لأفاق ، أو نفت على ذي عاهة لبرأ ، لا أمل ولا تستغث ولا تعاب ولا تسترك ، فرفع ذلك اليه » (١) .

ولا اريد أن اطيل بسرد القصص والشواهد فقد حفظها ياقوت في معجمه عند ترجمته لأبي حيّان ، وحسبنا هذه النماذج الخمسة من تلك القصص شاهداً وبرهاناً ، إذ نجد فيها أبا حيّان سيء السيرة والسلوك مع هذا الرجل الطموح المعجب بنفسه ، والذي لا يعرف في الدنيا من هو أحسن منه ، أو لا يعترف بذلك - على الأقل - .

أرأيت كيف يظهر ثقافله من امتثال أمر ابن عباد بنسخ إحدى الكتب ؟
ثم أرأيت ردّه على صاحب في موضوع فعل وفعل ؟
ثم أرأيت مجابته الفظة للصاحب في موضوع المضيرة ؟
ثم أرأيت قراءته للبيتين الذين يحملان الطعن والتعريض بالصاحب ؟
وأخيراً أرأيت استهزاءه برسائل صاحب وإشارته الى ما فيها من غث وركاكة وعيب وملل ؟

وماذا كان يُنتظر من صاحب بعد فعل أبي حيّان هذا ؟
لقد كان صاحب رحماً جداً وحليماً الى حد بعيد ، إذ لم يؤاخذ أبا حيّان على أفعاله وأقواله بعقاب عملي من جلد أو سجن أو تعذيب ، بل كل ما فعله

انه أظهر له « كفه رار وجه ونبو طرف وقلة تقبّل » على حد تعبير أبي حيّان ، وهذا من أخف ألوان العقاب بل لا يعد في ذلك العصر من العقاب بشيء .

وإذا ؛ فالسبب الرئيس الذي أدّى الى هذه النهاية هو جهل أبي حيّان بما يجب عليه في مقابلات الوزراء والعظماء ، وعدم معرفته بالسبل التي ينبغي إتباعها الى قلب صاحبه ونفسه ؛ وبالطرق الجميلة التي يستطيع بواسطتها التخلص من جهد ما طلب منه من نسخ وكتابة ووراقة .

ومن هنا نعرف ان المسبب لهذه النهاية هو أبو حيّان نفسه ، من دون أن يكون لابن عباد قصد أو يد ، وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - فان الواجب على أبي حيّان ألا يلومن إلا نفسه ولا يثلبن إلا جهله . ويقول أبو حيّان في أثناء رسالته :

« وجرت أشياء كان عقباها اني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعاً الى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة ، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به وأحفظني عليه وجعلني من جميع غاشيته فرداً ؛ أخذت أُملي في ذلك بصدق القول عنه ، وسوء الثناء عليه ، والبادي أظلم » (١) .

ومن مجموع ما ذكرناه فيما مرّ نرى ان أبا حيّان قد حرّر هذه الرسالة وهو متأثر جداً من سوء صنيع الصاحب به - بحسب رأيه - ، مما أحفظه عليه وحرّضه على إملاء هذه الرسالة للحط منه ؛ والطعن فيه ؛ وسوء الثناء عليه ، مدفوعاً بدافع ألم الحرمان ؛ وألم الفشل والخيبة ؛ وألم الحقد والحسد والغيرة . ولما كان غرضه من تأليف هذه الرسالة ما ذكرناه من الحط من كرامة

(١) معجم الادباء : ٣٢/١٥ .

ابن عبّاد وتعداد مساويه ونقائضه ، لم يكن من اللائق بالباحث الذي يتحرى الدقة في البحث ، ويتطلب الصحة في النتائج ، أن يجعل هذه الرسالة مصدراً يرجع اليه ويعول عليه ، لاحتمال أن يكون المؤلف قد دس في كتابه كثيراً مما لا واقع له ، لغرض التشهير بعدوه وبيان عوراته ونخازيه .

واذا كنت في شك من دس أبي حيّان في رسالته هذه فلا اثبتة ولا انفيه فان ابن حجر كان قاطعاً به إذ يقول :

« وكان - يعني ابن عبّاد - ينفذ من يميل الى الفلسفة ، ولذلك أقصى أبا حيان التوحيدي فحملة ذلك على أن جمع مصنفاً في مثالبه أكثره مخلق »^(١) . وفي هذا الكتاب يقول ياقوت :

« ان أبا حيّان كان قصد ابن عبّاد الى الري فلم يُرزق منه ، فرجع عنه ذاماً له وكان أبو حيّان مجبولاً على الغرام بثلث السكرام ، فاجتهد في الغرض من ابن عبّاد ، وكانت فضائل ابن عبّاد تأتي إلا أن تسوقه الى المدح وايضاح مكارمه ، فصار ذمه له مدحاً »^(٢) .

وبناءً على النتيجة المستخلصة مما مر رأيت أن أهمل كل رواية أو قصة ينفرد بنقلها أبو حيّان ، وكذلك كل مدح أو طعن لم يروه غيره ، بخلاف ما اذا كانت رواية التوحيدي مؤيدة برواية اخرى عن غيره ، فاني استقبلها حينئذ بثقة واطمئنان ، ثم أحكم لها أو عليها تبعاً للشواهد والبرهان .

(١) لسان الميزان : ٤١٤/١ .

(٢) معجم الادباء : ١٨٧/٦ .

ولعل من أبرز صفات صاحبنا وخلائقه : هذا العجب الكبير بالنفس ، وهذا الشعور الطافح بالتفوق والتسامي ، وهذا الزهو والخيلاء الباديان في شعره ونثره ، وحر كاته وسكناته .

لقد كان ابن عباد معجباً بشعره ونثره ، وسياسته وإدارته ، وعلمه وأدبه ، وسائر أفعاله وأعماله ، وكان في الوقت نفسه مزدرياً لنتاج غيره ، مستصغراً من شأنه ، غير معترف بتفوق غيره عليه ، مهما بلغ من درجات العلم ومراقبه السامية ، بل ربما كان يرى في قرارة نفسه عدم وجود من يماثله ويشاكله على وجه المعمورة ، وإن لم يقل ذلك بصريح الكلام .

ولعلنا لا نعدم العذر لابن عباد في زهوه وعجبه بنفسه ، فانه داء لم يسلم منه شاعر أو أديب ، مهما كان شعره من سمو أو انحطاط ، متانة أو ركاسة ، فكيف به اذا جمع الى الشعر والنثر والاجادة فيهما - على الأكثر - هيبة السلطان ، وقوة الصولجان ، والامرة الكبرى ، والسلطة المطلقة ، وكيف به اذا شاهد شيوخ الأدب وشعراء العصر وادباء الجيل يفدون اليه وينثالون عليه ، ويلقون بأنفسهم بين يديه ، فانه من الطبيعي لرجل كهذا أن يبتلي بهذا الداء ، بل بأشد نوباته وأضرى هجماته .

وفي شرح ذلك يقول أبو حيّان :

« والذي غلّطه - يقصد الصاحب - في نفسه ، وحمله على الاعجاب بفضله والاستبداد برأيه ، انه لم يُجِبّه قط بتخطئة ، ولا قبول بتسوئة ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيدنا وصدق مولانا - ولله دره - ما رأينا مثله ، من ابن عبد كان مضافاً اليه ؟ ومن ابن ثوابة نقيسه عليه ؟ ومن ابراهيم

ابن العباس الصولي ؟ من صريع الغواني ؟ من أشجع السلمي ؟ اذا سلكا طريقهما . قد استدرك مولانا على الخليل في العروض ، وعلى أبي عمرو بن العلاء في اللغة ، وعلى أبي يوسف في القضاء ، وعلى الاسكافي في الموازنة ، وعلى ابن نوبخت في الآراء والديانات ، وعلى ابن مجاهد في القراءات ، وعلى ابن جرير في التفسير ، وعلى ارسططاليس في المنطق ، وعلى الكندي في الجدل ، وعلى ابن سيرين في العبارة ، وعلى أبي العيناء في البديهة ، وعلى ابن أبي خالد في الخط ، وعلى الجاحظ في الحيوان ، وعلى سهل بن هارون في الفقر ، وعلى يوحنا في الطب ، وعلى ابن يزيد في الفردوس ... الخ ، (١) .

ثم يقول بعد ذلك :

« وقد أفسده أيضاً ثقة صاحبه به وتعويله عليه وقلة سماعه من الناصح

فيه » (٢) .

وأني رجل يبلغ مثل هذه الدرجة من التعظيم والتقدير ، ويلقى هذا الاكبار والاحلال ، ويسمع كل هذا الاطراء والثناء من أميره وسائر من لديه ، ثم لا يتبلى بهذا المرض العضال ، ولا تقترب نفسه بالعجب والزهو والخيلاء - إلا من عصم الله - .

ولعلك الآن راغب في الاطلاع على أمثلة وشواهد ترشدنا الى حقيقة هذا الأمر ، وتدلنا على صدق ذلك فإليك منها :

أ - كان « يعمل في أوقات كالعيد والفصل شعراً ، ويدفعه الى أبي عيسى بن المنجم ويقول له : قد نخلت هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من المنشدين فيفعل ذلك أبو عيسى وهو بغدادى محكم

(١) معجم الادباء : ١٨٠-١٨١ .

(٢) نفس المصدر : ١٨٣/٦ .

قد شاخ على الخدائع وتحنك ، وينشد فيقول له عند سماعه شعره في نفسه
ووصفه بلسانه ومدحه من تحميره أعد يا أبا عيسى ، فانك والله مجيد ، زه
يا أبا عيسى قد صفا ذهنك ، وجادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ، ليس
هذا من الطراز الأول حين أنشدتما في العيد الماضي ؛ المجالس تخرج الناس ،
وتهب لهم الذكاء ، وتزيدهم الفطنة ، وتحول الكودن عتيقا ، والمحمر
جواداً ^(١) .

ب - « ناظر - ابن عبّاد - اليهودي رأس الجالوت في إعجاز القرآن ،
فراجعه اليهودي فيه طويلاً ، وماتنه قليلاً ، وتذكر عليه حتى احتد وكاد
يتقد ، فلما علم انه قد سجر تنوره ، وأسعط انفه ، احتال طلباً لمخادعته ،
ورفقاً به في مخاتلته ، فقال : أيها صاحب فلم تتقد وتستشيط ، وتلهب
وتختلط ، كيف يكون القرآن عندي آية ودلالة ومهجة من جهة نظمه وتأليفه ؟
فان كان النظم والتأليف بديعين ، وكان البلغاء فيما تدعي عنه عاجزين وله
مدعين فبأنا أصدق عن نفسي وأقول ما عندي : ان رسائلك وكلامك وفقرك
وما تألفه وتباده به نظماً ونثراً هو فوق ذلك أو مثل ذلك وقريب منه ، وعلى
كل حال فليس يظهر لي انه دونه ، وان ذلك سيستعلي عليه بوجه من وجوه
الكلام ، أو بمرتبة من مراتب البلاغة ، فلما سمع ابن عبّاد هذا فتر وخمد ،
وسكن عن حركته ، وانحصر ورمه به ، وقال : ولا هكذا يا شيخ ،
كلامنا حسن وبليغ ، وقد أخذ من الجزالة حظاً وافراً ، ومن البيان نصيباً
ظاهراً ، ولكن القرآن له المزية التي لا تجهل والشرف الذي لا يخمل .. الخ » ^(٢)

(١) معجم الادباء : ١٧٧/٦ - ١٧٨

(٢) نفس المصدر : ٢١٨/٦ - ٢١٩

ج - « قال ابن عباد يوماً : كان أبو الفضل - يعني ابن العميد - سيداً ، لم يشق غبارنا ، ولا أدرك شوارنا ، ولا مسح عذارنا ، ولا عرف غرارنا ، لا في علم الدين ، ولا فيما يرجع الى نفع المسلمين وولدت والشعري في طالعي ، ولولا دقيقة لأدركت النبوة ، وقد أدركت النبوة إذ قت بالذب عنها والنصرة لها » (١) .

د - « كان عنده أبو طالب العلوي - كان اذا سمع منه كلاماً يسجع فيه ، وخبراً ينمقه ويرويه ، يبلق عينيه ، وينشر منخريه ، ويرى انه قد لحقه غشي حتى يرش على وجهه ماء الورد ، فاذا أفاق قيل : ما أصابك ؟ ما عراك ؟ ما الذي نالك وتفساك ؟ فيقول : ما زال كلام مولاي يروقي ويؤتقني حتى فارقت لي وزايلني عقلي وتراخت مفاصلي وتخاذلت عرى قلبي وذهل ذهني وحيل بيني وبين رشدي ، فيتمهل وجه ابن عباد عند ذلك وينتفش ويضحك عجباً وجهلاً ، ثم يأمر له بالحباء والتكرمة ، ويقدمه على جميع بني أبيه وعمه » (٢) .

هـ - « نزل بالصيمرة عند عوده من الأهواز ، فدخل عليه شيخ من زهاد المعتزلة يعرف بعبد الله بن اسحاق ، فقام له ، فلما خرج التفت كافي الكفاة وقال : ماقت لأحد مثل هذا القيام منذ عشرين سنة ، وإنما فعل ذلك به لزهده ، فانه كان أحد أبدال دهره ، فأما العلم فقد كان يرى من هو أعلم منه فلا يحفل به » (٣) .

و - « ورد الى صاحب رجل من أهل الشام فكان فيما استخبره عنه :

(١) معجم الادباء : ٢٣٣/٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢٣٧/٦ .

(٣) نفس المصدر : ٢٤٦-٢٤٧/٦ .

رسائل مَنْ تقرأ عندكم ؟ فقال : رسائل ابن عبد كان . قال : وَمَنْ ؟ قال :
رسائل الصابي ، وغمزه أحد جلسائه ليقول : رسائل الصاحب فلم يظن ،
ورآه الصاحب فقال : تغمز حماراً لا يحس ، (١) .

ز - « لم يكن يقيم لأحد من الناس ولا يشير الى القيام ولا يطعم أحد
منه في ذلك كائناً من كان » (٢) .

ح - يقول الصاحب في إحدى قصائده :

المجد أجمع ما حوته يميني	والفخر يصغر أن يكون خديني
والدهر موطأ أخصي والناس بذ	لة ملبسي والرأي بهض ظنوني
والجود يركع خاضعاً لأناملي	والبدر يسجد خاشعاً لجميني
والحرب بين صرائمي وصواري	إن جاطحون رجائها بزبون (٣)

(١) معجم الادباء : ٢٥٨/٦ .

(٢) بغية الوعاة : ١٩٧ .

(٣) ديوانه المخطوط : ١١٦ - نسخة مصورة بمكتبتي الخاصة - .

وبالرغم من هذا العُجب القوي المنصب على نفسه ؛ وهذا الرضا والانس بكل ما يصدر منه ، فانه كان لين الجانب ؛ واسع الصدر ؛ كثير التحمل ؛ طرياً الأخلاق ؛ جماً التواضع ؛ وتلك صفات يقل بل ينذر تغلفها في نفوس الأمراء والوزراء في تلك العهود الغابرة .

ونظراً لكثرة ما روي في التاريخ عن تواضع ابن عبّاد وجميل خلقه وكريم خلاله ، فاننا لا نستطيع أن نهمل هذه الكثرة لمجرد تسجيل حادثة أو حادثتين لم يكن فيها اسماعيل متواضعاً - بالمعنى المعروف - .

ومع غض النظر عن كثرة تلك وقلة هذه ، فاننا إذ نجد من صاحبنا ما ينافي المشهور عنه والمعروف من خلقه ؛ ثم نحرم الدليل على معرفة شاهد الحال وحقيقة الوضع حين حدوث الحادثة ، لا يمكننا الانسياق مع هذه النصوص والجري وراءها ، وهي - كما قلنا - كال دعاوى المجردة عن الشاهد والدليل ، فكيف بنا اذا علمنا ان هذه الحوادث قد سجلت بأقلام أعداء اسماعيل والحاquدين عليه كأبي حيان واضرابه ممن عرفوا بالشفف بثلب الكرام ، فلا مناص إذن من إهمال هذه القصص والأخبار ما دما في شك منها ومن واقعها الصحيح .

ومما احتفظ به التاريخ من الدلالة على مقدار التواضع الذي كان يتحلّى به اسماعيل هذه المطارحات الشعرية بينه وبين أبي هاشم العلوي .

يقول صاحب لأبي هاشم :

إن أبا هاشم يد الشرفِ مادحه آمنٌ من السرفِ
حلٌ من المجد في أواسطه وخلف العالمين في طرفِ

ويقول أبو هاشم مخاطباً الصاحب :

واذا الكريم نبت به أيا - لم ينتعش إلا بعون كريم
فأعن على الخطب العظيم فأنما يرجي الكريم لدفع كل عظيم
وكتب الصاحب لأبي هاشم في مرضه :

أبا هاشم مالي أراك عليلاً ترفق بنفس المكررات قليلاً
لترفع عن قلب النبي حزازة وتدفع عن صدر الوصي غليلاً
فلو كان من بعد النبيين معجز كنت على صدق النبي دليلاً
فأجابه أبو هاشم :

دعوتُ إله الناس شهراً محرماً ليدفع سقم الصاحب المتفضل
إلى بدني أو مهجتي فاستجاب لي فها أنا - مولانا - من السقم ممثلي
فشكراً لربي حين حوّل سقمه إليّ وعافاه ببرء معجّل
وأسأل ربي أن يديم علاه فليس سواء مفزع لبني علي
فردّ الصاحب عليه بقوله :

أبا هاشم لم أرض هاتيك دعوة وإن صدرت عن مخلص متطول
فلا عيش لي حتى تدوم مسلماً ومصرف الليالي عن ذراك بمعزل
فإن نزلت يوماً بجسمك علة وحاشاك فيها يا علاء بني علي
فناد بها في الحال غير مؤخر إلى جسم اسماعيل دوني تحولي^(١)
أرأيت هذه العاطفة الجياشة والتواضع الجم والأدب الرفيع والخلق
الورين ؟ أنظم هذه الأبيات رجل متكبر متجرف بعيد عن التواضع والرفقة
ولين الجانب ؟

ويقول الصاحب لأبي بشر الجرجاني - قاضي جرجان - وقد اعتل :
تشكى الفضل من سقم عراه فأنَّ الفضلُ أجمع من أئنه
وعاد بعقوتي يشكو جواه كما يحنو القرين على قرينه
فقلت له : وقاك الله فيه فان السعد يطلع من جبينه
هو العين التي أبصرت فيها وصار سواد عيني في جفونه
ستفديه يعني لا شمالي فعين المرء خير من يمينه^(١)

ومما يروى عن اسماعيل انه كان يتلقى أبا الحسن الجرجاني في بلده جرجان
أكثر مما يتلقاه به في سائر البلاد ، قال : وقد استعففته يوماً من فرط تحفيه بي
وتواضعه لي فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدّه من فملاك الحسن
فالعزُّ مطلوب وملتمس وأعزّه ما نيل في الوطن^(٢)
الى كثير من أمثال ذلك مما تراه مفعماً بالعطف واللين والتواضع والخلق
الجميل الكريم .

(١) يتيمة الدهر : ٤٥/٤ .

(٢) النشر الفنى : ٩-٨/٢ .

ومما يرويه أبو حيان من مثالب ابن عباد قوله :
« الناس كلهم يحجمون عنه لجراته وسلطته واقتداره وبطشته ، شديد
العقاب ... بذيء اللسان ... مغلوب بحرارة الرأس ، سريع الغضب . الخ » (١)
ثم يروي أبو حيان في أثناء رسالته من الأمثلة على ذلك هذه القصة :
« قل يوماً صدر قول الشاعر :

والمورد العذب كثير الزحام

فسكتت الجماعة ، فقال ابن الداري :

يزدحم الناس على بابه

فأقبل عليه بغيظ ، وقال : ما عرفتك إلا متعجرفاً جاهلاً ، أما كان
لك بالجماعة أسوة ؟ » (٢) .

ولا يمكنني تصديق أبي حيان والاعتراف بصدق ما قال ، بعدما قرأت في
التاريخ عدة حكايات رُويت عن ابن عباد ، وكلها تنتهي بحلمه وعفوه وسعة
صدره وكظمه لغيظه ، وامل من أوضح ما يصلح أن يكون رداً على أبي حيان
وبرهاناً على وضعه لقصة ابن الداري - السالفة الذكر - ما رواه ياقوت في قصة
مشابهة إذ يقول :

« قال أبو بكر الخوارزمي : أنشدنا صاحب هذه القوافي ليلة - وذكر
الآبيات - وقال : هل تعرفون نظير ألمعناها في شعر المحدثين ؟ فقلت :
لا أعرف إلا قول البحري :

(١) معجم الادباء : ١٧٥/٦ - ١٧٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢٢٦/٦ .

ومن عجب الدهر أن الأُمير أصبح أكتب من كاتبه
قال : فقال : جوّدت وأحسنّت . هكذا فليكن الحفظ ، (١) .

ثم حسبنا في معرفة حمله ما نقرأه في القصص الآتية :

أ - « كان قاضيه - عبد الجبار المعتزلي - يكتب في عنوان كتابه : الى
الصاحب . داعيه عبد الجبار بن أحمد ، ثم كتب : وليه عبد الجبار بن أحمد ،
ثم كتب : عبد الجبار بن أحمد ، فقال الصاحب لندمائه : أظنه يؤول أمره
الى أن يكتب : الجبار » (٢) .

ب - يقول أبو حيان : « أنشدت يوماً على باب ذاك - يعني ابن العميد -
قول الشاعر :

إذا لم يكن للمرء في ظل دولة جمال ولا مال تمنى انتقالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه يؤمل أخرى فهو يرجو زوالها
فرفع اليه إنشادي فأخذني وتوعدني وقال : انج بنفسك فاني إن رأيتك
بعد هذا أولفت الكلاب دمك ، وكنت قاعداً على باب هذا منذ أيام
فأنشدت البيتين على سهو فرفع الحديث اليه فدعاني ووهب لي دريهمات
وخرىقات وقال : لا تتمنّ انتقال دولتنا بعد هذا » (٣) .

ج - « قال قوم من أهل اصبهان لابن عبيد : لو كان القرآن مخلوقاً لجاز
أن يموت ، ولو مات القرآن في آخر شعبان بماذا كنّا نصلي التراويح في رمضان؟
قال : لو مات القرآن كان رمضان يموت أيضاً ويقول : لا حياة لي بعدك
ولا نصلي التراويح ونستريح » (٤) .

(١) معجم الادباء : ٣١٠/٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢٥٧/٦ - ٢٥٨ .

(٣) نفس المصدر : ٢٢٧/٦ .

(٤) نفس المصدر : ٢١٨/٦ .

د - حدث صاحب فقال : « ما أفضعني إلا شاب ورد علينا الى اصبهان بغدادي فقصدني فأذنت له ، وكان عليه مرقعة وفي رجله نعل طاق ، فنظرت الى حاجبي فقال له وهو يصعد إلي : اخلع نعلك ، فقال : ولم ولعلي أحتاج اليها بعد ساعة ، فغلبني الضحك وقلت : أترأه يريد أن يصفعني ؟ » (١) .

ه - « كان مكّي المنشد قديم الصحبة والخدمة للصاحب فأساء اليه غير مرة والصاحب يتجاوز له ، فلما كثر ذلك منه أمر صاحب بحبسه » (٢) .

و - كان صاحب قد « استدعى يوماً شرباً من شراب السكر فجيء بقدر منه فلما أراد شربه قال له بعض خواصه : لا تشربه فانه مسهوم ، فقال له : وما الشاهد على صحة ذلك ؟ قال بأن تجربته على من أعطاكه . قال : لا استجيز ذلك ولا استحلّه ، قال : فجربه على دجاجة . قال : ان التمثيل بالحيوان لا يجوز ، وأمر بصب ما في القدر ، وقال للغلام : انصرف عني ولا تدخل داري بعدها وأقرّ رزقه عليه وقال : لا تدفع اليقين بالشك ، والعقوبة بقطع الرزق ندالة » (٣) .

ز - « قال صاحب : ما اخمني أحد كالبيهي ، فانه كان عندي يوماً وأتينا بفأكمة ومشمش فأمن فيه ، فاتفق اني قات : إن المشمش يلمطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني الميزبان اذا تطيب » (٤) .

ومن التأمل في هذه النصوص نجد صفة الحلم عند اسماعيل بارزة جليلة لكل ذي عينين ، فقاضيه يتدرج في تكبره عليه فلا يغيظه ذلك ، وأبو حيان

(١) معجم الادباء : ٢١٤/٦ .

(٢) معجم الادباء : ١٨٦/٦ .

(٣) نفس المصدر : ١٨٥/٦ ، وانظر في قصة الكأس : البداية والنهاية :

٣١٥/١١ ومعاهد التنصيص : ١٥٤/٢ ، والمنتظم : ١٨١/٧ .

(٤) يتيمة الدهر : ١٧٦/٣ .

يتمنى زوال دولته فلا يزيد ويرعد - كما فعل ابن العميد - ، وبعض أهل
اصبهان يستهزأون بذهابه الى كون القرآن مخلوقاً فينساق معهم في تدرهم ،
وشاب لا يرضى بخلع نعليه في مجلسه فلا يبدو التأثر عليه ، وخادمه مكى يسيء
مراراً فيعفو عنه ، وخادم آخر يأتيه بالشراب المسموم فلا يأمر بقتله ، بل
يديم له راتبه ورزقه الشهري ، الى كثير من أمثال ذلك مما يضيق به المجال .
وهل يكون كل ذلك صادراً من رجل سليط شديد العقاب بذي اللسان ؛
مغلوب بحرارة الرأس ؛ سريع الغضب ؛ قوي البطش - كما يدعي
أبو حيّان - .

يقول أبو حيان في ذلك :

« شديد العقاب طفيف الثواب » (١) .

ويقول أيضاً :

« إن عطاء ابن عباد لا يزيد على مائة درهم وثوب الى خمسمائة ، وما يبلغ الى الألف نادر ، وما يوفي على الألف بديع . بلى قد نال به ناس من عرض جاهه على السنين ما يزيد قدره على هذا بأضعاف ، وعدد هؤلاء قليل جداً » (٢) .

ويقول أبو العلاء الأسدي :

إذا رأيت مسجئ في مرقعة يأوي المساجد حراً ضره بادي
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت به الخطوب الى لؤم ابن عبّاد (٣)
ويقول أبو بكر الخوارزمي :

لا تحمدن ابن عبّاد وإن هطلت كفاه يوماً ولا تدمه إن حرما
فانها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً (٤)
ويقول أبو الحسن الغوري :

إن كان اسماعيل لم يدعني لأن أكل الخبز صعب عليه
فانتي آكل في منزلي اذا دعاني ثم أمضي اليه (٥)
ومن هذه الجمل المنشورة والأبيات المتفرقة نرى أن هؤلاء الرجال قد حكموا

-
- (١) معجم الادباء : ١٧٥/٦ .
(٢) معجم الادباء : ٢٣٦-٢٣٧/٦ .
(٣) معجم الادباء : ٢٩٣/٦ ، ويتيمة الدهر : ٢٥١/٣ .
(٤) معجم الادباء : ٢٥٦/٦ .
(٥) يتيمة الدهر : ٢٥٢-٢٥١/٣ .

على ابن عباد بالبخل والشح واللؤم ، وتفاهة العطاء ، وتطفيف الثواب ،
وقلة البذل ، بالشكل الذي يبخل فيه الصاحب بأكل الخبز في داره ، وبنحو
يوجب أن يلقب قاصده بالمسكين الذي قذفت به الخطوب ، فاذا أراد أن
يعطي شيئاً أو يمنح أحداً فما ذاك إلا خطرات من وساوسه ، فهو يعطي ويمنع
لا بخلاً ولا كرمًا .

واني لأعجب من رجل كالصاحب يبخله الذي ينسبه هؤلاء له ، وبهذا
المقدار الكبير من الخساسة والدناءة والشح ، كيف مدحه خمسمائة شاعر من
أرباب الدواوين^(١) ، وكيف تهافت العلماء والأدباء على باب داره بهذا الشكل
الفذ العظيم ، حتى « شبهه مادحوه بهارون الرشيد ، وذلك لأنه أشبه الرشيد
بأن جمع حوله أحسن أهل اللسن »^(٢) ، وهل يتم ذلك لأحد بغير البذل
والكرم والعطاء والسخاء؟ .

نعم . لقد كان اسماعيل سخي اليد كريم النفس كثير العطاء ، ولا كنهه
لم يكن يعطي كل شاعر وأديب مجرد أدبه وشعره ، من دون ملاحظته لمقدار
علاقة هذا الشاعر أو الأديب بمجلسه وبشخصه ، ولهذا نجده قد حرم أبا حيان
والخوارزمي والأسدي والغوري من عطائه فحسبوا ذلك بخلاً ، أو أرادوا
إيهام الناس فعدوا ذلك من البخل ، وما هو منه بشيء ، وأي كريم أو جواد
في التاريخ بعثر أمواله ونثرها على أعدائه الحاقدين عليه والطاعنين فيه ؟ .
وحسبنا في معرفة هذه الصفة من صفاته الخلقية أن نقف على النصوص
التالية :

أ - « كان ما يخرج لكافي الكفاة في السنة في وجوه البر والصدقات

(١) معجم الادباء : ٢٥٧/٦ .

(٢) تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع : ١٣٤/١ .

والمبرات وصلات الأشراف وأهل العلم والغرباء الزوّار ومن يجري مجرى ذلك مما يتكلفه ويريد به صيت الدنيا وأجر الآخرة يزيد على مائة ألف دينار»^(١).

ب - « كان الصاحب أبو القاسم يراعي من ببغداد والحرمين من أهل الشرف وشيوخ الكتاب والشعراء وأولاد الأدباء والزهاد والفقهاء بما يحمله اليهم في كل سنة مع الحاج على مقاديرهم ومنازلهم »^(٢).

ج - روى عوف بن الحسين الهمداني التميمي : « قال : كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب فرأيت في ثلب الحسابات . . . مبلغ عمائم الخز التي صارت في تلك الشتوة في خلع العلويين والفقهاء والشعراء سوى ما صار منها في خلع الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين »^(٣).

د - رأى أبو القاسم الزعفراني الشاعر جميع الخدم والحاشية في دار الصاحب وهم يرفلون بالخزوز الملونة الفاخرة فنظم هذه الأبيات وأنشدها بين يدي ابن عباد :

سواك يعد الغنى ما اقتنى	ويأمره الحرص أن يخزنا
وانت ابن عباد المرتجى	تعد نوالك نيل المنى
وخيرك من باسط كفه	وممن ثناها قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى	فأصغر ما مأكوه الغنى
وغادرت أشعرهم مفحماً	وأشكرهم عاجزاً ألكمنا
أيا من عطاياه تهدي الغنى	الى راحتى من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائري	ن كساً لم نخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في	ضروب من الخز إلا أنا

(١) معجم الأدباء : ٢٤٩/٦ .

(٢) نفس المصدر : ٣٠٠/٦ .

(٣) نفس المصدر : ٢٦٩/٦ .

« فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة ان رجلا قال له : احملي ، فأمر له بفرس وبغلة وحمار وناقة وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله خلق مركوباً غيرها لملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخبز بحبة وقميص وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخبز لأعطيناه . » ثم أمر بادخاله الى الخزانة ، وصيرت تلك الخلع اليه ، وسلم ما فضل عن ابسه في الوقت الى غلامه « (١) .

هـ - « مرض مرة بالاسهال ، فكان كلما قام عن المطهرة وضع عندها عشرة دنانير لئلا يتبرم به الفراشون فكانوا ياتمنون لو طالت علته ، ولما عوفي أباح للفقراء نهب داره وكان فيها ما يساوي نحواً من خمسين ألف دينار من الذهب » (٢) .
و - « كان لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده ، وكانت داره لا تخلو كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلواته وصدقاته وقرباته في هذا الشهر مثل ما يجري منه في جميع شهور السنة » (٣) .

ز - « كان ينفذ الى بغداد في السنة خمسة آلاف دينار تفرق على الفقهاء والأدباء » (٤) .

ح - أجمع الشراء الذين شاركوا في رثائه على ذكر كرمه وجوده وصلاته

(١) معجم الادباء : ٢٦٩/٦ - ٢٧٠ ، وانظر : معاهد التنصيص : ١٥٣/٢ ، وبيتية الدهر : ١٧١/٣ ، ووفيات الاعيان : ٢٠٧/١ ، وشذرات الذهب : ١١٤/٣ .

(٢) البداية والنهاية : ٣١٥/١١ ، وانظر : معاهد التنصيص : ١٥٧/٢ ، والمنتظم : ١٨١/٧ .

(٣) هدية الاحباب : ١٧٠ ، وانظر : الكنى والالقب : ٣٧٠/٢ ، ومعاهد التنصيص : ١٥٤/٢ ، والبيتية : ١٧٤/٣ .

(٤) معاهد التنصيص : ١٥٧/٢ ، وانظر : المنتظم : ١٨٠/٧ ، والبدية والنهاية : ٣١٤/١١ - ٣١٥ .

وعطاياه ، وشعر الرثاء - بعد فقد الرجل وعدم وجود من يُخشى أو يُرجى من
ذوي قرباه - أصدق الشعر وأبعثه من القلب ؛ وأخلاه من الكذب والوضع
والتلفيق ، ونقتصر من مجموع تلك القصائد على أبيات من قصيدة الشريف الرضى :
يا طالب المعروف حلق نجمه حطّ الحمول وعطلّ الأجالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذي كان الأنام على نداء عيالا (١)

الى أن يقول :

هيئات فاتهم تراث مخاطر حفظ الثناء وضيّع الأموال
قد كان أعرف بالزمان وصرفه من أن يشتّر أو يجمع مالا
مفتاح كل ندى ورب معاشر كانوا على أموالهم أقفالا (٢)

ويقول فيها :

قالوا - وقد فجنوا بنعشك سائراً :- من ميّـل الجبل العظيم فما لا ؟
فتبادروا عظمّ الجيوب وعاجلوا عضّ الأنامل يمنة وشمالا
ما شققوا إلا كسك وآلوا إلا أنامل نلن منك سجالا
من ذا يكون معوضاً ما مزقوا ومعوّلاً لمؤمل وثمالا ؟
فرغت أكفّ من نوالك بعدها وأطال عظم مصابك الاشعالا (٣)

وبهذا القدر من الشواهد التاريخية أكتفي عن التطويل والتفصيل ، وقد
عرفنا منها ان صفة الكرم من الصفات المتأصلة المتمركزة في نفس الصاحب ،
وان ما يروى في خلاف ذلك إما أن يكون مدسوساً لا واقع له ، أو له واقع
خاص يختلف عن سرد الرواية وتصويرها .

(١) ديوان الشريف الرضى : ٣٧٩ .

(٢) ديوان الشريف الرضى : ٣٨٢ .

(٣) ديوان الشريف الرضى : ٣٨٢ ، وانظر في مراثى الصاحب : يتيمة

الدهر : ٢٥٤/٣ وما بعدها ، ومعجم الادباء : ٢٧٦/٦ و ٢٩٥ ، وعدة

أماكن متفرقة اخرى في الكتاب .

بالرغم من فارسية ابن عبّاد وأعجميته ؛ فقد كان عدواً للشعوبية ؛ مبغضاً
للتعصب الأعجمي ، بل كان - على حد تعبير الشيخ الحر العاملي - : « أعجمياً
إلا أنه يفضل العرب على الأعجم »^(١) .

ومما يروى عنه في ذلك قوله مخاطباً رجلاً يتعصب للأعجم ويعيب العرب
بأكل الحيات :

يا عائب الأعراب من جهله لأكلها الحيات في الطعم
فالأعجم طول الليل حياتهم تنساب في الأخت وفي الأم^(٢)

وروى عبد الرحيم العباسي بهذا الصدد هذه القصة :

« قال بديع الزمان الهمداني : كنت عند صاحب بن عبّاد فأناه رجل

بقصيدة يفضل فيها الأعجم على العرب ، وهي :

غنيّا بالطبول عن الطول	وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهاني عقاري عن عقاري	ففي آست أم القضاة مع العدول
فلست بتارك إيوان كسرى	لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب بالفلأ ساع وذئب	بها يعوي وليث وسط غيل
إذا ذبحوا فذلك يوم عيد	وإن نحروا ففي عرس جليل
يسلون السيوف برأس ضب	هراشاً بالفداة وبالأصيل
بأية رتبة قدمتموها	على ذي الأصل والشرف الجليل
ألا لو لم يكن للفرس إلا	نجار الصاحب العدل النبيل

(١) أمل الآمل : ٤٦٢ .

(٢) يتيمة الدهر : ٣ / ٢٤٤ .

اكان لهم بذلك خير عز وجليلهم بذلك خير جيل
فلما بلغ الى هنا قال له الصاحب : قدك ، ثم اشرأب ينظر الى الزوايا
وأطراف القوم فلم يرني ، وكنت في زاوية من زوايا البيت ، فقال : أين
أبو الفضل ؟ فوثبت وبست الأرض بين يديه ، فقال : أجبه عن ثلاثتك .
قلت : وما هي ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك ، فقلت - ولا مهلة للقول
إلا بما تسمع - :

أراك على شفا خطر مهول	بما أودعت نفسك من فضول
طلبت على مكارمنا دليلاً	متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضارين جزى عليهم	فأي الخزي أقعد بالذليل
متى فرع المنابر فارسي ؟	متى عرف الأغر من الحجول ؟
متى علقت - وأنت بهم زعيم -	أكف الفرس أعراف الخيول
فخرت بملء ماضيتك فخراً	على قحطان والبيت الأصيل
وحقك أن تبارينا بكسرى	فما ثور ككسرى في الرعيل
فخرت بنحو ملبوس وأكل	وذلك فخر ربات الحجول
تفاخرهن في خد أسيل	وفرع من مفارقها رسيل
فأمجد من أبيك اذا أثرنا	عراة كالليوث وكالنصول

قال : فلما أجبه به هذه الأبيات نظر الصاحب بن عباد الى الرجل فقال :
كيف ترى ؟ قال : لو سمعت به ما صدقت ، قال : فاذن جائزتك إن
وجدتك بعدها في مملكتي أمرت بضرب عنقك ، ثم قال : لا ترون رجلاً
يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية يرجع اليها ^(١) .

(١) معاهد التنصيص : ١٥٥/٢ .

مذهب الديني

أن يكون صاحب بن عبّاد مسلماً راسخ الإيمان صادق الاعتقاد صريح الاعتراف بالاصول الاسلامية قويّ الدفاع عن الدين ؛ فهو أمر مفروغ عنه لدى المؤرخين ، حيث أجمعوا على ذلك ؛ وحيث صرحت كلمات صاحب به في سائر كتبه الكلامية ومؤلفاته العقائدية وشعره الديني .

أما النزاع المسجّل الماثل في كتب التاريخ فيدور حول تعيين الطريقة المذهبية التي اختارها ابن عبّاد لنفسه ، فقد عُدد في عداد الشيعة الامامية والزيدية والمعتزلة والحشوية والحنفية والشافعية ؛ من دون أن يحاول هؤلاء المؤرخون على كثرتهم تمحيص النقول واستخلاص الواقع المندس خلال هذه الأقاويل ، فرأيت الواجب العلمي يدعوني الى الوقوف عند هذه النقطة الغامضة من تاريخ صاحب وقفةً تحل الغموض وتجلو الواقع ؛ فلعلي اوفق الى كشف المجهول وإزاحة الالتباس .

واسجل فيما يلي - مقدمة لبحث الموضوع - سائر أقوال المؤرخين ونقولهم ، ليلمس القارئ بنفسه مقدار الاضطراب الذي منيت به هذه الناحية من حياة ابن عبّاد في كتب التاريخ .

١ - كان شيعياً إمامياً :

أ - قال ابن أبي طي : « كان إمامي الرأي ، وأخطأ من زعم انه كان

معتزلياً قال : وشهد الشيخ المفيد بان الكتاب الذي نسب الى صاحب
في الاعتزال وضع على لسانه ونسب اليه وليس هو له « (١) .

ب - قال ابن العماد : « وكتاب الامامة يذكر فيه فضائل علي رضي الله
عنه ويثبت إمامته على من تقدمه ، لأنه كان شيعياً » (٢) .

ج - قال محمد تقي المجلسي : « كان من أفقه فقهاء أصحابنا المتقدمين
والتأخرين ، وكل ما يذكر من العلم والفضل فهو فوقه » (٣) .

د - لما توفي صاحب قال عبد الجبار القاضي المعتزلي : « لا أرى الترحم
عليه لأنه مات عن غير توبة ظهرت منه » (٤) ، وفي لسان الميزان انه قال :
« كيف أصلي على هذا الرافضي ؟ » (٥) .

هـ - قال الشيخ الصدوق محمد بن علي المعروف بابن بابويه القمي في مقدمة
كتابه « عيون أخبار الرضا » : « وقع إلي قصيدتان من قصائد صاحب الجليل
كافي الكفاة أبي القاسم اسماعيل بن عباد اطال الله بقاءه ، وأدام دولته
ونعماءه ، وسلطانه وإعلاءه ، في إهداء السلام الى الرضا علي بن موسى
فصنفت هذا الكتاب لخزائنه المعمورة ببقائه ، إذ لم أجد شيئاً آثر عنده
وأحسن موقعاً لديه من علوم أهل البيت عليهم السلام ، لتعلقه بجهنم ،
واستمسكه بولايتهم ، واعتقاده بفرض طاعتهم ، وقوله بامامتهم ، وإكرامه
لذريتهم ، أدام الله عزه واحسانه الى شيعتهم ، قاضياً بذلك حق إنعامه علي » .

-
- (١) لسان الميزان : ٤١٦/١ .
(٢) شذرات الذهب : ١١٥/٣ .
(٣) أعيان الشيعة : ٣٣٤/١١ .
(٤) ذيل التجارب : ٢٦٢ ، والكامل : ١٧٠/٧ ، ومعجم الادباء : ٢٩٩/٦ .
(٥) لسان الميزان : ٤١٦/١ .

ومتقرباً به إليه لأ ياديه الزهر عندي ومنته الغرّ لدي» (١) .

كما صرّح بتشييعه كلّ من :

أبي علي محمد بن اسماعيل	في منتهى المقال : ٥٦
محمد بن الحسن الحر العاملي	في أمل الآمل : ٤٣
أبي القاسم القوبائي	في الارشاد : ٣١
البهائي محمد بن الحسين	في » : ٣٢ - ٣٣
القاضي نور الله المرعشي	في أعيان الشيعة : ١١ / ٣٦٣
ابن شهر آشوب	في معالم العلماء : ١٣٦
محمد باقر المجلسي	في بحار الأنوار : ١ / ١٦
محمد باقر الخونساري	في روضات الجنات : ١٠٥
السيد محسن الأمين	في أعيان الشيعة : ١١ / ٣٦٣
السيد حسن الصدر	في تأسيس الشيعة : ١٥٩
الشيخ آقا بزرك الطهراني	في الذريعة : ١ / ٥٦ و ٤ / ٢١
الشيخ عباس القمي	في تنمة المنتهى : ٢ / ٤٥٨
الشيخ عبد الحسين الأميني	في الغدير : ٤ / ٥٥
الشيخ عبد العزيز الجواهري	في آثار الشيعة الامامية : ٤ / ٨٥

٢ - كان معتزلياً :

أ - خاطب الأمير فخر الدولة وزيره ابن عباد فقال : « بلغني انك

تقول : ان المذهب مذهب الاعتزال .. » (٢) .

(١) عيون أخبار الرضا : ٣ .

(٢) معجم الادباء : ٦ / ٢٨٤ .

ب - قال الصفدي : « ومن المعتزلة أبو القاسم اسماعيل بن عباد » ^(١) .
ج - قال ابن حجر : « كان صدوقاً إلا انه كان مشتهراً بمذهب المعتزلة داعية اليه » ^(٢) .

د - قال أبو حيان التوحيدي : « كان لابن عباد قوم يسميهم الدعاة يأمرهم بالتردد الى الأسواق وتحسين الاعتزال للبقال والطار والخباز ونحو ذلك » ^(٣) .

وقال : « والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة وكتابه مهجنة بطرائقهم » ^(٤) .

وقال لما غضب صاحب عليه حينما بلغه استهزاء التوحيدي برسائله : « حتى كأني طعنت في القرآن أو رميت الكعبة بمخرق الحيض أو عقرت ناقة صالح أو سلحت في برز زمزم أو قلت : كان النظام مأبوقاً أو مات أبو هاشم في بيت خمار أو كان عباد معلماً صبيان » ^(٥) .

وقال : « قال ابن عباد في الخلوة وقد جرى حديث المذهب : كيف أترك هذا المذهب - يعني الاعتزال - وقد نصرته وأشهرت نفسي به وعاديت الصغير والكبير عليه وانقضى عمري فيه » ^(٦) .

ه - قال الدكتور أحمد أمين : « والصاحب بن عباد كان يعتقد مذهب الاعتزال وينصره وبذلك اعتنق كثير من أهل هذه البلاد الاعتزال » ^(٧) .

(١) الكشكول للبهائي : ٢١٢ .

(٢) لسان الميزان : ٤١٣/١ .

(٣) لسان الميزان : ٤١٥/١ .

(٤) الامتاع والمؤانسة : ٥٤/١ .

(٥) معجم الادباء : ٣٥-٣٤/١٥ .

(٦) لسان الميزان : ٤١٥/١ .

(٧) ظهر الاسلام : ٢٤٩/١ .

وقال : « كان صاحب بن عبّاد نصر الاعتزال وقرب اليه المعتزلة
إذ كان معتزلياً » (١) .

و - قال الدكتور ذبيح الله صفا ما ترجمته : « كان بعض رجال الشيعة
من تلاميذ أئمة المعتزلة ؛ وقد قربوا بين عقائدهم وعقائد أولئك ، ومن هؤلاء
الصاحب الكافي اسماعيل بن عبّاد المتوفى عام (٣٨٥ هـ) الذي كان من تلاميذ
أبي هاشم الجبائي ، وقد جمع أبو هاشم بين الاعتزال والتشيع فكوّن منها
الطريقة البهشمية التي أصبح غالب المعتزلة في أول القرن الخامس من أتباعها » (٢) .

ز - قال أبو بكر عبدالله بن محمد الأسكي في الصاحب :

كل برٍ ونوالٍ وصله^١ واصل منك الى المعتزلة^٢
يا ابن عبّادٍ ستلقى ندماً لفراق الجيرة المرتحلة^(٣)

ح - قال الدكتوران عبدالوهاب عزام وشوقي ضيف في مقدمتهما لرسائل
الصاحب : « ونحن نجد في الرسائل نزعة واضحة الى القول بالاعتزال والدعوة
اليه والغريب ان الصاحب لا يدعو الى التشيع في رسائله ويدعو الى
الاعتزال وهناك رسالتان طريفتان في الباب السابع عشر وهما نصان صريحان
في أنه كان يبعث دعاة له الى البلدان المختلفة يدعون الناس الى الدخول
في مذهب المعتزلة » (٤) .

ط - كما ذهب الى اعتزاله كل من :

-
- (١) ظهر الاسلام : ٢٥٣/١ .
(٢) تاريخ أدبيات در ايران : ٥٣/١ ، وتراجع ص ٢٠٣ منه .
(٣) تنمة اليتيمة : ٩٦/١ .
(٤) مقدمة الرسائل : (ع) .

الشيخ المفيد المتوفى عام (١٣ هـ) (١) وقد ألف كتاباً في الرد على
الصاحب باسم : « النقض على ابن عباد في الامامة » (٢) .
والسيد المرتضى حيث ألف كتاباً باسم الانصاف في الرد على ابن عباد (٣) .

٣ - كان شيعياً معتزلياً :

أ - قال الرافعي القزويني : « ولولا ان بدعة الاعتزال وشنعة التشيع
شنعت أوجه فضله ، وغلوّه فيهما حطّ من علوّه لقلّ من يكافئه » (٤) .
ب - قال عبدالرحيم العباسي : « وكان شيعياً جلدأ - كآل بويه -
معتزلياً » (٥) .

ج - لما ورد عبدالسلام المأموني الشاعر الى الري ومدح الصاحب فقال
إعجابه واحترامه دبت عقارب الغيرة في نفوس ندماء ابن عباد وشعرائه ،
فوشوا به الى الصاحب وهم تارة « ينسبونه الى الدعوة في بني العباس ومرة
يصفونه بالغلو في النصب واعتقاده تكفير الشيعة والمعتزلة » (٦) .

٤ - كان زيدياً حنيفياً :

قال أبو حيان : « ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية » (٧) .

-
- | | |
|-----|-----------------------------|
| (١) | اليقين : ١٧٤ . |
| (٢) | رجال النجاشي : ٢٨٤ . |
| (٣) | اليقين : ١٧٤ . |
| (٤) | لسان الميزان : ٤١٦/١ . |
| (٥) | معاهد التنصيص : ١٥٧/٢ . |
| (٦) | يتيمة الدهر : ١٤٩/٤ . |
| (٧) | الامتناع والمؤانسة : ٥٥/١ . |

٥ - كان شافعيًا شيعيًا :

« وكان - مع اعتزاله - شافعي المذهب شيعي النحلة » (١) .

٦ - كان حشويًا :

« كان حشويًا لا يعول عليه ، وكان يفيض من يميل الى الفلسفة » (٢) .

* * *

هذا بعض ما سجله المؤرخون من أقوال متضاربة وآراء مختلفة ونقول متناقضة في هذا الموضوع ؛ من دون أن يحشوا أنفسهم بحث الموضوع ونخل الآراء واستنتاج الحقيقة الضائعة بين هذه الأكوام .

وإذا قرأنا تاريخ صاحب وكتبه وشعره ورسائله لم نجد أي أثر لشافعيته وزيديته وحنفيته وحشويته ، وما ذكره المؤرخون من تذهبه بهذه المذاهب لا يخرج عن أن يكون عن جهل واشتباه ؛ أو قصد لتشويه سمعته وطعنه في عقيدته ، وإذن فلا حاجة للوقوف عند هذه الناحية بعد فقدانها لما يدعمها من دليل .

ولكن الوقفة الكبرى يجب أن تكون عند النصوص التي ذهبت الى تشيعه والآخرى التي ارتأت اعتزاله ، لأن الأدلة على كلا الطرفين متوفرة ؛ والبراهين على كلا النقلين قائمة ، وفيما يلي قائمة بما دل على تشيع صاحب أو اعتزاله مما سجله صاحب نفسه في شعره ونثره ، تمهيداً لما سوف نذكره بعد ذلك من حقيقة مذهبه الذي كان عليه :

(١) لسان الميزان : ٤١٣/١ .

(٢) نفس المصدر : ٤١٤/١ .

١ - قال في الابانة : « وذهبت طائفة من الشيعة ذاهلة عن تحقيق الاستدلال ان علياً عليه السلام كان في تقية فلذلك ترك الدعوة لنفسه ، وزعمت ان عليه نصاً جليلاً لا يحتمل التأويل ، وقالت العدلية : هذا فاسد . كيف تكون عليه التقية في إقامة الحق وهو سيد بني هاشم ، وهذا سعد بن عباد بن عبد المهاجرين وفارق الأنصار ولم يخش مانعاً ودافعاً وخرج الى حوران ولم يبايع ، ولو جاز خفاء النص الجلي عن الامة في مثل الامامة لجاز أن ينكتم صلاة سادسة وشهر يصام فيه غير شهر رمضان فرضاً ، وكل ما أجمعت عليه الامة من أمر الائمة الذين قاموا بالحق وحكموا بالعدل فهو صواب » (١) .

٢ - قال في عنوان المعارف : « وأتبع ذلك بذكر من خوطب بالخلافة على النسق غير مرتب للمفضول والفاضل والجائر والعاقل ، إذ لو ابتدأت بأنهم الخلفاء فضلاً وأعد لهم عدلاً لافتتحت بسيد المهاجرين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » (٢) .

٣ - قال في التذكرة : « الاصول الخمسة : التوحيد والعدل والصدق في الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٣) .

٤ - استعماله الكثير لكلمتي العدل والتوحيد اللتين كانتا من شعار المعتزلة وعباراتهم الخاصة - وإن كانت الشيعة عدلية أيضاً - ، حيث لم نجد

(١) الابانة : ٢٨ . ضمن المجموعة الاولى من نفائس المخطوطات .
(٢) عنوان المعارف : ٥ . في المجموعة الاولى من نفائس المخطوطات .
(٣) نفائس المخطوطات : ٨٧/٢ .

في ذلك العصر من يكثر من ترداد هاتين الكلمتين ومن يجعلها علماً وعنواناً سوى المعتزلة . خصوصاً وقد عبر صاحب عن نفسه وعن أصحابه بالعدلية في رسالة الابانة الصريحة باعتزاله ، وفي رسالته في ترجمة عبد العظيم الحسيني روى ما روي عن عبد العظيم في العدل والتوحيد فقط ^(١) ، ويقول في رسالة له الى أحد أصدقائه : « كان هذا البلد من البلاد المستغلقة على أهل عدل الله وتوحيده والتصديق بوعدده ووعيده . . . وقد أعان الله على بث كلمة الحق وسمع الأكثر على لين ورفق » ^(٢) ، ويقول في رسالة اخرى الى أهل الصيمرة : « إذ كنتم بحمد الله ومنه وطوله وفضله المشتهرين بالذب عن توحيد الله وعدله وصدقته في وعيده ووعده » ^(٣) .
ويقول في شعره :

أدينه بالعدل والتوحيد والصدق في الوعد وفي الوعيد

قد جهلت في قدم القرآن كمثل جهل عابد الصليبان

الحمد لله إذ كان المشيب على التوحيد والعدل لا جبر وتشبيه

العدل والتوحيد كل معاقلي وولاء آل الطهر كل حصوني

العدل والتوحيد في جانب وحب آل البيت في جانب

هـ - قال في الهداية والضلالة : « لأن مشائخنا كآبي الفضل جعفر بن حرب وأبي موسى عيسى بن سميع وأبي جعفر الاسكافي وأبي علي محمد بن عبد الوهاب وأبي القاسم البلخي وأبي عثمان عمرو بن بحر قد صنفوا في هذا الباب كتباً مفردة » ^(٤) .

(١) نفائس المخطوطات - المجموعة الرابعة - : ٢١-٢٢ .

(٢) رسائل صاحب بن عباد : ٢١٩ .

(٣) نفس المصدر : ٢١٩ .

(٤) الهداية والضلالة : ٤٨ .

يقول صاحب في إحدى قصائده :

وأوصى الى خير الرجال ابن عمه
تولى أمور الناس لم يستقلهم
ولا ارتفعت منه - وقد سار - سورة
وإن ناصب الأعداء فيه فما هدوا
ألا ربما يرتاب من يتقلد
وغضوا لها أبصاركم وتبددوا
ويقول في أخرى :

قالت : فمن ساد في يوم الغدير ابن
ويقول أيضاً :

أهلاً وسهلاً بأهل بيتك يا
ويا غدير انبسط لقسمة
ويقول أيضاً :

يا حيدر الشهم البطول
أنت الذي ولي في
أنت الذي تدعى إلى الـ
أنت الذي عقوده
ويقول أيضاً :

أنت يوم الغدير صدر الموالي
ويقول :

حلوا وقد عقدوا كما نكشوا وقد
وافوا يخبرنا بضعف عقولهم
هل صير الله النساء أممة ؟
عهدوا فقل في نكث باغ مبطل
ان المدبر ثم ربة محمل
يامة مثل النعام المهمل

ويقول :

تركوا الشراب وقد شكوا علل الصدا وتعللوا جهلاً بلع سراب
لم يعلموا ان الوصي هو الذي حكم الغدير له على الأصحاب

* * *

هذه بعض كلمات صاحب وأبياته المتضاربة في بيان المذهب الذي ارتضاه
لنفسه ، ولعل بين بعض هذه النصوص تناقضاً صريحاً لا لبس فيه ، كنفية
النص الجلي ثم اعترافه بأن الغدير قد حكم للوصي على الأصحاب ، ولا بد لي قبل
تسجيل الرأي النهائي في الموضوع أن أمهد للنتيجة بمقدمتين :

(الأولى) إن كثيراً من الالتباس والخلط قد وقع في
موضوع التشيع والاعتزال حتى وجدنا كثيراً من الشيعة وقد نسب إليهم
الاعتزال والعكس بالعكس .

ويرجع هذا الالتباس والخلط الى عدة أسباب ساعدت عليه ، وفي طليعتها
هذا التوافق الكبير بين الشيعة والمعتزلة في أكثر الآراء الكلامية والاصول
الفلسفية ، وخصوصاً في موضوع صفات الله - ثبوتية وسلبية - وعدله وخلق
الأفعال وما اليه ، مما يسبب الاشتباه للمؤرخ فيظن هذا كذاك أو ذاك
كهذا (١) .

ولا ابالغ إذا زدت فقلت : إن الدراسة الدقيقة لفلسفتي الشيعة والمعتزلة
تدلنا بوضوح على ان اسس الاعتزال واصله الاولى مأخوذة من التشيع

(١) يقول الاستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام : « يعرف التاريخ صلة دائمة
بين التشيع والاعتزال منذ كانا ، ويظهر ان التشيع اقترن في هذا
العصر - القرن الرابع - اقترانا تاما بالاعتزال ؛ اذ كان اهل السنة
يكرهون التشيع والاعتزال جميعا » . رسائل صاحب : ص ع .

ومشتقة منه ؛ وان فكرة المذهب وفلسفته مقتبسة - بدقة - من مبادئ التشيع وفلسفته ، وتكفيها نظرة واحدة الى نهج البلاغة للامام علي عليه السلام ؛ والى مرويات المحدثين عن الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام في الكلام واصول الدين لاثبات صدق هذه الدعوى .

ويؤكد ذلك ما روي من ان واصل بن عطاء قد أخذ اصول الاعتزال الاولى من أبي هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب ^(١) ، وإنه لأقصر الطرق الموصلة الى علي وآرائه العلمية والفلسفية .

ولا أنفي أن يكون الاعتزال قد تطور بعد حين من ظهوره ؛ فتعددت اتجاهاته وتشعبت مدارسها ؛ حتى اختلف عن التشيع في بعض النقاط اختلافاً جوهرياً بارزاً للعيان ، كما تجد ذلك في المقارنة التي عملها السيد الشريف المرتضى علي بن الحسين بين آراء الشيعة والمعتزلة في بعض الاصول ^(٢) . ولكن الجذور الاولى للاعتزال مأخوذة من التشيع بلا شك .

وهذا هو اكبر الاسباب - في رأيي - لهذا الخلط التاريخي بين الشيعة والمعتزلة وبين التشيع والاعتزال ؛ مضافاً الى العامل السياسي عامل المطاردة التي منيت بها الشيعة ؛ والضغط الشديد والمحاربة السافرة التي جوبه بها أنصار هذا المذهب ومعتنقوه ، في الوقت الذي كان القول ببعض اصول الاعتزال رائجاً مشهوراً ، وكان التظاهر به لا يسبب بلاء ولا يجر الى نقمة ، مع اشتراك الاعتزال والتشيع في القول بأكثر الاصول الدينية ، ومع ذهاب أكثر المعتزلة الى تفضيل علي عليه السلام على من تقدمه من الخلفاء ، وهكذا كان باستطاعة

(١) فلسفة المعتزلة : ١٣/١ .

(٢) راجع : نفائس المخطوطات - المجموعة الخامسة - : ٧٢-٨٢ .

الشيعة أن يحقن دمه بالتظاهر بالاعتزال ، ثم كان باستطاعته الدعوة الى بعض عقائده واصوله مصبوغة بصبغة المعتزلة ، فكان ذلك من أسباب خلط المؤرخين في هذا الموضوع .

هذا كله بالإضافة الى أن بعض المؤرخين - غير المؤمنين - قد حاولوا أن ينسبوا للتشيع كل من مدح علياً وأثنى عليه وروى بعض فضائله ومناقبه من المعتزلة ، بل نسبوا للتشيع كل من اتصل برجال الشيعة وتلمذ عليهم وأخذ منهم ، كما تجد ذلك في ترجمة ابن أبي الحديد المعتزلي ونجم الدين علي بن عمر الكاظمي وكثير من أمثالهما .

ولا يسعنا في هذه العجالة تفصيل البحث في هذه الشؤون فلذلك موضع آخر ، بل تكفينا الإشارة الموجزة والنظرة العابرة في معرفة بعض الأسباب التي سببت هذا الالتباس التاريخي في تعريف التشيع والاعتزال والتفريق بين الشيعة والمعتزلة .

ولا غرابة إذن إذا ما رأينا المؤرخين وهم ينسبون ابن عباد الى التشيع والاعتزال بنحو الجزم تارة وبنحو التشكيك أخرى ، فإن أسباب الخلط - كما أسلفنا - متعددة متكررة .

(الثانية) عرفت إيران بعض مبادئ الاعتزال من يوم ميلاده بل من قبل أن يكون مبدءاً وعقيدة ، لأن الجهمية - اتباع جهم بن صفوان - كانت تدعو الى خلق القرآن ونفي الأزل ، وكانت منتشرة الرأي قوية الدعاية وخاصة في منطقة خراسان ، ثم تلا الجهمية - بعد حين - حفص بن سالم حيث سافر الى خراسان وأعلن دعوته هناك فأجابه خلق كثير (١) .

(١) المنية والأمل : ١٩-٢٠ .

وبواسطة حفص دخل الاعتزال ايران فخل في المنطقة التي كانت تؤمن قبل
ذاك ببعض مبادئ الاعتزال في ضمن تعاليم الجهم بن صفوان الجهري ،
ثم كان لواصل - بعد ذلك - اثر كبير في انتشار الاعتزال في تلك النواحي
حيث كان يخرج بنفسه لمناظرة السمنية فيجيبونه الى الاسلام ^(١) ، وكذلك
كانت مساعي أبي القاسم الباخي ذات شأن بارز في شيوع الدعوة هناك ^(٢) .

وتطورت الدعوة الاعتزالية مع الزمن حتى بلغت ذروتها في عهد المأمون
والمعتصم والواثق ، فراحت تغزو المسلمين وتحتل الأذهان في كل بلد وكل
ضقع ، وقد حاول رجالها أن يدعموها بالاقناع المنطقي من جهة والضغط المسلح
من جهة أخرى ؛ فكان لاجتماع المنطق والسلاح في تدعيم هذه الفكرة أثره
الكبير في تقدم الدعوة وشيوعها وانتشارها في سائر أصقاع المعمورة .

وما إن مات الواثق واستولى المتوكل على زمام السلطة حتى أخذت قوة
المعتزلة بالانهيار ؛ ومني سلطانها بالاندحار ؛ حيث أعلن المتوكل - رسمياً -
سخطه وعدم رضاه على هذه الجماعة ، ثم أخذ في محاربتهم والتككيل بهم
بلا رحمة ولا هوادة ، وأظهر الناس الشماتة بهم والتشفي منهم ، وتجلى ذلك
بأظهر صورته في تشييع جنازتي أحمد بن نصر وأحمد بن حنبل حيث شيعتا بما لم
يسبق له مثيل .

ولما شعر المعتزلة بالخطر الذي يهددهم ويحيط بهم من كل جانب رأوا
ضرورة الابتعاد عن عاصمة الخلافة - بغداد - ليكونوا أبعد عن المراقبة وترصد
العيون ؛ فاتجهوا نحو ايران بشكل منظم جداً ، وكان اختيارهم لايران مبنياً على
علمهم بأن اذهان الفرس لا تزال على ذكر من آرائهم ومعتقداتهم ؛ حيث

(١) المنية والأمل : ٢١ .

(٢) نفس المصدر : ٥١ .

سبق لخراسان أن كانت جبرية من أتباع الجهم الذي يوافق المعتزلة في كثير من النقاط ، كما سبق لأهلها الاستماع الى واصل بن عطاء وحفص بن سالم وأبي القاسم البلخي ، وهؤلاء من أقطاب المعتزلة وكبارهم في اليهود الاعتزالية الاولى - كما مر سابقاً - .

وهكذا بدأ المذهب يستعيد مجده في ايران بعد أن فقدته في العراق فانتشر في اصفهان بواسطة محمد بن ابراهيم الزيري من أتباع أبي الهذيل العلاف ^(١) ، وفي جرجان ونيسابور بواسطة أتباع أبي هاشم بن الجبائي ^(٢) ، وفي الري وحواليها على يد أصحاب الحسين بن محمد النجار ^(٣) .

ودخل في الاعتزال جماعة من مشاهير الفقهاء ^(٤) ، حتى رأى المقدسي في رحلته في أطراف العالم الاسلامي ان عوام الري يتابعون الفقهاء في خلق القرآن حتى لتقع العصبية بينهم في ذلك ، كما رأى ان معظم سكان خوزستان من المعتزلة وقد التقى في رامهرمز - احدى مدن خوزستان - بشيخ يدرس الكلام على مذاهب المعتزلة ^(٥) .

* * *

وفتح ابن عباد عينيه في هذا المحيط المشبع بهذه الروح ، وفي هذه البيئة المؤمنة بهذا المبدأ ، وعلى والده العالم المعتزلي الذي صنف كتاباً في أحكام القرآن نصر فيه الاعتزال وجوّد فيه ^(٦) ، فلا غرابة اذا ما تمذهب ابن عباد بهذا المذهب ، واتخذ ديناً وطريقاً الى الله تعالى مقلداً في كل ذلك أهل بيته

(١) فلسفة المعتزلة : ٣٤/١ .

(٢) نفس المصدر : ٣٤/١ .

(٣) الملل والنحل : ٦١ .

(٤) خطط القرينى : ١٨٤/٤ .

(٥) أحسن التقاسيم : ٤١٣ و ٤١٥ و ٤٩٥ .

(٦) معجم الادباء : ١٧٢/٦ .

ويشته ، فكان اعتزال صاحب في أول نشأته أمراً طبيعياً ونتيجة منطقية لمن
يولد في بلدة معتزلية ويعيش في كنف أب معتزلي

وهكذا بقي صاحب معتزلياً حتى مات من دون أن ينقل عدو له عن ذلك
أو انتق له منه الى غيره ، إلا في مسألة الامامة حيث نرى صاحب فيها ذا قولين ،
فهو يصرح في رسالة الابانة - كما مر عليك - بعدم وجود نص جلي على إمامة
علي عليه السلام ؛ ثم نراه في مواطن أخرى من شعره وهو معترف بذلك أوضح
الاعتراف وأجله ، مما يظهر ان الابانة قد الفت في شبابه يوم كان منكراً
لنص الجلي ، ثم انتهى بتطور الزمن الى الاعتراف بالنص كما اسلفنا من دون
أن يؤثر ذلك في اعتزاله مطلقاً ، وفي الاعتراف بالنص يقول :

ما ضره جحد الرجال له وغدير خم كاشف الأمر
ويقول :

وقضى الغدير بما قضى والصبح للظلماء طارد
ويقول :

جذب النبي بضبعه يوم الغدير ر ووكد التعريف بالتعيين
ويقول :

ما باله وُلِّي في براءة إذ صرفوا
ما بالهم يوم الغدير ر لم ينلهم شرف

مضافاً الى ما سبق الاستشهاد به من شعره الدال على تشييعه .

فالساحب - إذن - معترف بالنص الجلي في أكثر سني حياته ولكنه
لم يتبرأ من اعتزاله - بعد اعترافه بالنص - ، فهو يقول :

قالت : فما اخترت من دين تهوز به ؟ فقلت : إني شيعي ومعتزلي

ويقول عند تعرضه لبني أمية :

إن لم اتابع لعنها فتركت ديني
إن لم افضل احمداً ووصيته
ن الاعتزال وتركه إلحاداً
فهدمت مجدداً شاده عبادة

ولا تناقض في ذلك ولا تضاد ، لأن الاعتزال مذهب عقلي صرف مُحكم فيه عقل الانسان بعد أن حرر من كل قيود التقليد ، فدرس المعتزلة اصول الدين دراسة حرة مجردة ، واقتبسوا كل ما روي عن علي عليه السلام بهذا الصدد ، ثم كونوا لهم رأياً خاصاً بهذه الشؤون لا يتنافى مع الايمان بالوصية أو عدم الايمان بها ، ولذلك فلا غرابة اذا ما كان صاحب شيعياً ومعتزلياً كما لا غرابة اذا ما كان غيره سنياً ومعتزلياً (١) .

وإذن . فالصاحب شيعي ومعتزلي - كما عبر عن نفسه وأفصح عن عقيدته - ، ولا يصح لنا أن ننساق مع بعض المؤرخين الذين نفوا اعتزاله بشكل جازم ، فان حكمهم عليه بالتشيع وحده حكم صادر عن العاطفة ومنبعث عن الرغبة النفسية من دون استناد الى الواقع ، أو تمحيص للحقائق .

(١) يقول الدكتور البير نادر : « وبالرغم عن ندورة المصادر التي وصلتنا عن المعتزلة - لا سيما فيما يتعلق بمسألة الامامة - استطعنا بعد الجهد استخلاص آرائهم المتباينة في هذه المسألة فليس للمعتزلة رأى واحد في هذا الموضوع الخطير . ان الأكثرية منهم يشاطرون الشيعة في قولهم : بأن « لا امامة الا بالنص والتعيين » ، والأقلية منهم يشاطرون اهل السنة في قولهم بأن الامامة ينالها من هو أهل لها » . فلسفة المعتزلة : ١٤٨/٢ - ١٤٩ .

ويروى الشهرستاني عن النظام قوله : « لا امامة الا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً ، وقد نص التعيين على [علي] في مواضع وأظهره اظهاراً لم يشتهه على الجماعة ، الا أن عمراً كتم ذلك ، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة » . الملل والنحل : ٦٤/١ .

والصاحب - بعد ذلك - من القصص المشهورة باعتزاله والمدينة لمقدار علاقته
 المتينة مع أقطاب المعتزلة ورجالهم . شيء كثير مسجل في معاجم التاريخ
 لا أجد حاجة لنقله وسطره فليراجع هناك ^(١) .

(١) معجم الادباء : ٢١٧/٦ - ٢١٨ ؛ و ٢٢٥/٦ ؛ و ٢٤٦/٦ ؛ و ٢٥٧/٦ -
 ٢٥٨ ؛ و ١٩٠/١٩ ، والحضارة الاسلامية : ٢٧٦/١ .

القسم الثاني

نفاست

قبل الوزارة

قائمة

المهجر

في العام الحادي والعشرين بعد الثلاثمائة من الهجرة ولدت دولة آل بويه ، تلك الدولة التي « نبتت بما لم يكن في حساب الناس ، ولم يخطر ببال أحد ، فدوخت الأمم وأذلت العالم ، واستويات على الخلافة فعزلت الخلفاء وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق ، وأطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق » (١) .

ولم يكن أصل هذه الأسرة ديلياً - كما ذهب إلى ذلك بعض مؤرخة هذا العصر - بل كانت تنسب بجذورها إلى الفرس ، « وإنما قيل لهم الديلم لأنهم جاوروا الديلم وكانوا بين أظهرهم مدة » (٢) .

وكان بويه أبو الملوك من ذوي الحال المتوسط ، فكان يصيد السمك ويهينه أولاده على تحصيل القوت ، حتى روي عن معز الدولة أنه كان يحتطب الحطب (٣) .

وكان من ابتداء أمر أولاد بويه : أنهم انخرطوا في سلك الجندية في جيش

-
- (١) الفخرى : ٢٤٤ .
 (٢) البداية والنهاية : ١٧٣/١١ ، ويراجع في ذلك : الفخرى : ٢٤٤ ،
 والكامل : ٢٣٠/٦ ، وظهر الاسلام : ٥٠/١ .
 (٣) الفخرى : ٢٤٤ ، والبدية والنهاية : ١٧٣/١١ ، والكامل : ٢٣٠/٦ ،
 وشذرات الذهب : ١٨/٣ .

ما كان بن كالي الديلمي أحد قواد العلويين - ملوك طبرستان والديلم في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع - ، وكان لهذا القائد شأن بارز في تاريخ الديلم وطبرستان ؛ حيث استولى عليها بعد زوال ملك العلويين ، وبقي أميرها المطلق حيناً من الدهر ؛ الى أن ثار عليه أسفار بن شيرويه الديلمي - وكان من قواد جيش ما كان - وناصبه الحرب والعداء فسطع نجمه واشتد بأسه ، فلم يجد ما كان بُدّاً من الاتفاق مع مرداويج بن زيار على محاربة أسفار ، وهكذا كان . ولما تمّ لهما النصر نقض مرداويج العهد مع صاحبه وسلّ السيف عليه فغلبه ، وانهزم ما كان ملتجئاً الى صاحب خراسان .

وما إن شاهد أولاد بويه هزيمة قائدهم وضعف شأنه وتردي وضعه وشدة ضائقته وفقره حتى صار حوله برغبتهم في فراقه والابتعاد عنه ، ووعدوه الرجوع اليه حينما يحسن وضعه فأذن لهم بذلك فساروا الى مرداويج بن زيار ، ومعهم جمع من قواد ما كان وأفراد جيشه ، فاستقبلهم مرداويج استقبالاً حسناً ، وولّى كل قائد منهم ناحية من نواحي الجبل ، واختار عليّ بن بويه - عماد الدولة - لولاية السكرج ، وكتب للجميع عهودهم الرسمية وسيّروهم الى مناطق عملهم ، فرّوا بالري وفيها وشمكير نائباً عن أخيه ، وأبو عبد الله الحسين العميد ناظراً في الأمور ، فاستطاع عماد الدولة أن يجذب العميد الى جانبه بمدة هدايا وكثير من الملاطفات .

ثم أوجب الرأي عند مرداويج أن يتعقب ما أمر به من تولية أولئك القواد ، وكتب الى أخيه وشمكير والى أبي عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الري ، وإن كان بعضهم خرج مُنع من بقي ، وكانت الكتب تصدر أولاً الى العميد فيقف عليها ثم تعرض على وشمكير جملتها ، فحين وقف على الكتاب تقدم الى علي بن بويه سرّاً أن يبادر الى عمله فسار من وقته وساعته وطوى

المنازل ، واصبح العميد من الغد فأظهر السكتب ، فلما عرضها على وشمكير
كان قد صار علي بن بويه على مسافة بعيدة فمنع من لم يكن خرج من اولئك
القواد ، وفاز علي بن بويه بالولاية التي كانت سبب ماله « (١) » .

وصل علي بن بويه الى الكرج فسام أهلها سياسة رشيدة ، ولطف بعمل
البلاد فكانوا يكتبون لمرداويج السكتب ، وكلها شكر له على حسن اختياره ،
وصادف في أثناء ذلك انه افتتح قلاعاً تعود للخرمية وظفر منها بدخائر وافرة
صرفها - جميعاً - في استمالة الرجال وصلاتهم فشاع ذكره وقوى أمره ، وكان
مرداويج ذلك الوقت بطبرستان ، فلما عاد الى الري أطلق مالا لجماعة من
قواده على كرج فاستمالهم عماد الدولة ووصلهم وأحسن اليهم حتى مالوا اليه
وأحبوا طاعته ، وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش وندم على انفاذ اولئك القواد
الى كرج ، فكتب الى عماد الدولة واولئك يستدعيهم اليه وتلطف بهم ،
فدافعه عماد الدولة واشتغل بأخذ العهود عليهم ، وخوفهم من سطوة مرداويج ،
فأجابوه جميعهم فجي مال كرج ، واستأمن اليه شيرزاد وهو من أعيان قواد
الديلم فقويت نفسه بذلك « (٢) » .

وهكذا تم له علي بن بويه في عام (٥٣٢١ هـ) الاستيلاء التام على الكرج فحدثته
نفسه بالهجوم على اصبهان فهجم عليها واستقبلته ظروف موالية أعانته على نجاح
الهجوم فادخل اصبهان « وعظم في عيون الناس لأنه كان في تسعمائة رجل هزم
بهم ما يقارب عشرة آلاف رجل ، وبلغ ذلك الخليفة فاستعظمه » (٣) كما بلغ
مرداويج فأقلقه وأخافه .

(١) تجارب الامم : ٢٧٨/٥ ، وقريب منه في الكامل : ٢٣١/٦ - ٢٣٢ .

(٢) الكامل : ٢٣٢/٦ ، وقريب منه في تجارب الامم : ٢٧٩/٥ .

(٣) الكامل : ٢٣٢/٦ ، ومثله في البداية والنهاية : ١٧٤/١١ .

وخفت جيوش مرداويج لقتال عماد الدولة فخشي ابن بويه منها فانسحب
من اصفهان متوجهاً الى ارجان فاحتلها واستخرج منها أموالاً جزيلاً شد بها
أزر ملكه وجيشه .

وفي أثناء هذا العام حبَّب أبو طالب النوبندجاني لعماد الدولة احتلال شيراز
لضعف عاملها وسوء سيرته فسار اليها واحتل النوبندجان بطريقة وأقام فيها مدة ،
وأرسل أخاه الحسن بن بويه الى كلزرون وما يجاورها من بلدان فارس فدخلها
وجبي منها أموالاً جليلاً ، فتحرك عامل تلك المنطقة - ومعه جيشه - لحرب
ركن الدولة فواقعهم ابن بويه وهزمهم وهو في عدة قليلة ثم عاد سالماً الى
قواعد أخيه .

وتوجه علي بن بويه بعد ذلك الى شيراز فالتحم جيشه وجيش خصمه ياقوت
- والى البلدة - بحرب طاحنة أدت - بتأثير بعض الصدف من جهة وبسالة جيش
عماد الدولة من جهة أخرى - الى هزيمة ياقوت وانتصار ابن بويه ، « وكان
معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه في ذلك اليوم من أحسن الناس أثراً ،
وكان صبيّاً لم تنبت لحيته ، وكان عمره تسع عشرة سنة » (١) .

وباحتلال عماد الدولة شيراز وإضافتها الى رقعة حكمه قوي أمره ورسخ
ملكه مضافاً الى المصادقات الحسنة التي ساعدته على تحصيل المال الذي ملأ خزائنه
وأشبع هم جيشه .

ولما تم له هذا الرسوخ وهذه السيطرة على شيراز وفارس أرسل رسالة للخليفة
العباسي الراضي بالله ووزيره أبي علي بن مقلة يظهر لهما الطاعة ويطلب منهما أن يقاطعا
تلك البلاد التي كانت تحت يده مقابل مليون درهم يقدمها لهما ، فاجيب الى ذلك ،

(١) الكامل : ٢٣٥/٦ ، وقريب منه في تجارب الامم : ٢٩٨/٥ .

« وأنفذوا له الخلع وشرطوا على الرسول أن لا يسلم اليه الخلع إلا بعد قبض المال ، فلما وصل الرسول خرج عماد الدولة الى لقائه وطلب منه الخلع واللواء فدكر له الشرط فأخذها منه قهراً ولبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ودخل البلد وغالط الرسول بالمال فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وعظم شأنه وقصده الرجال من الأطراف » (١)

وبلغت أخبار تقدم ابن بويه وعلاقته ببغداد سمع مرداويج فصمسم على الذهاب الى الأهواز واحتلالها ليقطع الطريق على جيش الخليفة اذا ما رام إنجاز عماد الدولة ، ثم يزحف بعد ذلك الى جهة خصمه مطمئناً من المؤخرة كل الاطمئنان فلمعه يستطيع التخلص منه أو تقليص أمره - على الأقل - .

وبدأ مرداويج بتنفيذ خطته فسار الى الأهواز واحتلها بعد حرب ونزاع ، فبلغ ذلك عماد الدولة وخشي وخامسة العاقبة فراسل كاتب مرداويج يستميله ويتملقه ويطلب منه أن يكون وسيطاً بينه وبين مرداويج بالصلح ، ففعل الكاتب ذلك وأقنع مرداويج بالفكرة فوافق عليها مشترطاً بالطاعة والخطة له ، ورضخ ابن بويه للشرط وأنفذ أخاه ركن الدولة الحسن رهينة عند مرداويج فاستقر الوضع وهدأت الحالة الى حين .

وتدور الدائرة على مرداويج بعد أشهر من الصلح - في تفصيل لا يسعه المجال - وتكشف النتيجة عن قتل مرداويج وتخلص ركن الدولة من الأسر - وكان رهينة عند الزياريين - ، ثم ارتفع أمر عماد الدولة بعد موت خصمه القوي العنيد .

وبالنظر الى عدم وفاء عماد الدولة بشروطه التي أعطاها للخليفة في أمر المال

أرسل الخليفة جيوشه الى الأهواز - بعد مقتل مرداويج - ، وكان على رأسها ياقوت وكتابه البريدي أبو عبدالله ، فالتقت بجيش ابن بويه في نواحي أرجان ، وبدأت الحرب ثم وضعت أوزارها بهزيمة ياقوت وأصحابه وظهور فكرة الصلح ، فوافق ابن بويه على ذلك ، فكتب البريدي الى الخليفة كتاباً طلب فيه إقرار عماد الدولة على البلاد التي استولى عليها فأقره الخليفة على ذلك .

وفي عام (٣٢٣) جهز عماد الدولة أخاه الحسن ركن الدولة وسيّره الى بلاد الجبل في جيش جرار فسار الى اصبهان واستولى عليها وأزال عنها نواب وشمكير - أخي مرداويج وخليفته في الملك - كما أزالهم عن عدة مناطق أخرى .

ولما غضب الخليفة على أبي عبدالله البريدي وحاربه في الأهواز فرّ مستجيراً بعماد الدولة فأجاره فحبب له البريدي احتلال بغداد فأمر بذلك أخاه أحمد معز الدولة .

وبقيت بغداد شغل أحمد الشاغل فكان يحاول ذلك ويخفق عدة مرات حتى نجحت محاولاته عام (٣٣٤) فدخل بغداد ظافراً منتصراً .

وهكذا كان هؤلاء الاخوة الثلاثة يتقاسمون حكم ايران والعراق ، فلمعز الدولة العراق والأهواز ، ولعماد الدولة بلاد فارس ، ولركن الدولة الري واصبهان والجبل .

وكانت العلاقات بين هؤلاء الاخوة على أفضل ما يتصور وداً وصفاء واحتراماً وإخلاصاً ، وقد كان معز الدولة أحمد بن بويه صاحب أمر الخلافة يومئذٍ يجب أخاه عماد الدولة ويحترمه ويكتبه بالعبودية ويقبل الأرض بين يديه اذا اجتمعا - مع عظم سلطانه - لكونه أكبر سنّاً .

وفي عام (٣٣٨) وافى عماد الدولة أجله فذهب الى رحمة ربه بعدما جعل
عضد الدولة بن أخيه ركن الدولة خليفة له وولي عهده .

وفي عام (٣٥٦) توفي معز الدولة بعد مرض عضال ، وأوصى بالملك
لابنه بختيار عز الدولة .

وفي عام (٣٦٦) أحس ركن الدولة بالموت فعهد « الى ولده عضد الدولة
بالملك بعده ، وجعل لولده فخر الدولة أبي الحسن علي همدان وأعمال الجبل ،
ولولده مؤيد الدولة اصبهان وأعمالها ، وجعلهما في هذه البلاد بحكم أخيهما عضد
الدولة » (١) ، ثم توفي بعد ذلك بمدة قصيرة .

لما توفي أبو علي القمي وزير ركن الدولة عام (٣٢٨) تولى أبو الفضل محمد بن العميد الوزارة لركن الدولة ، تقديرأ لكفاءته ، ووفاءً لحسن صنيع والده العميد مع عماد الدولة - كما مرّ بيانه - ، وكان ابن العميد على جانب كبير من العلم والفضل والأدب والبلاغة ، فلا غرو إذا ما كان مجلسه خاصاً بالشعراء والادباء والعلماء ، كما لا غرو إذا ما تهاقت طلاب العلم ورواد الأدب عليه لينهلوا منه ويرتشفوا من غيمه .

وكان ابن عماد - الشاب الطموح - كذلك ، فقد اتصل بابن العميد اتصال دراسة وتأدب ، ثم تطورت الصلة الى كتابة وخدمة ، وكان شفيع ابن عماد في تقدمه واتصاله بابن العميد مركز والده عماد - وزير ركن الدولة - ، وقابليته الشخصية البارزة ، وكفاءته التي أحس بها ابن العميد فأراد الاستفادة منها في هذه السبيل .

يقول ياقوت :

« كان صاحب في بدء أمره من صغار الكتّاب يخدم أبا الفضل بن العميد علياً خاصة » (١) .

وهكذا ذكر باقي المؤرخين من أن أول صلة ودراسة علمية للصاحب كانت على يد ابن العميد وفي مجلسه ، وان أول عمل كان للصاحب هو كتابة خاصة ابن العميد (٢) ، ولم يخالف في ذلك سوى آدم منز حيث يقول :

« كان في بدء أمره معلماً في قرية ، ثم ترقى به الحال بعد أن كان من

(١) معجم الادباء : ١٧٢/٦ .

(٢) الوسيط : ٢١٢ .

صغار الكتّاب الى أن بلغ منصب الوزير المدبر لأُمور الملك ، (١) .
ولم نجد ما يؤيد ذلك في كتب التاريخ ، وأظنه اشتباهاً بأبيه عبّاد الذي
روى أبو حيان انه كان معلماً في قرية طالقان الديلم .

ومهما يكن من أمر . فقد اتصل اسماعيل بابن العميد ، ثم تطور الاتصال
حتى أصبح إشرافاً على كتابة الخاصة ، وصادف في أثناء ذلك تهيوؤ الأمير
مؤيد الدولة للسفر الى بغداد فاختير له ابن عبّاد كاتباً ، وفي ذلك يقول مسكويه
في حوادث عام (٣٤٧ هـ) :

« ورد الأمير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد يخطب ابنة
معز الدولة ، ومعه أبو علي بن أبي الفضل القاشاني وزيراً ، ومعه أبو القاسم اسماعيل
ابن عبّاد يكتب له على سبيل الترسل » (٢) .

وكان اختيار ابن عبّاد - وهو في الحادية والعشرين من العمر - للكتابة
لأبي منصور ، وإرساله صحبة الأمير في تلك الرحلة التي كانت مطبوعة
- بلا شك - بطابع الابهة والجلالة والفخر واختيار العناصر الكفوءة القوية ،
خصوصاً وان مقصدهم في رحلتهم بغداد : مهّد العلم والأدب والفضل في ذلك
العهد ، كان كل ذلك دليلاً على الكفاءة والرجاحة وقوة الفكر ودقة الفهم
عند الصاحب بن عبّاد .

وعثرت في معجم الادباء على رسالة كتبها ابن العميد لابن عبّاد يستدعيه
فيها ليكون مشرفاً على تربية أحد أولاد ركن الدولة جاء في أوائلها :
« مولاي وابن كان سيداً بهرتنا نفاسته ، وابن صاحب تقدمت علينا

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية : ١/ ١٣٤ .

(٢) تجارب الامم : ٦/ ١٦٨ .

رياسته ، فانه يمدني سيداً ووالداً ، كما أعدّه ولداً واحداً ، ومن حق ذلك أن يعضد رأيي برأيه ليزداد استحكاماً ، ونتظاهر عقداً وارباماً .

ثم يقول بعد سطور :

« مولاي غني عن هذا العمل بتصوره وتصلفه وعزوفه ، وبهمته عن التكثير بالمال وتحصيله ، لكن العمل فقير الى كفايته ، محتاج الى كفاله ، وما أقول : إن مرادي ما يعقد من حساب وينشأ من كتاب ، ويستظهر به من جمع وبذر ومن عطاء ومنع ، فكل ذلك - وإن كان مقصوداً وفي آلات الوزارة معدوداً - ففي كتاب مولاي من بغي به ويستوفيه ، ويوفي عليه ما يسر مساعيه ، ولكن ولي النعمة يريد له تهذيب ولده ، ومن هو ولي عهده من بعده ، والمأمول ليومه وغده . أدام الله أيامه ، وبلغه فيه مرامه .
الى أن يقول في أواخرها :

« فلا يبخلن مولاي على ولي نعمته بفضل معرفته ، فمن هذه الدولة جرى ما فضله وفضل الشيخ الأمين من قبله .. الخ » (١) .

والمؤسف هنا اننا لم نعثر على تاريخ كتابتها ، ولم نعلم انها كانت قبل صحبة ابن عباد لمؤيد الدولة الى بغداد أم بعد ذلك ؟

وبما قلت : مؤيد الدولة - مع عدم ورود اسمه في الرسالة - لأنه هو الذي خلف أباه في مركز مملكته ، وأما عضد الدولة فقد خلف عمه عماد الدولة وإن كان له الاشراف على أخيه :

وظني - ولعله صاقي - ان هذه الرسالة كانت قبل عام (٣٤٧) وهو العام الذي سافر فيه أبو منصور الى بغداد لخطبة ابنة عمه ، ويرجح - عندي على

(١) معجم الادباء : ٦/ ٢٢١-٢٢٤ .

الأقل - ما رواه المؤرخون من ان ابن عبيد إنما سمي بالصاحب لأنه صاحب مؤيد الدولة منذ الصبا ^(١) .

وسواء أكان الموصوف بالصبا هو اسماعيل - كما يرجح - أو مؤيد الدولة فإن ذلك يقتضي أن يكون قبل العام المشار اليه .
أما لماذا كتب ابن العميد رسالة لابن عبيد في هذا الموضوع ولم يستدعه لهذا الغرض ، وأن كان صاحب لترسل اليه الرسالة ؟ فذلك أمر لا أعلمه ولم أعتز على نص يوضح الحقيقة فيه .

وأخيراً فقد أصبح الصاحب - منذ هذا العهد - كاتباً « لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه أخي عضد الدولة بن ركن الدولة الديلمي ، ومؤيد الدولة حينئذ أمير وأحسن في خدمته ، وحصل له عنده بقدّم الخدمة قدّم ، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه بالصاحب كافي الكفاة » ^(٢) .

وبمجرد وصول ابن عبيد الى هذه الرتبة فارق ابن العميد وترك صحبته ، فكان لا يفارق مؤيد الدولة في حل ولا في سفر - وقد مرّ عليك نبأ رحلته معه الى بغداد - ، وروى أبو حيان التوحيدي انه كان بالري عام (٣٥٨) وكان « ابن عبيد بها مع مؤيد الدولة قد ورد في مهمات وحوائج » ^(٣) ، وان ابن عبيد - في هذه السفارة - حضر مجلس ابن العميد ^(٤) .

وبقي الصاحب على علاقته هذه بأميره حتى توفي ركن الدولة عام (٣٦٦ هـ) ، فلما « ولي مؤيد الدولة بلاده بالري واصبهان وتلك النواحي خلع على أبي الفتح

(١) راجع : النجوم الزاهرة : ١٧٠/٤ ، وابن خلكان : ٢٠٧/١ ، وبغية الوعاة : ١٩٦ .

(٢) معجم الادباء : ١٧٢/٦ - ١٧٣ .

(٣) معجم الادباء : ٢٠٩/٦ .

(٤) معجم الادباء : ٢٢٤/٦ - ٢٢٥ .

ابن العميد وزير أبيه خلع الوزارة ، وأجراه على ما كان في أيام أبيه ، (١) ،
و « صاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة ، فكره أبو الفتح موضعه
فبعث الجند على الشعب وهموا بقتل صاحب » (٢) .

وأبو الفتح هذا هو ابن أبي الفضل بن العميد استاذ صاحب ومرشده
الأول ، ولما توفي أبو الفضل عام (٣٦٠) ولّى ركن الدولة ابنه أبا الفتح
وزارة أبيه ، وجعل له من التصرف ما كان لأبيه ، وكان أبو الفتح
فتى مغروراً مأخوذاً بطيش الشباب ونزقه ، وقوة المنصب وعظمته ، فلم يكن
من الهين عليه رؤيته لابن عبّاد في اتصاله بمؤيد الدولة وصحبته معه ، ووثوق
الأمير به واعتماده عليه ، فلم يجد بداً - إرضاءً لطيشه - من بعث الجند على
الشعب وتحريضهم على قتل ابن عبّاد والتخلص منه .

ويروي لنا أبو حيان التوحيدي بعض التفاصيل فيقول :

« كان ابن عبّاد قد ورد الري » ، وحطبه رطب ، وتنوره بارد ، وأمره
غير نافذ . هذا في الظاهر ، وأما في الباطن فكان يخلو بصاحبه ويوثبه على
أبي الفتح بما يجد السبيل اليه من الطمن والقدح ، فأحس بذلك ابن العميد فألّـب
الأولياء على ابن عبّاد حتى كثر الشعب وعظم الخطب وهم بقتله ، وقال
للأمير : ليس من حق كفايتي في الدولة وقد انتكث حبلها وقويت أطماع
المفسدين فيها أن أسام الخسف ، والأحرار لا يصبرون على نظرات الذل
وغمرات الهوان ، فقال له في الجواب : كلامك مسموع ، ورضاك متبوع ،
فما الذي يبرد فورتك عنه ؟ ، قال : ينصرف الى اصفهان موفوراً ، فوالله
لو طالبتّه منصفاً برفع الحساب لما نظر فيه ليعرقن جبينه ، ولئن أحسن الأولياء

(٧)

(٢)

(١) معجم الادباء : ١٧٣/٦ .

(٢) معجم الادباء : ١٩٤/١٤ .

الذين أصطنعهم بمالي وإفضالي بكلامه في أمري وسعيه في فساد حالي ليكون
هلاكه على أيديهم أسرع من البرق اذا خطف ومن المزن اذا نطف ، فقال له :
لا تخالف لرأيك والنظر لك والزمام بيدك .

« وتلطف ابن عباد في خلال ذلك لأبي الفتح ، وقال له : أنا أتظلم منك
إليك وأتحمل بك عليك ، وهذا الاستيحاء سهل الزوال اذا تألفت الشارد
من حلمك ، وعطفت على الشائع من كرمك . ولني ديوان الانشاء واستخدمني
فيه ورتبني بين يديك ، وأحضرني بين أمرك ونهيك ، وسمنني برضاك فاني
صنيعة والدك ، واتخذني بهذا صنيعة لك ، وليس يجمل أن تكره على ما بني
ذلك الرئيس فتهدمه وتنقضه ، ومتى أحببني الى هذا وآمنتني فاني أكون
خادمك بحضرتك ، وكاتباً يطلب الزلفة عندك في صغير أمرك وكبيره ، وفي
هذا إطفاء النائرة التي قد ثارت بسوء ظنك وتصديقك أعدائي علي ، فقال في
الجواب : والله لا تجاورني في بلد السرير وبحضرة التدبير وخلاوة الأمير ،
ولا يكون لك اذن علي ولا عين عندي ، وليس لك مني رضا إلا بالعود الى
مكانك من اصبهان والسلو عما تحدث به نفسك .

« فخرج ابن عباد من الري على صورة قبيحة متكرراً بالليل ، وذلك انه
خاف الفتك والغلبة ، وبلغ اصبهان وألقى عصاه بها ونفسه تغلي وصدره يفور ،
والخوف شامل ، والوسواس غالب ، وهم أبو الفتح بانفاذ من يطالبه ويؤذيه
ويهيئه ويعسفه فأحس هو بالأمر » (١) .

وحدث صاحب عن بعض هذه النكبة فقال :

« إن مؤيد الدولة قال لي عند خروجي الى اصبهان : إن ورد عليك كتاب

(١) معجم الادباء : ٢١٧-٢١٩ .

بخطي أو جاءك أجلٌ حجائي وثقائي للاستدعاء فلا تبرح من اصفهان ولا تفارقها الى أن يحيثك فلان الركابي ، فانه إن اتجهت لي حيلة على هذا الرجل وأمكنني الله من القبض عليه بادرت به اليك ، وهو العلامة بيني وبينك » (١) .

ووصف صاحب كيفية خروجه فقال مخاطباً الشريف أبا طالب العلوي :
« أيها الشريف . أين الحق الذي وكدناه أيام كادت الشمس تزول ،
والزمان علينا يصول ، وأنا أقول وأنت تقول ، والحال بيننا يحول ، سقى الله
ليلة تشيعك وتوديعك ، وأنت متسكر تنكراً يسوء الموالي ، وأنا متفكر
تفكيراً يسوء العدو ، ونحن متوجهون الى ورّامين خوفاً من ذلك الجاهل
المهين » (٢) .

وهكذا فر ابن عباد من الري الى اصفهان وكله قلق وخوف وترقب ،
وبقي صاحبه الأمير مؤيد الدولة يتربق الفرص وينتظر المناسبات حتى استغل
فرصة ما قرره صاحب خراسان من الزحف على مؤيد الدولة والدولف اليه ،
فعمل لابن العميد حيلة أدت الى قتله والتخلص منه (٣) .

وما إن تم القبض على ابن العميد حتى « استدعي ابن عباد من اصفهان
وولي الوزارة ، ودبرها برأي وثيق وجد رقيق » (٤) .

-
- (١) معجم الادباء : ٢١١/١٤ .
(٢) معجم الادباء : ١٩٤/٦ ، ويراجع في شماتة ابن العميد وفرحه بفرار
الصاحب : معجم الادباء : ٢٥٠-٢٥١/٦ ، والمنتظم : ١٧٩/٧ .
(٣) راجع في تفصيل ذلك : معجم الادباء : ٢٠٦-٢١٠/١٤ ، ونفس
المصدر : ٢٢٧-٢١٩/١٤ .
(٤) معجم الادباء : ٢٢٧/١٤ .

بعد الكونزارة

an Reiche

أصبح ابن عباد وزيراً لمؤيد الدولة - كما أسلفنا - ، من دون وجود معارض يُخشى كيدَه وحقدَه ، فكان أول أعماله العفو عن أصحاب خصمه ابن العميد بأجمعهم ، وفي ذلك يقول أبو بكر الخوارزمي من رسالة له إلى أحد أصدقائه :

« وجدت فلاناً وفلاناً ندماء ابن العميد - رحمه الله - ، وقصد ألبسهم الخذلان ثيابه ، ونفض عليهم الإِدبار ترابه ، ونبذهم الاقبال وراء ظهره ، ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه ، فهم أرخص من التمر بكرمان ، وأضيع من الورد في شهر رمضان ، وأثقل من الفرو في حزيران ، وأكسد من أبي بكر الخوارزمي بخراسان ، وكذلك تكون مصارع البغي والمدوان ، وحصائد البهت والبهتان ، ولقد جلسوا على قارعة الأمصار ، واعترضوا ليد التحكم والاقتدار ، واستهدفوا لسهام الأيام والأقدار ، ولولا أن أمورهم أفضت إلى رجل عليه من التوحيد والعدل مانع ، ولديه من الحلم والحياء وسيلة وشافع ، وهذا وقد ولغوا في دمه ، ورتعوا في لحمه ، وخبوا وأعنفوا في ذمه بل في شتمه ، فلم يبقوا في القوس منزعا ، ولم يتركوا للصالح موضعاً ، فلما دفع الإقبال ربقتهم إليه ، وصارت حياتهم وموتهم في يديه ، أسبل عليهم ستر العفو والمغفرة ، واتبع فيهم حكم الصفح بعد المقدرة ، وقلّم عنهم أظافير الحدثان ، وقام دونهم في وجه الزمان » (١) .

وكان لقابليّات الصاحب ومقدرته ، وبعده تفكيره ، وحسن إدارته وفهمه ، أثرها الكبير في عظم منزلته ومكانته في نفس أميره المباشر مؤيد الدولة ،

(١) رسائل الخوارزمي : ٥٢ .

والملك المشرف عضد الدولة ، فلا غرو إذا ما كانا كثيري الاحترام له والاحتفاء به والتقدير لسكريم جهوده ومساعديه ، حتى كان عضد الدولة يخاطبه « خطاباً لا يشرك معه فيه أحداً » (١) ، وحتى ادعى أبو حيان بأنه « قد أفسده ثقة صاحبه به وتعويله عليه وقلة مماعه من الناصح فيه » (٢) .

ولم تكن علاقة ابن عباد بمؤيد الدولة وعضد الدولة علاقة الرئيس بالرؤوس والأمير بالمأمور ، بل كانت علاقة صداقة متينة واحترام متبادل وود كبير ، وقد روي عن أبي نصر صاحب عضد الدولة ومعمده قوله : « إن عضد الدولة ينزله - والضمير للصاحب - المنزلة الكبيرة ، ويؤثر أن يقضي حقه » (٣) .

ولما تحرك عضد الدولة عام (٣٦٩) لمحاربة أخيه فخر الدولة - الذي نقض العهد ولم ينفذ وصية أبيه له باطاعة عضد الدولة - ، وفتح مناطق ملك أخيه واحتلها ، قفل راجعاً الى نهاوند و « أقام بها » ، ورتب العمال في النواحي ، وجد في تناول الموجود لأنه كان من رأيه أن يجعل همدان ونهاوند لمؤيد الدولة ، ثم انتقل في صفر من نهاوند الى همدان ونزل دار فخر الدولة بها » (٤) .

وأراد مؤيد الدولة أن يؤكد لأخيه العضد علاقته به وخضوعه له ، فاختار الصاحب ليكون رسولاً من قبله الى أخيه يبذل له الطاعة والموافقة (٥) ، وكان ذلك عام (٣٧٠) (٦) « فتلقاه عضد الدولة على بُعد من البلد ، وبالغ في إكرامه ، ورسم لأكابر كتّابه وأصحابه تعظيمه ففعلوا ذلك ، حتى أنهم كانوا يمشونه

(١) معجم الادباء : ٢٨٠/٦ .

(٢) نفس المصدر : ١٨٣/٦ .

(٣) ذيل تجارب الامم : ١٨ .

(٤) نفس المصدر : ١٠ .

(٥) يراجع في تفصيل ذلك : الكامل : ١٠٤/٧ .

(٦) هكذا روت كتب التاريخ خلافاً لابن حيان الذي يروي انها كانت عام

٣٦٩ كما نقل عنه في معجم الادباء : ١٨٧/٦ .

مدة مقامه مواصلة ، ولم يركب هو الى أحد منهم ، وكان غرض عضد الدولة بذلك استمالة مؤيد الدولة وتأسيس الصاحب « (١) » .

« ووردت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام الصاحب ويذكر اضطراب اموره ببعده ، فوقع الشروع في تقرير ارتفاع همدان ونهاوند معهما عليه » (٢) ، ثم تم التفاهم على أمر هذين البلدين بما أرضى الطرفين .

وفي شهر ربيع الآخر خرج عضد الدولة الى خارج همدان بقصد التوجه الى العراق ف « خلع على الصاحب الخلع الجميلة ، وحمله على فرس بمركب ذهب ، ونصب له دستاً كاملاً في خرگاه يتصل بمضاربه وأجلسه فيه ، وقطعه ضياعاً جليلاً من نواحي فارس ، وحمل الى مؤيد الدولة في صحبته أطافاً كثيرة ، وضم اليه من العسكر المستأمن عن فخر الدولة عدداً ليكونوا برسم خدمة مؤيد الدولة » (٣) .

وهكذا نرى من مجموع هذه النصوص مقدار متانة العلاقة والاحترام المتبادل بين عضد الدولة وابن عباد بالشكل الذي لا يدع مجالاً لاحتمال أو شك في كل ذلك ، وقد أيدته الحوادث والوقائع التاريخية كل التأييد ، ودلت عليه مراسلات الصاحب ومكاتباته لعضد الدولة بصراحة ووضوح .

ولكن الشيء الذي يلفت النظر أن نقرأ في بعض المراجع التاريخية أخبار محاولة مدبرة من قبل عضد الدولة للقبض على الصاحب ، ثم تركه لتنفيذها حينما علم بظهور خبرها واطلاع بعض حاشيته عليها ، واليك بعض تفاصيلها منقولة عن ياقوت الحموي كما رواها عن أبي علي الحسن التنوخي :

(١) ذيل تجارب الامم : ١٠-١١ .

(٢) نفس المصدر : ١١ .

(٣) نفس المصدر : ١١ ، ويراجع الكامل : ١٠٤/٧ .

« قال : كنت بهمدان مع الملك عضد الدولة ، فاتفق أن مضيت يوماً الى أبي بكر بن شاهويه رسول القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم وكان له صديقاً ، ومعني أبو علي الهائم وجلسنا نتحدث فقال لي : اجعل أيها القاضي في نفسك المقام في هذه الشتوة في هذا البلد ، فقلت : لم ؟ ، فقال : ان الملك مدبر في القبض على الصاحب أبي القاسم بن عباد وكان قد ورد الى حضرته بهمدان ، واذا كان كذلك تشاغل بما يتناول معه الأيام ، وانصرفت من عنده ، فقال أبو علي الهائم . قد سمعت ما كنتم فيه وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج به الى أحد ، ولا سيما الى أبي الفضل بن أحمد الشيرازي ، فقلت : أفعل ، ونزلت الى خيمتي وجاءني من كانت له عادة جارية بملازمي ومواصاتي وفيهم أبو الفضل بن أحمد الشيرازي ، فقال لي : أيها القاضي أنت مشغول القلب فما الذي حدث ؟ ، فاسترسلت على أنس كان بيننا ، وقلت : أما علمت ان الملك مقيم وقد عمل على كذا في أمر الصاحب ، وهذا دليل على تطاول السنة ، فلم يتمالك أن انصرف فكتب الى عضد الدولة رقعة يقول فيها : كنت عند القاضي أبي علي التنوخي فقال كذا وكذا ، وذكر أنه قد عرفه من حيث لا يشك فيه وعرفت انه كان عند أبي بكر بن شاهويه ، وربما كان لهذا الحديث أصل ، واذا شاع الخبر به وأظهر السر فيه فسد ما دُبّر في معناه ، فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجوماً شديداً وقام من سمات كان قد عمله في ذلك اليوم » (١)

ويضيف التنوخي قائلاً :

« ثم رحلنا عائدين الى بغداد ، فرآني الملك في الطريق وعلي ثياب حسنة

(١) معجم الادباء : ١٧/١٠٧-١٠٩ ، وقريب منه في ذيل التجارب : ١٩ .

وتحتي بغلة بمركب وجناغ جواد ، فقال لي : من أين لك هذه البغلة ؟ ، قلت : حملني عليها الصاحب أبو القاسم بمركبها وجناغها وأعطاني عشرين قطعة ثياباً وسبعة آلاف درهم ، فقال : هذا قليل لك منه مع ما تستحقه عليه ، فعلمت انه اهتمني به وبأني خرجت بذلك الحديث اليه ، وما كنت حدثته به ^(١) .
والؤسف أن هذه التفاصيل كلها لم تشر الى الأسباب المباشرة التي حملت عضد الدولة على القيام بتنظيم هذه المؤامرة المحكمة للقبض على ابن عباد ، فلم نعرف الدافع الحقيقي لذلك ، ولعل السبب فيه علاقة الصاحب بفخر الدولة أخي عضد الدولة وعدوه اللدود ، حيث دلت بعض الحوادث التاريخية على وجود علاقة خاصة بينهما ، وإن كان الصاحب - في ظاهره - عدواً لفخر الدولة وحرماً عليه ، وهو أول من بشر عضد الدولة بالنصر على عدويه فخر الدولة وقابوس بن وشمكير برسالة مفصلة هي الاولى من كتاب رسائله ، ولعل الوشاة والمشائين بالنميمة قد حدثوا عضد الدولة وأبلغوه أنباء هذه العلاقة - على حقيقتها أو مكبرة مشوهة - فغضب عليه .

ومهما يكن من أمر ، فقد بقيت ظواهر الحال حسنة بين الطرفين طيلة حياة عضد الدولة حتى توفي عام (٣٧٢ هـ) ، ولما بلغ ذلك سمع مؤيد الدولة صمم على الاستيلاء على ملك أخيه والقيام مقامه فيها ، ولم يشر المؤرخون الى موقف الصاحب من تصميم أميره المؤيد والى مقدار جهده في هذه السبيل .
ولاكنني أعتقد أن هذه المحاولة وهذا التصميم من مؤيد الدولة لم يكن إلا بتحريض من الصاحب عليه وسعي في سبيله ، لأن حكم بغداد والاستيلاء على دست الوزارة فيها كان من أحلام الصاحب وآماله التي لا تفارقه لحظة واحدة ،

(١) معجم الادباء : ١٧/١١٣ ، وقريب منه في ذيل تجارب الامم : ٢٠٠ .

وكانت هذه المحاولة واحدة من عدة محاولات قام بها من وراء الستار باسم امرائه
لفرض التربع على كرسي الحكم ببغداد إرضاءً لطموحه وإشباعاً لرغبته .
وأنفذ مؤيد الدولة « أبا علي القاسم » الى فارس متحملاً لرسالة الى الأمير
أبي الفوارس ابن عضد الدولة ، فورد كتاب أبي علي هذا عليه بوقوع
الخطبة له في بلاد فارس وثبوت اسمه على الدينار والدرهم ، ثم راسل أخاه
فخر الدولة بالوعود الجميلة ، وبذل له ولاية جرجان وتقويته بما يحتاج اليه من
الأموال ، فلم يسكن فخر الدولة الى قوله وأقام بموضعه ، وبينما الحال على ذلك
إذ جاءه الأمر الذي لا يغلب والنسباء الذي لا يحجب « (١) » ، فتوفي عام
(٣٧٣ هـ) .

(١) ذيل تجارب الامم : ٩١ .

في عهد فخر الدولة

توفي مؤيد الدولة في عام (٣٧٣ هـ) - كما مر - من دون أن يعهد لأحد من بعده بالأمر ، وكان الصاحب قد طلب منه حينما دنت اليه الوفاة أن يعهد ، فأبى وقال : أنا في شغل عن هذا .^(١)

وما إن أعلن موته حتى كتب الصاحب « في الوقت الى فخر الدولة بالاسراع ، وأرسل أخاه وبعض ثقاته ليستوثق منه باليمين على الحفظ والوفاء بالعهد ، وتجرد الصاحب لضبط الأمر ، ووضع العطاء في الجند ، ونصب ابا العباس خسر فيروز بن ركن الدولة في الامارة ، تسكيناً للفتنة ، وإزالة للخلف في عاجل الحال ، وكتب الناس مثنى وفرادى الى فخر الدولة بالطاعة ، وهو يومئذ بنواحي نيسابور على حالة مختلفة وإضاقة شديدة » .

« فلما ورد الى فخر الدولة كتاب ابن عباد وتلاه كُتِبُ وجوه العساكر أولاً فأولاً ، سار على الفور ، وعرف قابوس الخبر فأرسل اليه : ان يئتنا ما اريد مفاوضتك فيه ، فأجابه : بأني قد توجهت ولا قدرة لي على العود بعد التوجه ، ومهما أردت فاكتب به ، وبادر بطوي المنازل نحو جرجان »^(٢) .

ووردت الأنباء تنبئ بقرب وصول فخر الدولة الى جرجان ، فجمع الصاحب سائر أفراد الجيش ورجاله وقال لهم : « إنما أخذت البيعة عليكم لأبي العباس خسر فيروز على أنه خليفة أخيه فخر الدولة ، فبادروا الى تلقية وخدمته ، فندبوا عند ذلك أبا الحسين محمد بن علي بن القاسم العارض فسار اليه فأكرمه فخر الدولة ، ثم تلقاه الصاحب ابو القاسم بن عباد مع الأمير

(١) الكامل : ١١٧/٧ .

(٢) ذيل تجارب الامم : ٩٣ .

ابي العباس خسرو فيروز وأكابر القواد ، فرحب به فخر الدولة وبالح في اكرامه ،
وتناهى في اعظامه ، ونزل بظاهر المدينة ثم دخل البلد من غده واخذت
البيعة له بالطاعة والمخالصة ، واستقرت الامارة عليه .^(١)

و « لما انتظم الأمر لفخر الدولة قال له صاحب : قد بلغك الله يا مولاي
وبلغني فيك ما أملتته لنفسك وأملتته لك ، ومن حقوق خدمتي عليك
إجابتى الى ما اوتره من ملازمة دارى واعتزال الجندية والتوفر على امر المعاد ،
وقال له [فخر الدولة] : لا تقل أيها الصاحب هذا فاني ما أريد الملك إلا لك ،
ولا يجوز أن يستقيم أمري إلا بك ، وإذا كرهت ملابسة الامور كرهت ذلك
بكراهيتك وانصرفت ، فقبل الأرض شكراً وقال : الأمر امرك .^(٢)
ثم خلع فخر الدولة على الصاحب خلع الوزارة ، و « أكرمه وعظمه وصدر
عن رأيه في جليل الامور وصغيرها »^(٣) بما لم يسبق له مثيل .

ولم يكن الصاحب في استغفائه من الوزارة قاصداً ذلك حقاً ، بل كان يهدف
من هذا الاسلوب الى معرفة نفس صاحبه ورأيه فيه ومقدار علاقته به ، وكان
جواب فخر الدولة مساوفاً لما يفرضه الواجب عليه ، ويدعو النبيل والشرف اليه ،
إذ لولا الصاحب وحزمه لما استطاع فخر الدولة الحصول على الامرة والوصول لهذه
الرتبة ، فهو الذي مهد للأمر وهيئ المجال ، وكتب لفخر الدولة ، وأخذ البيعة
من الجند للأمر ابي العباس خسرو فيروز بشـكل موقت دفعاً للفتنة وإسكاناً
للناثرة ، فكان هذا كله بفضل فهم الصاحب وبعد نظره ، ولولا ذلك لما تم الامر
للأمر فخر الدولة بهذا النحو من اليسر والبساطة والسهولة .

-
- (١) ذيل تجارب الامم : ٩٤ .
(٢) نفس المصدر : ٩٤-٩٥ ، وقريب منه فى الكامل : ١١٧/٧ .
(٣) الكامل : ١١٧/٧-١١٨ .

وكان هذا الاهتمام الكبير من قبل صاحب في سبيل فخر الدولة وإمرته هو المحفز لي على عزو غضب عضد الدولة على صاحب الى الظن بوجود نحو من العلاقة المستترة بينه وبين فخر الدولة ، خصوصاً ونحن نلاحظ صاحب في رسالته التي كتبها لعضد الدولة يبشره بالنصر على قابوس وفخر الدولة انه لم يشتم الفخر ولم يذكره بسوء ، بل كان كل حديثه عنه انه قال : « الى أن صار [قابوس] السبب في استزلال فلان [يعني فخر الدولة] فدلاه بغروره ، واستهواه الى جانب ثبوره » (١) فكأنه أراد أن يفهم عضد الدولة بأن خروج فخر الدولة عليه لم يكن عن بغض كامن أو حقد متطامن في نفسه ، وإنما كان نتيجة إغواء وإغراء واستهواء يقع ذنبه كله على عاتق قابوس وحده .

وكانت لاهتمام صاحب بفخر الدولة وإمرته عدة أسباب بعثته على ذلك ، لعل - في طبيعتها - علمه بضعف (الفخر) وعجزه عن ادارة شؤون الدولة بدونه ، على العكس من مؤيد الدولة وعضد الدولة الأميرين المحنكين الذين كانا على جانب كبير من الكفاءة والدهاء والبطنة ، بالدرجة التي تمكّنهما من الاستغناء عن صاحب أو غيره في أي ظرف أو وقت ، فلم يسكن ابن عباد في عهدهما وزيراً حاكماً بأمره بالشكل الذي يمليه عليه عجيبه بنفسه ، بل كان محدود التصرف مقيّد الحركات مترقب الامر والنهي ، على النحو الذي كان مخالفاً لخلقهم ومزاجه الخاص كل المخالفة ، فلا غرو إذا ما رأيناه يستدعي فخر الدولة ويقومه مقام أخيه ، ليكون - كما يريد - صاحب الامر والنهي ، وييده الابرام والنقض ، ويكون اميره محتاجاً له لكل الحاجة ومفتقراً اليه كل الفقر ، وقد كشف الزمن صحة ذلك ، فقد كان صاحب في واقعه هو الامير ، ولم يكن للامير سوى توقيع الرسائل واداء بعض الشؤون الشكلية الاخرى .

(١) رسائل صاحب بن عباد : ٥٥ .

ودخل عام (٣٧٣ هـ) وفخر الدولة هو الأمير المشرف على الري وما والاها ، فكان أول عمل قام به أصحابه - وفي طليعتهم صاحب - هو تحصيل الخلع الرسمية له من الخليفة العباسي ببغداد ، وكان هذا العمل بحاجة ماسة الى توثيق العلاقة بين فخر الدولة وأمير بغداد ومصام الدولة ، لئلا يكون الأخير معارضاً في هذا الموضوع ، ولمعارضته الأثر الكبير في نفس الخليفة بلا شك ، وهكذا كان ، فقد كثرت المكاتبات وتكرر إرسال الرسل به - هذا الشأن ، وعاقبت بعض الظروف والشؤون السياسية عن استمرار المباحثات فتقطعت عدة مرات وعادت ، حتى دخل عام (٣٧٤) فتمت فيه المفاوضات ، وسلم لأبي العلاء الحسن بن محمد بن سهلويه رسول فخر الدولة مجموع الخلع السلطانية مع العهد - واللواء واللقب ، فخفف بها لصاحبه .

وسارت الامور في عهد فخر الدولة كما يرام ، وكانت كفاءة صاحب في وزارته وإدارته ذات أثر بارز في تذليل الصعاب وتيسير الشؤون العامة بهدوء واستقرار ، فلم تقم في ذلك العهد ثورات شعبية أو انتفاضات ذات شأن ، بل كانت تجري سفينة البلاد في دعة وأمان ، وكان للقيادة العسكرية التي يشرف عليها صاحب يد كبيرة في هذا الهدوء والاطمئنان ، حيث دلنا التاريخ على أن للصاحب تفضلاً وفهماً للشؤون الحربية كان هو السبب في نجاحه وانتصاره في كل غزواته وحملاته العسكرية

وهكذا نجد أدبياً مبرزاً كالصاحب بن عباد يقود الجيوش أيام وزارته ^(١) ، وبهذه القيادة الحكيمة استطاع أن يفتح خمسين قلعة ويسلمها الى

(١) الحضارة الاسلامية : ١١٩/١

فخر الدولة ليضيفها الى مملكته^(١) ، واستطاع أن ينتصر عام (٣٧٧ هـ) لما سار
« الى طبرستان فأصلحها ونفى المتغلبين عنها ، وفتح عدة حصون منها حصن
- قريم - وعاد في سنته^(٢) .

وفي عام (٣٧٨) ضرب الصاحب السكة باسم فخر الدولة ، وأهدى لأُميره
ديناراً وزنه الف مثقال ، « وكان على أحد جانبيه مكتوب :

وأحرى يحكي الشمس شكلاً وصوراً فأوصافه مشتقة من صفاته
فان قيل : دينار فقد صدق اسمه وإن قيل : ألف كان بعض سماته
بديع ولم يطبع على الدهر مثله ولا ضربت أضرابه لسراته
فقد أبرزته دولة فلكية أقام بها الاقبال صدر قناته
وصار الى شاهان شاه انتسابه على أنه مستصغر لعفاته
يخبر أن يبقى سنين كوزنه لتستبشر الدنيا بطول حياته
تأنق فيه عبده وابن عبده وغرس اياديه وكافي كفاته
وكان على الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطائع لله ولقب
فخر الدولة واسم جرجان لأنه ضرب بها^(٣) .

وكانت من ابرز أعماله - خلال وزارته لفخر الدولة - حركته نحو العراق
عام (٣٧٩) ، واتجاهه صوب بغداد لاحتلالها والتربع على دستها الوثير .

ويحدثنا الوزير ابو شجاع عن مقدمات ذلك فيقول : « كان الصاحب بن
عباد على قديم الأيام وحديثها يحب بغداد والرياسة فيها ، ويرصد أوقات

(١) النجوم الزاهرة : ١٧٠/٤ .

(٢) الكامل : ١٣٤/٧ .

(٣) نفس المصدر : ١٣٦/٧ ، ويراجع معجم الادباء : ٢٦٦-٢٦٧/٦ .

الفرصة لها ، فلما توفي شرف الدولة سمت نفسه لهذا المراد ، وظنَّ أن الغرض قد أمكن ، فوضع على فخر الدولة من يعظَّم في عينيه ممالك العراق ؛ ويسهل عليه فتحها ، وأحجم صاحب عن تجريد رأي ومشورة بذلك ؛ نظراً للعاقبة وتبرؤاً من العهدة ، الى أن قل له فخر الدولة : ما الذي عندك أيها صاحب فيما نحن فيه ؟ فقال : الأمر لشاهنشاه ، وما يُدكر من جلالة تلك الممالك مشهور لا خفاء به ، وسعادته غالبية ، فاذا همَّ بأمر خدمته فيه ، وبلغته أقصى مراميهِ .

« فعزم حينئذٍ على قصد العراق ، وسار الى همدان ووافاه بدر بن حسنويه ، وأقام بها مدة يحيل الرأي ويقلبه حتى استقر العزم على أن يسير صاحب وبدر بن حسنويه على طريق الجادة ، ويسير فخر الدولة وبقية العسكر على طريق الأهواز ، ورحل صاحب مرحلة . . . قيل لفخر الدولة : من الغلط مفارقة صاحب لك ، لأنك لا تأمن من أن يستميله أولاد عضد الدولة فيميل اليهم ، فاستعماده وسارت الجماعة الى الأهواز » (١).

و « كان صاحب ابو القاسم اسماعيل بن عباد سبق الى الأهواز وملكها ، ولحقه فخر الدولة بعد عشرين يوماً ، وخيَّم ببستان البريدي ، وتشوَّف الجند الى ما يكون من عطاءه وإحسانه ، فلم يكن منه في ذلك ما اقتضته الحال فضاقوا صدوراً . . . وكان من عجيب الاتفاق . . . ان دجلة الأهواز زادت في تلك الايام زيادة لم تجر بها العادة ، ودخل الماء الى الخيم فأخذ بعضها ، فرحل فخر الدولة وعسكره ، وعظم في أعينهم ما رأوه . . . وقال بعضهم لبعض : إنما حملنا صاحب الى هذه البلاد طلباً لملا كنا » (٢).

(١) ذيل تجارب الامم : ١٦٣-١٦٤ ، والكامل : ١٣٩/٧ .

(٢) نفس المصدر : ١٦٥-١٦٦ .

وبالرغم من تكتم الصاحب ومحاولة عدم ظهوره بمظهر المقترح على فخر الدولة بشأن احتلال العراق - كما مرّ فيما سبق - ، فالظاهر انه لم ينجح بذلك وان الخبر قد شاع حتى لم يعد يخفى على أحد ، وهؤلاء أجناد فخر الدولة - كما جاء في النص الآنف الذكر - يصرون بكون الصاحب هو المحرض على هذا العمل ، ويظنون بأن ابن عباد يهدف - بحركته هذه - الى إهلاكهم وإتلافهم ، كما اتنا نجد صدى هذا النبأ في بغداد ايضاً حيث يروي المؤرخون بأن بهاء الدولة أمير بغداد لما سمع بوصول جيوش فخر الدولة الى الالهواز في طريقها الى العراق جهّز جيشاً كبيراً وجعل على رأسه الحسين بن علي الفراس و « قدّمه وعظمه » ولقبه الصاحب مغايظة لابن عباد وخلع عليه « (١) ».

والتحم الجيشان بمعركة طاحنة كان المتوقع أن يفوز فخر الدولة بنصرها ، ولكن « بعض الظروف والمصادفات من جهة ؛ وجهل جيش فخر الدولة بطبيعة أرض المعركة من جهة أخرى ، كانت كلها من الاسباب المباشرة لاندحار جيش الري حيث كانت بقريهم عدة ايام انهار جاءها المدّ في تلك الايام فطفحت وغمرت الصحارى المحيطة بها ، فظن جيش فخر الدولة ان هذا الفيضان عمل مقصود ومكيدة عسكرية ؛ وان بثقاً كبيراً قد فتحه عدوهم عليهم ليغرقهم ، ولم يكونوا على علم سابق بالمدود وأحوالها فانهمزموا نا كصين على اعقابهم فأسر منهم كثير واستأمن منهم كثير .

وهناك من المؤرخين من ينسب هذه الهزيمة للصاحب ، وانه تعمّد ذلك عناداً لفخر الدولة فيقول : « ربما كان سبب هذا الفعل من الصاحب ما اعتمده فخر الدولة معه من الارتياح به ؛ وردّه حين سار من همدان على جادة العراق ؛

(١) ذيل تجارب الامم : ١٦٦ .

خوفاً من ميله الى أولاد عضد الدولة ، ومثل ذلك ما أثر في القلوب ، وأقام
البريء مقام المريب (١) .

ولا أستطيع الانسياق مع أبي شجاع في اتهامه للصاحب ، لعدم العثور على مثله
في كتب التاريخ الاخرى ، ولتحالفته لرغبة صاحب وشوقه الملح الى حكم بغداد
والتصدر فيها ، خصوصاً وقد روى المؤرخون ما قد شاع وعُلم في ايران والعراق
من أن صاحب هو المحرض على هذا الهجوم ، وان هذا الأمر كله مستند الى
تحريك صاحب وتشجيعه والاقتراح به والسعي في سبيله ، ونتيجة ذلك ان
فشل هذه الحركة معناه فشل صاحب فيما نواه وعزم عليه ، وهذا ما لا يرضاه كل
أحد لنفسه فضلاً عن ابن عباد المعجب الطموح .

هذا كله بالاضافة الى أن أبا شجاع لم يكن محايداً مع صاحب ، بل كان
يحاول أن يهتبل كل فرصة ممكنة في كتابه للطعن بالصاحب والتشهير فيه .

كيف ونحن نرى أبا شجاع يروي عن صاحب قوله لفخر الدولة بعد الهزيمة :
« إن أمثال هذه الامور تحتاج الى توسع في العطاء ، وضايقت الناس مضايقة ،
وأضعفت فينا آمالهم ، وقطعت منا حبالهم ، فان استدركت الأمر باطلاق
المال واستمالة الرجال ضمنت لك رداً أضاف ما تطلقه بعد سنة من ارتفاع هذه
البلاد ، فلم يكن منه اهتزاز لهذا القول ولم تسمح نفس فخر الدولة بعطاء
للشحّ الغالب عليه ، وأخذ الناس في التسلل لاحقين بأصحاب بهاء الدولة ، حتى
كان النقباء يطوفون في صبيحة كل يوم على الخيم فيجدون كثيراً منها قد خلا
من أصحابها (٢) » .

(١) ذيل تجارب الامم : ١٧٠ .

(٢) نفس المصدر : ١٧٠-١٧١ .

ويروي ابن الأثير معركة الأهواز هذه فيقول في خلال ذلك : إن فخر الدولة لما ملك الأهواز « أساء السيرة مع جندها وضيق عليهم ؛ ولم يبذل المال ، فخابت ظنون الناس فيه ، واستشعر منه أيضاً عسكره وقالوا : هكذا يفعل بنا إذا تمكّن من إرادته ، فتخاذلوا ، وكان الصاحب قد أمسك نفسه تأثراً بما قيل عنه من اتهامه ، فالأمور بسكوته غير مستقيمة ، فلما سمع بهاء الدولة بوصولهم الى الأهواز سیر اليهم العساكر والتقوا هم وعساكر فخر الدولة فانهزموا ، فقلق فخر الدولة من ذلك ؛ وكان قد استبدّ برأيه ، فعاد حينئذٍ الى رأي الصاحب ، فأشار ببذل المال واستصلاح الجند ؛ وقال له : إن الرأي في مثل هذه الأوقات إخراج المال وترك مضايقة الجند ، فان أطلقت المال ضمنت لك حصول أضعافه بعد سنة ، فلم يفعل ذلك ؛ وتفرق عنه كثير من عسكر الأهواز ، واتسع الخرق عليه ، وضاعت الامور به ، فعاد الى الري (١) .

ويستفاد من بعض النصوص التاريخية أن هذه الرحلة والحملة العسكرية بملابساتها ومشاكلها وما أظهره فخر الدولة من التشكيك بحسن نية الصاحب وعدم الاعتماد عليه والخوف من انحيازه الى أولاد عضد الدولة — كان كل ذلك سبباً في انقطاع العلاقة القلبية والمودة المتبادلة بين الأمير ووزيره ، وحيث لم يكن باستطاعة فخر الدولة عزل الصاحب وإبعاده عن الحكم فقد سكت على مضض ؛ وصبر على ألم حتى توفي الصاحب في عام ٣٨٥ .

ولما توفي الصاحب تكشف فخر الدولة وتجاهر بما كان يضر « فطالب أبا العباس الضبي — خليفة ابن عباد في الوزارة — بتحصيل ثلاثين ألف درهم

(١) الكامل : ١٣٩/٧ - ١٤٠ .

من الأعمال ومن المتصرفين فيها ، وقال له : إنَّ صاحب أضع الأموال
وأهمل الحقوق ؛ وقد ينبغي أن يستدرك ما فات منها» (١) .

« وقبضا على أصحاب ابن عباد ، وتقبَّ ما كل من جرت مسامحة باسمه
في أيامه ، وقرَّرا المصادرات في البلاد . . . الخ » (٢) .

(١) ذيل تجارب الامم : ٢٦٣ .

(٢) نفس المصدر : ٢٦٤ ، وقريب منه في الكامل : ١٧٠/٧ .

بلغت الوزارة - في ظل ابن عباد - درجة سامية من الأبهة والجلالة والرفعة ، لم يسبق لها مثيل في تاريخ وزارات الدويلات ، وبلغ الصاحب بن عباد من الشأن والمكانة والرتبة مركزاً لم ينله أحد من وزراء الأمراء ، فلم يكن - كغيره - وزيراً قانعاً من دنياه باللقب الرفيع والمراسيم الشكلية ، بل كان وزيراً كبيراً نافذ السلطان بكل ما لهذه الكلمة من معنى أو معان ، فهو محترم الكلمة ، مطاع الأمر ، مهيب الجانب ، عظيم المنزلة ، رفيع الشأن ، يخضع له العلماء والأمراء ، وتعنوا له القادة والزعماء ، ويدعون لفضله وأدبه كل فاضل وأديب ، حتى أصبح الأذن عليه ، والجلوس في ناديه ، وساماً كبيراً لا يعادله وسام ، وحظاً عظيماً تندك دونه الحظوظ .

وكان الأمير فخر الدولة - صاحب الملك وحاكم البلاد - كغيره من رجال المملكة وأقطابها في احترامه للصاحب وتقديره له ، وإكبار عبقريته وكفاءته ، ومعرفه حقه عليه وخدمته له وعنايته به ، وفي بيان بعض ذلك يقول الصاحب :
« ما استأذن لي على فخر الدولة وهو في مجلس الانس إلا انتقل الى مجلس الحشمة فيأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبدل بين يدي وما زحني قط إلا مرة واحدة ، فانه قال لي في شجون الحديث : بلغني انك تقول : المذهب مذهب الاعتزال و ، فأظهرت الكراهة لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا تفرغ معه للهلل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلي مراسلة حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها الى ما يجري مجرى المزل ، (١) » .

(١) يتيمة الدهر : ١٧٩/٣ - ١٨٠ ، وقريب منه في معجم الادباء : ٢٨٤/٦ .

وروى لنا الوزير أبو سعد الآبي صوراً ناطقة عن مقدار احترام فخرالدولة
للساحب ، ومبلغ ما كان عليه سائر رجال الدولة وأعيانها من خضوع
وتقدير له ، فقال :

« وأما هيئته في الصدور ، وخفافته في القلوب ، وحشمته عند الصغير
والكبير والبعيد والقريب ، فقد بلغت الى أن كان صاحبه فخرالدولة ينقبض
عن كثير مما يريد بسببه ، ويمسك عما تشره اليه نفسه لما كانه ، وقد ظهر
ذلك للناس بعد موته ، وانبساط فخرالدولة فيما لم يكن من عادته ، فعلم انه كان
يزم نفسه لحشمته ، ثم كان يحل محل الوالد إكراماً واعظاماً ، ويخاطبه
بالصاحب شفاهاً وكتاباً . »

« فأما أكابر الدولة فكان الواحد إذا رأى أحد حجابه بل أحد الأصاغر
من حاشيته ، فان فرائضه كانت ترتعد ، وجوانحه كانت تصطفق ، الى أن
يعلم ما يريد منه ويخاطبه به . »

« وتظلمت اليه امرأة من صاحب لفولاذ بن مانادر ، وذكرت انه ينازعها
في حق لها ، فما زاد على أن التفت الى فولاذ ، وكان في موكبها يسير خلفه ،
فبهت وتحيّر ، وارتعد ووقف ، ولم يبرح الى أن سار كافي الكفاة ، ثم
أرسل مع المرأة من أرضها وأزال ظلامتها » (١) .

وأضاف أبو سعد قائلاً :

« وكان أبناء الملوك والأمراء والقواد وسائر من ساواهم من الزعماء الكبار
مثل أولاد مؤيد الدولة ، وابن عز الدولة ، ومنوهر بن قابوس بن وشمكير ،
وأبي الحجاج بن ظهير الدولة ، وأسفهد بن أسفار ، وحسن بن وشمكير ،

(١) معجم الادباء : ٦ / ٢٤٧-٢٤٨ .

وفولاذ بن مانادر ، ونصر بن الحسن بن الفيروزان ، وأبي العباس الفيروزان
ابن الحسن بن الفيروزان ، وكببات بن بَلَقَسِيم بن الفيروزان ، وحيدر بن
وهسودان ، وكبخسرو بن المرزبان بن السلار ، وجستان بن نوح بن
وهسودان ، وشيرزيل بن سلار بن شيرزيل ، وكان في يد كل واحد من
هؤلاء من الاقطاع ما يبلغ ارتفاعه خمسين الف دينار وما دونها الى عشرين الف
دينار ، ومن أكبر القواد ما يطول تعدادهم . كانوا يحضرون باب داره ،
فيقفون على دوابهم مطرقين لا يتهكلم واحد منهم هيبية وإعظاماً لموضعه ، الى
أن يخرج أحد خلفاء حجّابه فيأذن لبعض أكبرهم ويصرفهم جملة ، فكان
من يؤذن له بالدخول يظن انه قد بلغ الآمال ، ونال الفوز بالدنيا والآخرة فرحاً
ومسرة ، وشرفاً وتعظيماً ، فاذا حصل في الدار وأذن له في الدخول الى مجلسه
قبّل الأرض عند وقوع بصره عليه ثلاث مرات أو أربعاً الى أن يقرب منه ،
فيجلس من كانت رتبته الجلوس الى أن يقضي كل واحد منهم وطره من
خدمته ، ثم ينصرف بعد أن يقبّل الأرض أيضاً مراراً ^(١) .

ثم يذكر أبو سعد وفاة ام الصاحب وجلوس ولدها لتقبّل التعازي بها
فيقول في أثناء ذلك :

« فأما سائر الامراء والقواد مثل منوچهر بن قابوس ملك الجبل ، وفولاذ
ابن مانادر أحد ملوك الديلم . . . وغيرهم من الأكابر والأماثل ، فانهم كانوا
يحضرون حفلة حسراً ، وكان كل واحد منهم اذا وقعت عينه على الصاحب قبّل
الأرض ، ثم توالى بعد ذلك الى أن يقرب منه ويأمره بالجلوس فيجلس ، وما كان
يتحرك ولا يستوفز لأحد ، بل كان جالساً على عادته في غير أيام التعزية ^(٢) .

(١) معجم الادباء : ٢٤٥/٦ - ٢٤٦

(٢) نفس المصدر : ٢٣٨/٦ - ٢٣٩

ويعصف أبو نصر بن خواشادة بهض مشاهد الصاحب فيقول :
« ما غبطت أحداً على منزلةٍ كما غبطت الصاحب أبا القاسم بن عباد ،
فانّا كنّا مقيمين بظاهر جرجان مع مؤيد الدولة على حرب الخراسانية ، فدخل
الصاحب الى داره في البلد آخر نهار يومٍ ، لحضور المجلس الذي يعقده لأهل
العلم ، وتحت دابةٍ رهواءٍ ، وقد أرسل عنانه ، فرأيت وجوه الديلم وأكابرهم
من أولاد الامراء يعقدون بين يديه كما تعدو الركابية » (١) .

ولم تقتصر عظمة الصاحب وجلالة شأنه على داخل منطقة نفوذه فقط ، بل
كانت أنباء هذه العظمة المتعالية والشخصية الفذة تشق طريقها الى سائر البلدان
والأصقاع فتؤثر أثرها وتفعل مفعولها ، فاذا بالصاحب يُخشى ويُرجى في خارج
مملكته كما يُخشى ويرجى داخلها ، واذا بالملوك والوزراء يستدرجونهم اليهم ،
ويودّون كسب رضاه عليهم ، ويخشون أن يتظاهروا بما يسوؤه ويؤذيه . « لأن
جانبه مهيب ، ولمـكره ديب » - على حد تعبير أبي حيان - ، وقد حفظت
لنا مصادر البحث كثيراً من الشواهد التاريخية على ذلك ، واليك بعضها :

١ - « حكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي قال : سمعت الصاحب
يقول : أفند إليّ أبو العباس تاش الحاجب رقمةً في السرّ بخط صاحبه نوح
ابن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز الى حضرته ليلقي إليّ مقاليد
ملكه ، ويعتمدني لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده . قال : وكان ممّا
اعتدّرت به من تركي امثال أمره ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي ، وحاجني
لنقل كتبي خاصة الى اربعمائة جل ، فما الظن بما يليق بها من تحملي » (٢) .

(١) معجم الادباء : ٢٨٠/٦ .

(٢) انباء الرواة : ٢٠٢/١ ، ومثله في يتيمة الدهر : ١٧٣/٣ .

٢ - يقول أبو حيان التوحيدى للوزير ابن سعدان في أثناء حديثه عن
الصاحب : « اني عملت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد ؛ أودعتها
نفسى الغزير ولفظي الطويل والقصير ، وهي في المسودة ، ولا جسارة لي على
تحريرها ، فان جانبه مهيب ولمـكره ديب » .

ويجيبه الوزير قائلاً : « انسخ لي الرسالة من المسودة ، ولا يمنعنك ذلك ،
فان العين لا ترمقها ، والاذن لا تسمعها ، واليد لا تنسخها » (١) .

ويضيف ابن سعدان قائلاً : « أجد تحريرها ، وعليّ بها ، ولك الضمان
ألا يراها إنسان ، ولا يدور بذكرها لسان » (٢) .

واذا عرفنا ان ابن سعدان كان وزيراً لمصمصام الدولة البويهى أمير بغداد ،
ثم قرأنا هذا النص فرأينا خوفه - كأبي حيان - من إظهار هذه الرسالة ؛ نعرف
مقدار ضخامة السمعة التي كان يتمتع بها ابن عباد وهو غائب بعيد .

٣ - يقول الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير في أثناء رسالة للصاحب :
« وصل خطاب الصاحب - أدام الله عزّه - محمّـقاً ما انتظرته من تفضّله ،
وموتّقاً عرى ثقتي بتكفّله ، فاجتليت طلعة اليمين في أثناء معانيه ، واجتنيّت
ثمار اليسر ممّا صرف قوله فيه ، وشكّره على هذه الحال حقّ واجب ؛
وغريم مطالب ، ولـكن أتى لي بشكر فعل أرغم أنف الدهر ، وحلّل عُقد
السحر ، بلسانٍ دخیل ، وطبع كليل ، إلا أن أعار بلاغته فاعبر بها عمّا
في الضمير ، وأسلم معها من صمة التقصير ، وهذا رجاء ضيق المجال ، وتمنّ
منيع المنال ، فمن أين للضباب صوب السحاب ؟ ، وللغراب هوى العقاب ،

(١) الامتاع والموانسة : ٥٤/١ .

(٢) نفس المصدر : ٦١/١ .

وهيئات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء » (١) .

* * *

والى جانب هذا التقدير الكبير والاحترام البالغ الذي حظي به صاحب من امراء عصره ورجال مصره وأقطاب الحكم والنوخذ من معاصريه ، فانا نجد احترام رجال العلم والأدب له كذلك بل فوق ذلك ، فكان إجلال العلماء والادباء له وإكبارهم لمقامه خليطاً من تقديرهم لعلمه ، وإكبارهم لمركزه ، ورجائهم لنواله ، وخوفهم من سطوته .

ولا مجال لي هنا للدخول في تفاصيل هذا الموضوع وسرد ما قيل من شعرٍ ونثر ، والسكني أروي - فيما يلي - بعض النصوص التاريخية الدالة على المطلوب ليشارك القارىء في الوقوف على جليلة الأمر :

١ - اجتمع صاحب - يوماً - بالقاضي أبي الحسن الهمداني ، فكانت بينهما محادثة مطوّلة رواها أبو حيان التوحيدي ، ثم روى حال الهمداني ساعة المكلمة فقال : « كان مثل الفأرة بين يدي السنّور ، وقد تضائل وقؤوّ لا يصعد له نفّس إلا بنزع ، تذلاً وتقللاً ، على كبره في نفسه » (٢) .

٢ - يقول ميمون بن سهل الواسطي في خلال سرده لبعض مشاهداته (الصاحبية) : « حضرت مجلس صاحب ليلة بجرجان في جماعة من الفقهاء والمتكلمين كالعادة كانت عنده في أكثر ليالي الأسبوع » (٣) .

٣ - « لما عزم صاحب بن عباد على الاملاء وهو وزير ، خرج يوماً

(١) كمال البلاغة : ٧٦-٧٧ .

(٢) معجم الادباء : ١٩٠/٦ .

(٣) يتيمة الدهر : ٣٣/٣ .

متطلساً متعسكاً بزي أهل العلم ، فقال : قد علمتم قديمي في العلم . فأقرّوا له بذلك ، فقال : وأنا متلبّس بهذا الأمر ، وجميع ما انفقته من صغري الى وقتي هذا من مال ابي وجدّي ، ومع هذا فلا أخلو من تبعات أشهد الله وأشهدكم اني تائب الى الله من ذنب أذنبته ثم خرج فقعد للاملاء ، وحضر الخلق الكثير ، وكان المستملي الواحد ينضاف اليه ستة كل يبلغ صاحبه ، فكتب الناس حتى القاضي عبد الجبار (١) .

٤ - يقول الثعالبي : « احتفّ به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربي عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب القوافي ، وملك رقاب المعاني ، فانه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين . . . » وجمعت حضرة صاحب باصبهان والري (٢) وجرجان مثل ابي الحسين السلامي ، وابي بكر الخوارزمي ، وابي طالب المأموني ، وابي الحسن البديهي ، وابي سعد الرستمي ، وابي القاسم الزعفراني ، وابي العباس الضيّ ، وابي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وأبي القاسم بن ابي العلاء ، وابي محمد الخازن ، وابي هاشم العلوي ، وابي الحسن الجوهري ، وبني المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشاني ، وابي الفضل الممداني ، واسماعيل الشاشي ، وابي العلاء الأسدي ، وابي الحسن الغويري ، وابي دلف الخزرجي ، وابي حفص الشهرزوري ، وابي معمر الاسماعيلي ، وابي الفياض الطبري ، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكرهم أو ذهب غني اسمه ، ومدحه - مكتبة - الشريف الموسوي الرضي ، وابو اسحاق

(١) معجم الادباء : ٢٥٢/٦ .

(٢) في النسخة المطبوعة : الزهري ، وهو خطأ صوابه ما ذكرناه .

الصابي ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، وابن نباتة «^(١)» .

٥ - يُروى عن صاحب قوله : « مدحت بمائة الف بيت »^(٢) ، وفي رواية ياقوت والسيوطي : « مدحت بمائة الف قصيدة »^(٣) .

٦ - يقول البيهقي عن صاحب : « مدحه خمسمائة شاعر من أرباب الدواوين »^(٤) .

وهكذا كان صاحب بن عباد جامع شمل العلماء والادباء ، والمنفق عليهم بكرم وسخاء ، فازدحموا على بابه وتدافعوا نحوه من كل حذب وصوب ، « والمنهل العذب كثير الزحام » ، حتى أصبح اجتماعهم لديه مضرب المثل في التاريخ ، فلم يجد المؤرخون - حينما ترجموا الأمير الصنهاجي المعز بن باديس وذكروا شعراءه - تشبيهاً أبلغ من قولهم : « انه اجتمع بحضرته من أفاضل الشعراء ما لم يجتمع إلا بباب صاحب بن عباد »^(٥) .

* * *

وبعد :

فلقد كان صاحب في وزارته قوة طالحة بالعمل والنشاط ، دائبة الحركة في سبيل الخدمة العامة والتنظيم الصحيح :
فهو القائد في الحروب^(٦) .

(١) يتيمة الدهر : ١٦٩/٣ - ١٧٠ .

(٢) الظرائف واللطائف : ٢٣ - ٢٤ .

(٣) معجم الادباء : ٢٦٣/٦ ، وبغية الوعاة : ١٩٦ .

(٤) معجم الادباء : ٢٥٧/٦ .

(٥) ظهر الاسلام : ٣٠٤/١ .

(٦) راجع ص ١١٦ - ١١٧ من هذا الكتاب .

وهو منظّم الخراج وواضع أسسه العادلة ^(١) .
وهو العالم الأديب المتكلم الشاعر الذي نشر العلم وخدم الدين وحمل لواء
الأدب عالياً .
وهو باسط العدل بين الرعية ، وحاسم مشاكل الشعب ^(٢) .
وهو الكريم الذي يهب المآت والالوف من الدنانير لرجال العلم في بغداد
والحرمين فضلاً عن رجال بلده وحضّار مجلسه ^(٣) .
وهو مشيّد المساجد والمشاهد المقدسة في مملكته ، حيث بنى قبر محمد بن
جعفر الدياج بمجران ^(٤) ، وشيّد المسجد الضخم باصفهان ^(٥) .
وهو الأمر بتخفيض بعض الضرائب عن أمته ترفيهاً عليهم ^(٦) .
وكان موقفه مع شعبه ومع عمّاله وموظّفيه مبنياً على هذا الأساس :
« واسع الحكمة طويل الخطوة كثير التوسع والمسامحة في باب النوال
مع السوّال » .

-
- (١) تاريخ قم : ١٤٥ .
(٢) محاسن اصفهان : ٨٤ .
(٣) راجع ص ٦٠-٦٤ من هذا الكتاب .
(٤) تاريخ قم : ٢٢٣-٢٢٤ .
(٥) محاسن اصفهان : ٨٦ ، ويقول المافروخي في وصفه : « اوتى فضلاً ٥٠٠٠
في صلابة الاطيان ، وايفاع المكان ، واستحكام البنيان ، والمنارة التي
أجمع المهندسون على انه لم يبن في العالم أرشق منها قدا ، وأتم مدا ،
وأدق عملا ، وأحكم تفصيلا وجملا ، قد تأنق في ابداعها الصانع
وتنوق ، ولطف في بنائها ودقق ، اتخذها من اللبن والطين في قرار
مكن ، قيدت قاعدتها من الارض بقفيز ، وشيدت قائمتها الى حرذا
حريز ، ارتفاعها مائة ذراع ، وسطحها باع في باع » .
(٦) تاريخ قم : ١٦٥ .

(١) : ٨٦ .

« شديد الشكيمة ضيق الحكمة قطوف الخطوة في باب الاموال مع العمال »

« يسامح في بدرة سائلاً ، ويضايق في حبة عاملاً . »

« وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء ، ويضيق من حيث الوفاء (١) » .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

(٩)

(١٠)

(١١)

(١٢)

(١) رسائل الخوارزمي : ٢٨ .

القسم الثالث

Handwritten signature or mark in the center of the page.

شیونہ واسانڈہ

مكتبة

بدأ ابن عباد دراسته الاولى في اصفهان ، احدى حواضر العلم والفضل في
ايران ، ولم تكن له دراسة سابقة في بلد نشأته - طالقان - إلا تعلم مبادئ
الكتابة والقراءة على أبيه .

وكان طبيعياً أن يتوجه الصاحب نحو الدراسة والتعلم منذ نعومة اظفاره ،
وأن تكون لديه القابلية الجيدة والتقبل الذهني الصحيح لكل ما يقرأ ويسمع ،
فكل ذلك من حسنات البيئة العلمية والبيت المثقف والتوجيه الصحيح الذي
رَزَقَه الصاحب من يومه الأول .

وكل ما يمكن أن يستفاد من مصادرنا التاريخية ان ابا الصاحب - عباداً بن
العاس - كان أول مدرس قام بتعليم الصاحب ما يحتاجه من المقدمات العلمية
والدروس الأولية ، ولعله درس عليه ما هو أكثر من الكتابة والقراءة
كـ بعض الدروس النحوية أو الدينية ، أو ما شاكلها من المعلومات البسيطة التي
يستطيع صبي - بعمر الصاحب - فهمها وهضمها على النحو المطلوب .

أما ما رواه بعض المؤرخين ^(١) من كون عباد أحد شيوخ ابنه في الرواية
فهو من الأخطاء الواضحة ، لأن عباداً توفي وعمر ابنه تسع سنين ، ولا يمكن
لصبي بهذا العمر أن يروي النصوص القديمة - دينية أو أدبية - عن أحد ، لعدم
قدرته على تلقي ذلك وتمثيله في ذهنه ، واطن ان هذا الخطأ راجع - في حقيقته -
الى ما ورد في بعض الكتب من وفاة عباد ابي الصاحب في عام (٣٨٥) ، فظن
هؤلاء ان وجود عباد على قيد الحياة الى تلك السنة يستلزم ممسح ابنه منه وروايته
عنه ، فسجلوا ذلك بلا تمحيص ، في حين ان هذا كله من أخطاء القلم ، وان
عباداً قد توفي في عام (٣٣٥) - كما مر عليك - ^(٢) .

(١) الانساب : ٣٦٤ ، وبغية الوعاة : ١٩٦ ، والمنظوم : ١٨٥/٧ ، والنجوم

الزاهرة : ١٧٠/٤ .

(٢) راجع ص ٢٠-٢٢ من هذا الكتاب .

ولما هاجر عبّاد الى اصفهان وضع لابنه اسماعيل منهجه الدراسي الدقيق ،
وهيأ له الاساتذة الاكفاء القادرين على القيام بواجبهم العلمي المطلوب ، فبدأ
الصاحب دراسته بكل شوق وتلهف ورغبة ، متدرّجاً في ذلك على النحو الطبيعي
المتكافئ مع تدرّجه في الفهم والنضج والتفكير ، ومن دون أن يكون لمصابه بوفاة
أبيه - وهو في مقتبل العمر وريعان الصبا - أي أثر على رغبته وإقباله .

وكان لتشجيع والدته الحنون وترغيبها له على طلب العلم وقعه الكبير في
نفسه ، ورجعه البعيد في استمراره وعكوفه على ذلك ، فكانت تدفع له - حينما
يخرج الى المسجد للقراءة - بعض المال ليتصدق به على أول فقير يلاقيه^(١) ، ثم
كانت تغمره من عطفها وعنايتها وبرها بما يسّليه ويعزّيه عن مصابه ، ويزيده
شوقاً واندفاعاً نحو درسه وكتابه .

وإذا كنّا لم نعثر - في المراجع والمصادر - على ذكر لأسماء أساتذته
الأولين ، وعلى أيّ إشارة لمنهج دروسه اليومية ومواضيعها العلمية ، فإننا لنكتفي
بما وقفنا عليه من أسماء أساتذته الآخرين ، مشيرين الى موجز من الترجمة لهم ،
والى ما سجّله الصاحب من انطباعات عنهم ، مع بيان مقدار فضلهم ، والتنبية
على فرع اختصاصهم الذي اشتهر به كل واحد منهم :

١ - أبوه العمير :

« هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد
ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر في الكتابة وجميع أدوات
الرئاسة وآلات الوزارة ، والضرب في الآداب بالسهام الفائزة ، والأخذ من

(١) معاهد التنصيص : ١٥٤/٢ ، وبغية الوعاة : ١٩٦ .

المعلوم بالأطراف القوية ، يُدعى الجاحظ الأخير ، والاستاذ والرئيس ،
يضرب به المثل في البلاغة ، وينتهي اليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة ،
مع حسن الترسل ، وجزالة الألفاظ وسلاستها ، الى براعة المعاني ونفاستها ،
وما أحسن وأصدق ما قاله صاحب - وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها - :
بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يُقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد
وختمت بابن العميد . . . (١) .

ولد في آخر سنة من القرن الثالث أو أول سنة من القرن الرابع (٢) ، وتولى
الوزارة لركن الدولة بعد وفاة أبي علي القمي في عام ٣٢٨ ، وكان عمره دون
الثلاثين .

« كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظاً للغة والغريب ،
وتوسعاً في النحو والعروض ، واهتداءً الى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظاً
للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام (٣) » .

و « أما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه ، والمعرفة باختلاف فقهاء
الأمصار ، فكان منه في ارفع درجة وأعلى رتبة ، ثم اذا ترك هذه المعلوم وأخذ
في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها أحد ، فاما المنطق وعلوم الفلسفة
والاهليات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه أن يدعيها بحضرته الا أن يكون
مستفيداً أو قاصداً قصد التعلم (٤) » .

(١) يتيمة الدهر : ١٣٧/٣ .

(٢) ابن العميد : ٢٤ .

(٣) تجارب الامم : ٢٧٥/٦ .

(٤) نفس المصدر : ٢٧٧/٦ .

وأما الكتابة فكان الرجل مؤسس مذهب خاص فيها كان له الصدى الكبير والرجع البعيد في عصره وفيما تلاه من العصور .

وكان ابن العميد من أبرز أساتذة صاحب واكثرهم أثراً فيه ووقفاً في نفسه ، فقد درس صاحب عليه صنعة الكتابة والأدب ونقد الشعر^(١) ، وكان ابن العميد من أكابر نقّاد الأدب في عصره ، بل لعلي لا ابالغ اذا قلت : انه أول من أسس هذا اللون من ألوان الأدب في ذلك العهد ، ومنه أخذ صاحب فن النقد الأدبي وكتب بتأثيره رسالته في نقد شعر المتنبي والكشف عن مساوئه ، وفي ذلك يقول صاحب :

« ما رأيت من يعرف الشعر حق معرفته ، وينقده نقد جهابذته ، غير الاستاذ الرئيس ابي الفضل بن العميد - أدام الله أيامه وحسن لديه إناعمه - ، فانه يتجاوز نقد الأبيات الى نقد الحروف والكلمات ، ولا يرضى بتهديب المعنى حتى يطالب بتخيير القافية والوزن ، وعن مجلسه - أعزه الله تعالى - أخذت ما أتعاطى من هذا الفن ، وبأطراف كلامه تعلقت فيما أتلى من هذا الجنس^(٢) . »

ومدح ابن عباد استاذ ابا الفضل كثيراً وفي كل مناسبة بالشعر الطافح بالحب الصادق والعاطفة الصحيحة والولاء المنبعث عن القلب ، ومن ذلك قوله من جملة قصيدة :

ايها الآملون حطوا سرباً . برفيع العماد واري الزناد
فهو ابن جاد ضنّ حاتم طي . وهو إن قال قلّ قسّ اباد

(١) وفيات الاعيان : ٢٠٦/١ ، وبغية الوعاة : ١٩٦ ، وشذرات الذهب :

١١٤/٣ ، وأمل الآمل : ٤٢ نقلا عن طبقات الادباء .

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي : ٤٠ .

وإذا ما ارتأى فأين زياد
الى أن يقول :

ومديحي إن لم يكن طال أنيا
ان خير المداح من مدحته
ويقول فيه من قصيدة أخرى :

قدم الرئيس مقدماً في سبقه
فجبالها من حله وبحارها
وكأنما الأفلاك طوع يمينه
قد قاسمته نجومها فنحوسها
وكأنما الدنيا جرت في طريقه
من جوده ورياضها من خلقه
كالعبد منقاداً لمالك رقه
لعدوه وسعودها في افقه^(٢)

٢ - أبه فا - س :

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا « المقيم بهمدان ، من أعيان أهل العلم
وأفراد الدهر ، له كتب بديعة ورسائل مفيدة وأشعار جيدة وتلامذة كثيرة ،
منهم بديع الزمان الهمداني^(٣) » والصاحب بن عباد^(٤) .

جلب الى الري ليقوم بتدريس أبي طالب مجد الدولة بن فخر الدولة أبي
الحسين بن بويه ، فاغتنم الصاحب هذه الفرصة فقرأ عليه وتلقى منه ، وكان يقول
فيه : « شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف »^(٥) .

(١) يتيمة الدهر : ١٤٠/٣ .

(٢) نفس المصدر : ١٤٠/٣ - ١٤١ .

(٣) انباه الرواة : ٩٣-٩٢/١ .

(٤) وفيات الاعيان : ٢٠٦/١ ، وبغية الوعاة : ١٩٦ ، وأمل الآمل : ٤٢ .

(٥) - نقلا عن طبقات الادباء - .

(٦) معجم الادباء : ٨٣/٤ .

ونشأت بين ابن عباد واستاذة علاقة وصداقة ما فتأت تزداد قوة ومتانة
على مرّ الأيام حتى بلغت أسمى مراتبها وأعلى درجاتها ، وحتى ألف ابن فارس
كتابَه الجليل في فقه اللغة فأسماه « الصاحبي » نسبة لصاحبه ابن عباد ، وفي
ذلك يقول :

« هذا الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، وإنما
عنوانه بهذا الاسم لأنني لما ألفتُه أودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة
عمر الله عراض العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره ، تجملاً بذلك وتحسناً ،
إذ كان ما يقبله كافي الكفاة من عـلم وأدب مرضياً مقبولاً ، وما يرذله أو
ينفيه منفيّاً مردولاً ، لأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه (١) .
والمؤسف ان هذه العلاقة المتينة لم تدم طويلاً ، وكان السبب في انقطاعها
عداء ابن عباد لآل العميد - بعد موقف أبي الفتح بن العميد منه - وشديد
تعصب ابن فارس لهم ، ولما صنف ابن فارس كتاب الحجر وأرسله الى الصاحب
قال : « ردّوا الحجر من حيث جاء ، وأمر له بجائزة ليست بسنية (٢) » .

وروى الصاحب يوماً قول الشاعر :

جاءت بخفٍ وحنينٍ ورحلٍ جاءت تمشى وهي قدّام الابل
« قال : رأيتُ بعض الجهال يصحف ويقول : وحنين وزجل » فسأل
ابو حيان التوحيدى من بعض أصحاب الصاحب عن المقصود بهذا فقال له : انه
ابن فارس معلم ابن العميد أبي الفتح (٣) .

-
- (١) الصاحبي : ٢ .
(٢) يتيمة الدهر : ٣ / ١٨٠ ، وانباه الرواة : ٩٣ / ١ .
(٣) معجم الادباء : ٢٣١ / ٦ .

ابو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان النحوي المعروف بالقاضي السيراني « سكن بغداد وولي القضاء وكان يدرس القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب وعلوماً سوى هذه^(١) .

قرأ عليه صاحب لما زار بغداد بصحبة الأمير البويهري في عام ٣٤٧ هـ ، وفي ذلك يقول :

« وانتهيت الى ابي سعيد السيراني ، وهو شيخ البلد وفرد الأدب وحسن التصرف ، ووافر الحظ من علوم الأوائل ، فسلمت عليه ، وقعدت اليه ، وبعضهم يقرأ الجهرة^(٢) » .

ثم يقول بعد أن يروي بعض المناقشات التي دارت بينهما :

« ورأيت الشيخ - بعد ذلك - عزيزاً^(٣) فاضلاً ، متوسعاً عالماً ، فعلمت عليه وأخذت منه ، وحصلت تفسيره لكتاب سيدييه ، وقرأت صدر آمنه^(٤) » .

٢ - ابو بكر بن كامل :

« احمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور بن كعب بن يزيد . ابو بكر القاضي : أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري ، وكان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن ، والنحو والشعر وأيام الناس ، وتواريخ اصحاب

- (١) انباه الرواة : ٣١٣/١ ، ويراجع في ترجمته : بغية الوعاة : ٢٢١ ، وشذرات الذهب : ٦٥/٣ ، وتاريخ بغداد : ٣٤١/٧ ، والبداية والنهاية : ٢٩٤/١١ .
- (٢) معجم الادباء : ٢٧٦-٢٧٧ .
- (٣) كذا في النسخة المطبوعة ، وأظنه : غزيرا .
- (٤) معجم الادباء : ٢٧٩/٦ .

الحديث ، وله مصنفات في أكثر ذلك ^(١) .

حدث صاحب عنه ^(٢) ، وحضر عليه - لما ذهب الى بغداد - وفي ذلك يقول :
« والقاضي أبو بكر بن كامل بقية الدنيا في علوم شتى ، يعرف الفقه
والشروط والحديث ، وما ليس من حديثنا ، ويتوسع في النحو توسعاً مستحسنًا ،
وله في حفظ الشعر بضاعة واسعة ، وفي جودة التصنيف قوة تامة ، ومن كبار
رواة المبرّد وتعلب ، والبحثري وأبي العيّن وغيرهم ، وقد سمعت قدراً صالحاً
ما عنده » ^(٣) .

٥ - أبو بكر بن مقسم :

« محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن محمد بن سليمان
ابن عبيد الله بن مقسم أبو بكر العطار المقرئ النحوي .. ولد سنة ٢٦٥ ، وسمع
أبا مسلم الكجبي وتعلماً ويحيى بن محمد بن صاعد .. وكان ثقة من أعرف الناس
بالقراءات ، وأحفظهم لنحو الكوفيين .. » ^(٤) .

قرأ عليه صاحب - لما زار بغداد - ، وفي ذلك يقول :

« أبو بكر بن مقسم ، وما في أصحاب ثعلب أكثر دراية وما أصح رواية
منه ، وقد سمعت مجالسه ، وفيها غرائب ونكت ، ومحاسن وطرف ، من بين
كلمة نادرة ، ومسألة غامضة ، وتفسير بيت مشكل ، وحل عقد معضل ،
وله قيام بنحو الكوفيين وقراءتهم ، ورواياتهم ولغاتهم » ^(٥) .

(١) انباه الرواة : ٩٧/١ ، ويراجع في ترجمته : شذرات الذهب : ٢/٣ ،
وبغية الوعاة : ١٥٣ ، وتاريخ بغداد : ٣٥٧/٤ .

(٢) لسان الميزان : ٤١٣/١ .

(٣) معجم الادباء : ٢٧٩/٦ .

(٤) بغية الوعاة : ٣٦ ، ويراجع في ترجمته : تاريخ بغداد : ٢٠٦/٢ ،
وانباه الرواة : ١٠٠/٣ ، وشذرات الذهب : ١٦/٣ ، والمنتظم : ٣٠/٧ .

(٥) معجم الادباء : ٢٧٩/٦ .

٦ — غير الله بن جعفر بن فارس :

يقول ابن حجر في ترجمته للصاحب : « أُملي مجالس في أيام وزارته حدث فيها عن عبدالله بن جعفر بن فارس » (١) .

ولم أعتز على ترجمة هذا الاسم في كتب الأدب والتاريخ ، ولعله عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي الفارسي صاحب المبرد ، والراوي عن ابن قتيبة والدارقطني ، المعروف بشدة انتصاره للبصريين في مذهبهم في اللغة والنحو (٢) .

٧ — العباس بن محمد النحوي :

أبو الفضل الملقب بعرام ، « روى عن عبيدالله بن محمد اليزيدي ، وعنه صاحب بن عباد ، وكان رقيقاً يتعاطى المنادمة ، وله رسائل الى جماعة في الطنز واللاهو » (٣) .

ولم أعتز على ترجمة في المراجع الأدبية لهذا الرجل إلا في بغية الوعاة وإنباه الرواة ، وقد ورد اسمه - في ثانيهما - هكذا : المفضل بن العباس بن محمد (٤) .

٨ — أبو عمرو الصبّاغ :

« بدر من أبي عمرو الصبّاغ الى صاحب جفاء ، فقام صاحب من عنده وكتب اليه :

(١) لسان الميزان : ٤١٣/١ .

(٢) يراجع في ترجمته : تاريخ بغداد : ٤٢٨/٩ ، وإنباه الرواة : ١١٣/٢ .

وبغية الوعاة : ٢٧٩ .

(٣) بغية الوعاة : ٢٧٦ .

(٤) إنباه الرواة : ٣٨٤/٢ .

أودعتني العلم فلا تجهل كم مقول يجني على مقتل
أنت - وإن علمتني - سوقة والسيف لا يبقى على الصيقل^(١)

ولم أعرف - من هذا النص - أبا عمرو باسمه ولقبه التاريخي لأثر على
ترجمته ، ولعله لم يترجم في المصادر والمراجع لعدم اشتغاره بالعلم والفضل ، وعدم
بروزه بنحو من الأنحاء .

وبأبي عمرو هذا تنتهي قائمة أساتذة صاحب الدين سُجلت أسماؤهم في
الكتب التاريخية ؛ وسُجلت قراءة صاحب عليهم وحضوره لديهم ، ولاكنهم
- على تعددهم - أقلُّ عدداً من القائمة الحقيقية لأساتذة صاحب وشيوخه ،
لأن ابن عباد « سمع بالعراق والري واصبهان الكثير »^(٢) ، « وسمع
الأحاديث من الاصبهانيين والبغداديين والرازيين »^(٣) .

وروى الدكتور البير نصري نادر^(٤) ، والدكتور ذبيح الله صفا^(٥) :
ان صاحب قد حضر على أبي هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي - شيخ المعتزلة
في عصره - ، وهو قول لا يستند الى واقع - لأن وفاة أبي هاشم كانت في
عام (٣٢١ هـ) قبل ولادة صاحب بخمس سنين باجماع المؤرخين^(٦) ، ولعله
التبس عليهم أبو هاشم بابنه علي الذي يُروى انه « كان عامياً لا يعرف شيئاً ،

(١) اعيان الشيعة : ٥٠٢/١١ .

(٢) أخبار اصبهان : ٢١٤/١ .

(٣) الانساب : ٣٦٤ .

(٤) فلسفة المعتزلة : ٢٥/١ .

(٥) تاريخ أدبيات ايران : ٥٣ .

(٦) تاريخ بغداد : ٥٦/١١ ، ووفيات الاعيان : ٣٥٥/٢ ، والبداية

والنهاية : ١٧٦/١١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤١/٣ ، والمنتظم :

٢٦١/٦ ، وشذرات الذهب : ٢٨٩/٢ .

فدخل يوماً على الصاحب بن عباد فظنّه عالماً فأكرمه ورفع مرتبته ، ثم سأله عن مسألة فقال : لا أعرف ؛ و (لا أعرف) نصف العلم ، فقال له الصاحب : صدقت يا ولدي ؛ إلا أن أباك تقدم بالنصف الآخر ، (١) .

* * *

وبالإضافة الى هؤلاء الأساتذة الذين كانوا المصدر الرئيس لمعارف ابن عباد ؛ والمنبع الأول من منابع ثقافته ، فقد كانت لديه مصادر ومنابع أخرى يستقي منها العلم والأدب ، ويمتاز ما يشاء من نميرها العذب ومعينها الفيّاض ، وكان لكل واحد منها أثره الكبير فيما بلغه من درجات المعرفة ورتب الفضل ومراقي السكّال الفكري المنشود :

منها :

مكتبته الفخمة الكبيرة التي كانت مضرب الأمثال ومهوى أفئدة أهل العلم في ذلك العصر ، فقد كانت تضم أجلاً الكتب العربية والفارسية وأنفسها وأغلاها ، وكان يبذل في سبيل الكتب النادرة من المال والجهد ما لا يعد ولا يحصى ، ولما طلب منه صاحب خراسان أن يقدم عليه ليعهد بالوزارة اليه ؛ ويجعل زمام الحكم بيديه ؛ كان مما اعتذر به قوله : « عندي من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعائة جمل أو أكثر » (٢) ، ويقول أبو الحسن البیهقي تعليقاً على قول الصاحب هذا : « بيت الكتب الذي بالري دليل على ذلك ؛ بعدما أحرقه السلطان محمود بن سبکتکین ، فاني طالعت هذا البيت فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلدات » (٣) .

(١) وفيات الاعيان : ٣٥٥/٢ .

(٢) معجم الادباء : ٢٥٩/٦ ، وبغية الوعاة : ١٩٧ ، وشذرات الذهب :

١١٥/٣ ، وفيات الاعيان : ٢٠٨/١ ، ومعاهد التنصيص : ١٥٤/٢ .

(٣) معجم الادباء : ٢٥٩/٦ .

وفي وصف هذه المكتبة يقول ابن الأثير : « جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره ، حتى انه كان يحتاج في نقلها الى اربعمائة رجل » ^(١) ، وجاء في رواية الداودي : انها كانت حمل سبعمائة بعير ^(٢) ، وفي رواية السيوطي : ان كتب اللغة وحدها كانت حمل ستين رجلاً ^(٣) .

أما عدد كتبها فقد ورد ذكره في خلال حديث للصاحب عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، حيث قال : « لقد اشتملت خزائني على مائتين وستة آلاف مجلد ، ما منها ما هو سميري غيره ، ولا راقني منها سواه » ^(٤) . وأما نوع كتبها فقد كانت تضم نفائس المؤلفات ونوادر المصنفات ، وكان الصاحب حريصاً جداً على تطعيمها بكل ما غلث منه وعظم شأنه وندرت نسخته ، وحسبك دليلاً على ذلك ما رواه ياقوت بشأن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : « بلغني ان الصاحب بن عباد سمع بكتاب العقد فحرص حتى حصل عنده ، فلما تأمله قال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم ، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا » ^(٥) .

وهكذا نجد هذه المكتبة الثرية بمصادرنا ونفائسها ، الغنيّة بنوادرها وكنوزها ، الزاخرة باصول الأدب والعلم والمعرفة - منهالاً سائغاً كرع منه

(١) الكامل : ١٦٩/٧ ، ومثله في تاريخ ابن خلدون : ٤٦٦/٤ ، والمنتظم : ١٨٠/٧ .

(٢) عمدة الطالب : ١٩٥ ، ومثله في هدية الاحباب : ١٧٠ .

(٣) المزهر : ٥٩/١ .

(٤) معجم الادباء : ٩٧/١٣ .

(٥) نفس المصدر : ٢١٤-٢١٥/٤ .

الصاحب حتى ارتوى ، وغرف من نيره حتى اكتفى ، فلا غرو إذا ما
عددناها في قائمة منابع ثقافته ومصادر معرفته .

ومنها :
ارتياذه لمجالس العلم التي كانت تعقد في تلك العصور ، واستماعه لما كان
يدور فيها من مناقشات ومطارحات ومساجلات في شتى فروع الثقافة العامة ،
فلقد وفق الصاحب الى حضور مثل هذه المجالس منذ أوائل شبابه حتى وفاته ،
فكان مجلس استاذة ابن العميد غاصاً بأعلام الأدب وأقطاب الشعر في عصره ،
ثم كان مجلس الأمير البويعي كذلك ، فاذا بالصاحب متنقل بين هذه المجالس
كما تنقل الفراشة الظامئة بين الورود المفعمة بالري والعبير .

وكان مجلسه الخاص به أيام وزارته « مجعاً لصوب العقول ، وذوب العلوم ،
ودرر القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حد
الاعجاز » (١) فجمع « نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ،
وفرسان الشعر » - على حد تعبير الثعالبي - ، فأصبح هذا المجلس مدرسة
تحفل بكل ما لذ وطاب من علم وأدب ، وشعر ونثر ، وملح ونكت ،
وطرائف وظرائف ، ولهذا صح أن يعد من جملة مصادر الصاحب في معارفه ،
ومنابعه في ثقافته .

وحسبك أن تعرف من رواده : ابن فارس النحوي ، وأبا حيان
التوحيدي ، وأبا بكر الخوارزمي ، وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني ، والحسن
ابن محمد القمي ، ومحمد بن علي الصدوق القمي ، مضافاً الى جمهور الشعراء
المحدثين به ، فكان له من كل ذلك منبع ثقافي طافح ينمره بالمعرفة ويزيده

(١) يتيمة الدهر : ١٦٩/٣ - ٠٠١ -

- على كرسى السنين - فهما ودراية وقوة في العلم ، وتقدما ونضجا واندياجا
في التفكير .

وهكذا وضع المصاحب يديه على أعظم المصادر والمنابع العلمية في ذلك العهد
فـكـوّن منها قابليته الكبيرة ؛ وثقافته الواسعة - التي ستعرفها في الفصل القابل
إن شاء الله - .

معارفہ

سنة

لم يكن صاحب مقتصرآ في دراسته على نوع واحد من أنواع الأدب وفروعه ، بل علّ ونهل من سائر ألوان الثقافة وفنونها المعروفة في ذلك العصر ، فبرع في بعضها ولم يبرع في البعض الآخر .

وقد سجّل المؤرخون مشاركته في المعارف الأدبية في سائر كتبهم ومصنفاتهم ، بل جعلوه (واحد زمانه) و(فريد عصره) في كل ذلك . يقول ياقوت : « صاحب - مع شهرته بالعلوم ، وأخذ من كل فن منها بالنصيب الوافر ، والحظ الزائد الظاهر ، وما أوتي من الفصاحة ، ووفق لحسن السياسة والرجاحة - مستغن عن الوصف ؛ مكثف عن الإخبار عنه والوصف » (١) . ويقول ابن خلدون : « كان أوجد زمانه علماً وفضلاً ، ورياسة ورأياً ، وكرماً وعرفاً بأنواع العلوم » (٢) . وبمثل ذلك عرفه سائر من ذكره من مصنفى كتب الأدب والتاريخ (٣) .

ونسجّل - فيما يلي - قائمة بفروع الثقافة التي كان يجيدها صاحب ، لنعرف مقدار براعته وتمكنه من كل فرع من تلك الفروع :

-
- (١) معجم الادباء : ١٧١/٦ .
 - (٢) تاريخ العبر : ٤٦٦/٤ .
 - (٣) كيتيمة الدهر : ١٦٩/٣ - ١٧٠ ، والنجوم الزاهرة : ١٧٠/٤ ، وانباه الرواة : ٢٠٢/١ ، والمنتظم : ١٨٠/٧ ، والكامل : ١٦٩/٧ ، وتاريخ ابى الفداء : ١٣٠/٢ ، وابى حيان التوحيدى في معجم الادباء : ٤٤/١٥ ، والبداية والنهاية : ٣١٤/١١ ، وشذرات الذهب : ١١٤/٣ ، والفهرست : ١٩٤ ، وأمل الآمل : ٤٢ ، ورجال ابى على : ٥٦ .

لم يسجل التاريخ عن ابن عباد بروزاً في علم تفسير القرآن وما يقبعه من بحوث في الغريب والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما شاكل ذلك إلا مرة واحدة ؛ حيث قيل له : هلاً صنفت تفسيراً ؟ فقال : « وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً ؟ » (١) .

وسواء أ قيل ذلك للصاحب تزلزلاً ونفاقاً أو تقديرًا واعترافًا بكفاءته ، فانه ليدل على شيوع معرفة الصاحب بهذا الفن بين أصحابه والمفتين حوله ؛ معرفة تؤهله للكتابة فيه والبحث في أبوابه ومطالبه .

وحفلت كتب الصاحب ومؤلفاته الكلامية ببعض آرائه في شؤون التفسير وأصوله ؛ وبامتشاده بكثير من الآيات القرآنية التي يُعدُّ بعضها من المتشابه ، وبعضها مما يحتاج الى الحمل والتأويل ، فكان الصاحب مستحضرًا لمعانها ؛ فاهمًا لمداليلها ؛ مطلعًا على الروايات المختلفة والأقوال المتعددة فيها ، بالشكل الذي يلقي بعض الضوء على معرفة مقدار براعته في هذا العلم ، ومقدار عمقه فيه وفي البحوث المرتبطة به .

وادون - فيما يلي - نتفًا من تفسيره وشرحه لبعض الآيات للاطلاع على مقدار كفاءته في هذا الموضوع :

١ - « إعلم أنا نصف القرآن بالأحكام والمتشابه على معنى نوضحه لتطلع على الغرض منه فنقول :

من وجه إن القرآن كله محكم ، ونريد بذلك إحكامه وانتظامه ، وسداده

(١) الحضارة الإسلامية : ٢٧٦/١ ؛ نقلًا عن المعتزلة لابن المرتضى : ٦٣ ، والمفسرين للسيوطي : ٢٤ ، وعلى بن عيسى هو المعروف بالرماني المولود عام ٢٩٦ هـ والمتوفى عام ٣٨٤ هـ ، وكان من شيوخ المعتزلة في عصره ، ومن رجال التفسير والكلام واللغة المشهورين .

واطراده ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ الر . كتاب احكت آياته ﴾ ، ونصفه
من وجه أنه متشابه كله ، ونريد ان بعضه يشبه بعضاً في الاعجاز والبيان ،
 وإقامة الدلالة والبرهان ، والبعد عن الكذب والبهتان ، والارتفاع عن أن
يعارض [٤] اهل البلاغة والبيان ، وهذا كقوله : ﴿ الله نزل أحسن الحديث
كتاباً متشابهاً مثاني ﴾ .

ونصفه بأن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فنريد بالبعض المحكم ما لفظه مطابق
لمعناه ، ولا زيادة في فحواه ، ولا نقصان في اسمه عن مسماه ، كقوله :
﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .
والمتشابه ما أشبه لفظه لمعانٍ مختلفة ، فيحتاج الى تحصيلها بالأدلة ، كقوله
تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم .. ﴾ الى آخر الآية ، فإن هذه اللام في اللسان
العربي محتمل أن تكون لام العلة - على ما تأولها القائلون بالجبر - ، ونحتمل
أن تكون لام العاقبة فتصح على مذهب أهل العدل ، فحقها أن ترد الى مثلها
من المحكم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾
وتبين انها لام العاقبة . وقوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً
وحزناً ﴾ ، وإنما التقطوه ليكون لهم ولداً وقررة عين . لكنه أخبر الشاعر :

وللموت ما تلد الوالده

فلموت تغزو الوالدات سخالها .. البيت

وكما قال :

وام سمالك فلا تجزعي فلموت ما تلد الوالده

وقد ردَّ الله في تفسير الآية على وجوب الرد الى المحكم بقوله : ﴿ منه
آيات محكمات هنّ ام الكتاب واخر متشابهات ﴾ ، وإنما جعلها أمّاً ليردّ اليها ،
كما سُمّي مكة ام القرى لما كان مثابة الناس اليها . وكما سمت العرب أعظم

الدواهي التي تلطم لها : ام طبق وام جبو كرى . . . ولولا هذا المعنى لكان لا وجه أن يقال : انها ام الكتاب . . الخ » (١) .

٢ - « زعمت المشبهة ان الله يَدَيْنِ على معنى الجارحة ، وأثبتت له وجهاً على معنى العضو . وقالت الموحدة : هذا فاسد ، لأن الله تعالى خالق الجواهر ، ومنزّه عن مشابهة الخلائق ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ خلقت يدي ﴾ أي خلقته ، وذكر اليد مجاز ، كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ ، ومعلوم ان المطر لا يد له ، وكذلك اليمين ، ألا ترى الى قول الشاعر في وصف الشمس :

ألفت ذكاه يمينها في كافرٍ

وكذلك القبض ، ألا ترى ان العرب تقول : فلان قبض فلاناً ، وهو لا يريد بذلك انه قبض عليه بجارحته بل بقوته ، وأما الوجه فان العرب تذكره وتريد الشيء نفسه ، كقولهم : هذا وجه الحق ووجه الرأي ، وهذا معنى قوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ معناها إلا هو .

فإن سألت المشبهة فقالت : أين هو ؟ قلنا : (أين) سؤال عن مكان ، وكان الله تعالى ولا مكان ، فلما خلق المكان ولم يتغير عما كان علم انه لا مكان له . فان قال : أليس على العرش استوى ، قيل له : معناه استولى ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

فإن قيل : هو مستولٍ على كل شيء فكيف خص العرش . قيل له :

كما هو رب كل شيء وقال : ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ (٢) .

٣ - « وزعمت المشبهة : ان الله تعالى يُدْرِكُ بالابصار ، وقالت الموحدة :

(١) الهداية والضلالة : ٥١-٤٨ .

(٢) الابانة - نفائس المخطوطات : ١٢-١١/١ .

ان الله لا يدرك بالأبصار ؛ إذ لو كان مرئياً لـكنا نراه ونحن أصحاب البصر..
وقد قال تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ... فإن قيل : فلا إدراك : الاحاطة .
قيل : هذا فاسد في اللسان ، لأن العرب لا تفرق بين قول الرجل : أدركته
ببصري ورأيت ببيصري ، ولو كان الإدراك الاحاطة لقيل في الحائط انه مدرك
لأنه بالدار محيط ، فإن احتجوا بقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ﴾ قيل : ليس لكم في ظاهرها حجة ، لأن الوجه لا يرى به .

وبعد : فقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ عام في الدنيا والآخرة ،
ولو كانت هذه الآية دالة على الرؤية لتناقض القرآن وحاشاه من ذلك ،
وتأويلها ما فسرّها علي (ع) وابن عباس رضي الله عنه وغيره من المفسرين ان
معناها ناظرة الى ثواب ربها ؛ كما يقول الناظر : إنما أنظر الى الله واليك ؛
وكما قال الشاعر :

اني اليك لما وعدت لناظر
نظر الفقير الى الغني المومر

وقد دلنا اليه قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ لن تراني ولكن انظر الى
الجبيل ﴾ ، وإنما سأله موسى عليه السلام ذلك عن قومه ؛ ألا تسمعه تعالى
يقول : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة - الى قوله -
وأنتم تنظرون ﴾ قال عز وجل : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا
- الى قوله - بما فعل السفهاء منا ﴾ يعني سؤالهم الرؤية ^(١) .

٤ - القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ، تكلم لا بآلة كما يتكلم المخلوقون ،
بل بكلام أحدثه وأنشأه وخلقه - ومعنى خلقه : قدره - ، إذ لو كان الكلام من
القرآن وغيره قديماً معه لدل على القول بالتثنية والخروج عن جملة التوحيد ^(٢) .

(١) نفس المصدر : ١٣/١ - ١٥ .

(٢) التذكرة - نفائس المخطوطات : ٨٩/٢ .

الحديث :

يقول ابن كثير في ترجمته للصاحب :

« سمع الحديث من المشايخ الجياد العوالي الاسناد ، وعقد له في وقت مجلس للاملاء فاحتفل الناس لحضوره ، وحضره وجوه الامراء ، فلما خرج اليه لبس زي الفقهاء وأشهد على نفسه بالتوبة والانابة مما يعاينه من امور السلطان ، وذكر للناس انه كان يأكل من حين نشأ الى يومه هذا من أموال أبيه وجده مما ورثه منهم ، ولم يكن كان بخالط السلطان وهو نائب ميامارسونه ، واتخذ بناءً في داره سماه بيت التوبة ، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته ، وحين حدث استملى عليه جماعة لكثرة مجلسه ، فكان في جملة من يكتب عنه ذلك اليوم القاضي عبد الجبار الهمداني وأضرابه من رؤوس الفضلاء وسادات الفقهاء والمحدثين » (١) .

ويحدث السمعاني فيقول :

« سمع الأحاديث من الأصهبانيين والبغداديين والرازيين ، وحدث ، وكان يبحث على طلب الحديث وكتابته ، وقد روى الحديث ايضاً وسموا منه » (٢) .
والمفهوم من هذين النصين السالفين ومما شابههما من النصوص التاريخية الواردة بهذا الشأن ان للصاحب يدأ كبيرة في الحديث وعلومه واصوله وفقهه ، بالشكل الذي جذب « رؤوس الفضلاء وسادات الفقهاء والمحدثين » ، ولم يكن المؤسف

(١) البداية والنهاية : ٣١٥/١١ ، وقريب منه في المنتظم : ١٨٠/٧ ، ومعجم

الادباء : ٢٥٢/٦ ، ومعاهد التنصيص : ١٥٧/٢ ، ومجمع البحرين

(مادة صحب) .

(٢) الانساب : ٣٦٤ .

عدم العثور على ما يؤيد ذلك ويؤكد صحته وقوة ووثوقاً ، فلم تحتفظ كُتبه ولا كتب غيره ممن ترجم له وتحدث عنه إلا على عدة أحاديث لا تتجاوز العشرة في الإحصاء ، وليس فيها ما يدل على عمق الغور وسعة الاطلاع الذي يجذب الفضلاء والفقهاء والعلماء ، بل ليس فيها ما يزيد على ما يستطيع أن يرويه أو يسجله كل من أوتي شيئاً من الذكاء والفهم الذي يؤهله لحضور مجالس المحدثين ومحاضرات الأعلام الرواة المتتبعين ، ولعل فيما فُقد من مؤلفات الصاحب ما يغير الرأي في مقدار براعة ابن عباد في هذا الفن ومقدار عمقه فيه .
واسجل في أدناه أمثلة من مرويات الصاحب وأحاديثه الواردة في كُتبه لتكون أنموذجاً لسائر رواياته المسجلة الأخرى :

١ - « روى عبيد الله بن موسى الروياني ، عن عبد العظيم ، عن إبراهيم ابن أبي محمود قال : قلت للرضا عليه السلام . ما تقول في الحديث الذي يروي الناس بأن الله ينزل الى السماء الدنيا ؟ ، فقال : لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه ! والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ، إنما قال : ان الله عز وجل يُنزل ما كُتِبَ الى السماء الدنيا ليلة الجمعة فينادي هل من سائل فاعطيه » (١) .

٢ - « روى علي بن الحسين السعدابادي ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني ، عن علي بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن موسى الرضا عليهم السلام قال : خرج أبو حنيفة من عند الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فاستقبله موسى عليه السلام ، فقال : يا غلام ممن المعصية ؟ فقال : لا تخلو من ثلاثة :

(١) أحوال عبد العظيم - نفائس المخطوطات : ٢١/٤ .

إِذَا أَنْ تَكُونَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيْسَ مِنْهُ ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْكَرِيمِ أَنْ يُعَذَّبَ
عَبْدَهُ بِمَا لَمْ يَكْتَسِبْهُ .

وَإِذَا أَنْ تَكُونَ مِنْ اللَّهِ وَمِنْ الْعَبْدِ ، فَلَا يَنْبَغِي لِلشَّرِيكِ الْقَوِي أَنْ يُظْلَمَ
الشَّرِيكِ الضَّعِيفُ .

وَإِذَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ - وَهِيَ مِنْهُ - ، فَإِنْ عَاقَبَهُ فَبِذَنْبِهِ ، وَإِنْ عَفَا
عَنْهُ فَبِكْرَمِهِ وَجُودِهِ » (١) .

٣ - « الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ : { إِنْكُمْ تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ } خَيْرُ
وَاحِدٍ ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ ، هَذَا وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ ،
وَلَوْ صَحَّ لَكُنْ تَأْوِيلُهُ سَائِفًا ، وَمَعْنَى - تَرُونَ رَبَّكُمْ - أَيُّ تَعْلَمُونَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا
اسْتِدْلَالًا ، وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْآخِرَةِ ضَرُورَةً ، كَمَا نَحْنُ مُضْطَرُونَ إِلَى الْعِلْمِ
بِكُونَ الْقَمَرِ ، وَالرُّؤْيَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَاللُّغَةِ » (٢) .

(١) نفس المصدر : ٢٢ .

(٢) الإبانة - نفائس المخطوطات : ١٥/١ .

يقول أبو حيان التوحيدي :

« كان صاحب كثير المحفوظ ، حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد تنف من كل أدب شيئاً ، وأخذ من كل فن طرفاً ، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابه مهجئة بطرائقهم ومناظرتهم ^(١) » .

ومن حسن الحظ أن تحتفظ لنا الأيام ببعض مؤلفاته الكلامية التي أودع فيها كثيراً من آرائه ومعتقداته ومناقشاته لمخالفه في الرأي ، ويظهر للمتأمل في مجموعها أن الرجل كان على جانب كبير من الاطلاع على الكتب الكلامية المتعددة ، وأقوال المذاهب المختلفة ، بل آراء الفلاسفة الأقدمين ، وعقائد الديانات السابقة ، والمبادئ الدينية الغابرة ، وقد حاول في رسائله مناقشتها وردّها ودحض حججها بأسلوبه الأدبي الجميل ، وقلمه البليغ المعروف .

ناقش صاحب الدهرية والمعتزلة ، والمجوس الثنوية ، والنصارى والمتفلسفة ، والمشبّهة والبراهمة واليهود ، والمجبرة القدرية ، والمرجئة والخوارج ، والحشوية والعمانية . وكتب في أصول الاسلام الخمسة بتفصيل واف بالموضوع ، وتكلم في الهداية والضلالة والطرق الموصلة الى كل واحد منهما ، ولم يكتف بالكتابة والتأليف في هذه المطالب حتى نظمها شعراً ورجزاً يقرر فيه رأيه المختار مشفوعاً بالاشارة الى ما يدعمه من دليل صحيح وبرهان سليم من المناقشة في نظره .

واسجل - فيما يلي - بعض آرائه ومناقشاته الكلامية بشيء من التطويل والتفصيل ، لارتباطها بعدة أديان ومذاهب ومعتقدات ، ولتعرض البحث فيها

(١) معجم الادباء : ١٧٤/٦ - ١٧٥ ، والامتناع والمؤانسة : ٥٤/١ .

الى بعض النقاط التي تعدُّ من صميم علم الفلسفة - وإن دخلت في ضمن مباحث علم الكلام - مما يدل على تمرسه بها وتمكّنه منها :

١ - « زعمت الدهريّة : أن الأجسام التي نشاهدها قديمة ، وقالت الموحدة : هي محدثة ، لأن الإمارات التي فيها من التحول والتنقل والتبدل والاجتماع والافتراق إمارات الحدوث لا القدم ، ألا ترى أن اجتماعها يحدث فيبطل افتراقها ، فإذا كانت لا تنفك من الحوادث فهي محدثة لأنها لم تتقدمها في الوجود ، وقد علمنا أن النطفة لو وضعت بين يدي العالم لما قدروا أن يخلقوا منها ذبابة كما قال الله تعالى . . ، ووجدناها خُلِقَ منها بشر سويّ ، فعلمنا أنه حادث أحدثه قادر لا يشبهه القادرون » (١) .

٢ - « زعمت المعطّلة أن لا صانع للعالم ، وقالت الموحدة : له صانع وهو الله سبحانه وتعالى ، واستدلت : بأن الفعل لا بد له من فاعل ، والكتاب لا بد له من كاتب ، ألا ترى أن مدّعياً لو ادعى في دارٍ أنها قديمة لا باني لها - كان عند العقلاء مجهلاً ، فكيف تسوغ هذه الدعوى في السماوات والأرضين ، مع حسن تركيبها ، وانتظام تصويرها » (٢) .

٣ - « زعمت المشبهة : أن الله يصعد وينزل ، ويجيء ويذهب ، ويبدو ويستتر ، ويظهر ويختبئ ، وقالت الموحدة : أنه لا يحول ولا يزول ، لأن ما يحول يزول ويختبئ ينتقل لا يكون أزلياً ولا قديماً ، فهذه علامات الحدوث » (٣) .

(١) الابانة - نفائس المخطوطات : ٩/١ .

(٢) نفس المصدر : ٩/١ - ١٠ .

(٣) نفس المصدر : ١٣/١ .

٤ - « زعمت القدرية : ان الله تعالى خالق الكفر وفاعله ، ومنشئ الزنا ومخترعه ، ومتولي القيادة وموجدها ، ومبتدع السرقة ومحدثها ، وكل قبائح العباد من صنعه ، وكل تفاوت فمن عنده ، وكل فساد فمن تقديره ، وكل خطأ فمن تدييره .

فإن قالوا على سبب التلبيس : ان العبد يكتسب ذلك ؛ فاذا طولبوا بمعنى الكسب لم يأتوا بشيء معقول .

وقالت العدلية : معاذ الله أن يكون فعله إلا حكمة وحقاً ، وصواباً وعدلاً ، قالزنا فعل الزاني انفراد بفعله ، فكذلك قبيح منسوب الى المذموم به ، وإنما تولى المذمة العاصي ، إذ باع الآخرة بالدنيا ، ولم يعلم ان ما عند الله خير وأبقى ، ولو كان قد خلق أعمال العباد لما جاز أن يأمر بها وينهاهم عنها ، كما لم يحز أن يأمرهم بتطويل جوارحهم وتقصيرها ، إذ خلقها على ما خلقها ، ولو خلق الكفر لما جاز أن يعيب ما خلق ، ولو كان فاعل الكفر لما جاز أن يذم ويعيب ما خلق ويذم ما فعل ، ولو كان مخترع الفساد لما جاز أن يعاقب على ما اخترع ، ولا تنفك القبائح من أن تكون من الله تعالى فلا حجة على العبد ، أو من الله ومن العبد فمن الظلم أن يفرده بعقاب ما شارك في فعله ، أو من العبد فهو يستحق العقاب » (١) .

٥ - « زعمت العثمانية وطوائف الناصبية ان أمير المؤمنين عليه السلام مفضول في أصحاب رسول الله (ص) غير فاضل ، واستدلّت بأن أبا بكر وعمر وليا عليه ، وقالت الشيعة العدلية : فقد ولي النبي (ص) عليهما عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل فليقولوا انه خير منهما ، وقالت الشيعة : علي

(١) الابانة - نفائس المخطوطات : ١٨/١ - ١٩ .

عليه السلام أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلذلك آخى بينه وبينه حين آخى بين أبي بكر وعمر ، فلم يكن ليختار الأفضل لمن آخاه عمر ، ومن دونه لمن آخاه نفسه » (١) .

٦ - « هو تعالى واحد لا قديم معه ولا إله سواه ، إذ لو جاز إثبات اثنين لما امتنع من إثبات ثالث ورابع الى ما لا نهاية له ، ولجاز أن يتوهم كيف يختلفان ويتغالبان ، وفي تجويز الغلبة لأحدهما إثبات المعجز ، والإله لا يكون عاجزاً » (٢) .

٧ - « من ارتكب الكبائر من أهل القبلة فأنما لا نطاق عليه الكفر - كما زعمت الخوارج - ؛ إذ لو كان كافراً لما نُصلي عليه ولا ورثه المسلمون ، ولا نقول إنه مؤمن لأن صفة الايمان صفة تشريف وأعظم ، ومرتكب الكبائر مهان ذليل ، ونقول : إنه فاسق ، وذلك (منزلة بين المنزلتين) ، فمحال أن يكون الرجل في حالة مؤمناً وفاسقاً ، ولياً لله عدوّاً » (٣) .

٨ - « نقول للمجبرة : كيف تستيقن نفوسكم أن الله الذي هو أعلم العلماء وأحكم الحكماء وأرحم الراحمين ؛ الذي لا تلحقه المضار ولا تناله المنافع ؛ المطبوع بالخير قبل المسألة ؛ والدافع الشر قبل الطلبة - يأمر بالايان ولم يُرِده ، وينهى عن الكفر ويريده ، ويقضي بالباطل ويقدره ، وكيف يجوز أن يصرفهم عن الايمان ثم يقول : (أئني بصرفون) ، ويخلق فيهم الايفك ثم يقول : (أئني يؤفكون) ، وأنشأ فيهم الكفر ثم يقول : (لم تكفرون) ،

(١) الابانة - نفائس المخطوطات : ٢٥/١ .

(٢) التذكرة - نفائس المخطوطات : ٨٨/٢ .

(٣) نفس المصدر : ٩٤/٢ .

وفعل لبس الحق بالباطل ثم قال : ﴿ لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ ، وصدّهم عن السبيل ثم قال : ﴿ لم تصدّون عن سبيل الله ﴾ ، وحال بينهم وبين الايمان ثم قال : ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ﴾ ، وذهب بهم عن الرشد ثم قال : ﴿ فأين تذهبون ﴾ ، وأضلّهم حتى أعرضوا ثم قال : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ .

إنّ هذا لو وصف في أعتى الفراعنة وأظلم الجبابرة لاستقبح ، فكيف في الحكيم الرؤوف - تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً - .

ثم ان الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - لمّا بُعِثُوا اتبعوا الأدلة التي صحبتهم ، والمعجزات التي صدّقتهم ، فان التفرقة بين الصادق والكاذب ، والمعجز والحيلة ، والدلالة والشبهة ، إنّما تستدرك بالعقل ، وتعرف بالتمييز والفحص . فلو جاز أن يأتي الأنبياء - عليهم السلام - بكثير مما يمتنع في العقول ، ويبطل عند ذوي الأبواب ولا يسوغ ، لكانوا قد كذبوا أنفسهم ، إذ بالعقل تصديقهم وقد سقطت حجته والتبسّت محجته ، ولا جائز أن يأتي الأنبياء بما ينافيه ويضادّه ، ويمازيه ويحادّه .

فليت شعري كيف يقبل الجبري بذوبة نبي بدليل عقل ، وقد جاء - على رُغمه - بما تدفعه العقول وترفضه ، وتحيله وتنقضه ، وأبين من هذا : ان القديم - تعالى - إنّما عرفناه بدليل العقل ، واستدلنا عليه بمقتن الصنع ^(١) .

٩ - روى أبو حيان التوحيدى فقال : « كان ابن عباد قال لـ كاتبه

مرة . . . في شيء جرى : (نعم . العالم عتيق ولاكن ليس بقديم) أي لو كان قديماً لكان لا أوّل له ، ولمّا كان عتيقاً كان له أوّل ، ومن أجل هذا

(١) الهداية والضلالة : ٣٩-٤١ .

الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم ، واستحسنوا هذا الاطلاق ، وقد سألت
العلماء البصرياء عن هذا الاطلاق فقالوا : ما وجدنا هذا في كتاب الله - عز
وجل - ولا كلام نبيّه . . . وسألت أبا سعيد السيرافي الإمام : هل تعرف
العرب أن معنى القديم ما لا أوّل له ؟ فقال : هذا ما صحّ عندنا عنهم ،
ولا سبق الى وهمنا هذا منهم ، إلا أنهم يقولون : هذا شيء قديم وبنيان
قديم ، ويسرّحون وهمهم في زمان مجهول المبدأ ، (١)

ولم يكن هذا الرأي من ابن عباد في تفسير لفظتي « قديم » و « عتيق »
بدعة في عالم الآراء ، ولا جديداً عند المتكلمين ، كما لم يكن تعليق أبي حيّان
على رأي صاحب منبعضاً عن صفاء في النية ونزاهة في الهدف وطهارة في القصد ،
بل كان يهدف من هذا التعليق الى طعن ابن عباد والقشير به - كما اعتاد عليه
في كل مناسبة - .

وقد أشار السيد الشريف المرتضى علي بن الحسين الى بعض الآراء
الكلامية بهذا الشأن فقال :

« يوصف تعالى بأنه قديم ، وقد اختلف الناس في هذه اللفظة ، فقال
أبو علي ومن وافقه : إن فائدتها الوجود فيما لم يزل ، فعلى هذا لا يستحق هذه
اللفظة أن يسمّى بها غير الله تعالى ، وجنح الى أن قولهم : (نبأ قديم والعرجون
القديم) مجاز ، وقال آخرون : اللفظة تقتضي المبالغة في وصف القديم ، وكان
أبو هاشم يقوّي هذا وينصره . والصحيح في هذا : انه اختصت بما لا أوّل
لوجوده .

ولا يوصف تعالى بأنه عتيق ؛ لأن أبا علي اعتلّ في نفي ذلك عنه بأن

(١) الامتاع والمؤانسة : ٢٤-٢٥ .

هذه اللفظة إنما تستعمل فيما حدثت من جنسه أمثاله ، لأنهم يقولون : تمر عتيق
إذا طرأ عليه الحديث ، ولا يقال في السماء عتيقة لما لم يحدث من جنسها مثلاً ،
وقال أبو هاشم : هي عبارة عما أثير في حاله الزمان ؛ وإنما قالوا تمر عتيق لما
أثير فيه الزمان ؛ لا بحدوث ما هو من جنسه ، وقولهم : فرس عتيق يريدون
كرم أصله وجودته ؛ كما قالوا : البيت العتيق على سبيل المدح والتعظيم (١) .

ومما ورد في شعر الصاحب من المعاني الكلامية قوله من قصيدة :

وبن كان بالتشبيه والجبر دائماً	فاني في التوحيد والعدل أوحده
أنزله رب الخلق عن حد خلقه	وقد زاغ راو في الصفات ومسند
فهذا يقول : الله يهوي وبصعد	وهذا لديه الله - مذ كان - أمرد
تبارك رب المرد والشيب إنهم	لأكفر من فرعون فيه وأعند
وآخر قال : العرش يفضل قدره	واوهم ان الله جسم مجسد
وآخر قال : الله جسم مجسم	ولم يدرك ان الجسم شيء محدد
وأن الذي قد حد - لا بد - محدث	إذا ميز الأمر اللبيب المؤيد
وقلنا : بأن الله لا شيء مثله	هو الواحد الفرد العلي الممجّد
يقولون : عدل أن يكلف مقعداً	قياماً وعدوا مسرعاً وهو مقعد
وقلنا : بأن الله عدل وأنه	يكلف دون الطوق ما هو أحمّد
وان ذنوب الناس - أجمع - كسبهم	بأحداثها من دونه قد تفرّدوا

ويقول في قصيدة أخرى :

قالت : فكيف عرفت الحق هات به	فقلت : بالفكر في الأقوال والعلل
قالت : فهل هذه الأجسام محدثة	فقلت : جداً وإن رمت الدليل سلي

(١) فنون من علم الكلام - نفائس المخطوطات : ٧٣/٥ - ٧٤ .

قالت : اريد دليلاً فيه مختصراً
قالت : فهل صانع تدعو اليه أجب
قالت : فهل من دليل فيه تذكرة
قالت : أين لي أجسم ذاك أم عرض
قالت : وما ضرَّ لو أثبتته جسداً
ويقول في اخرى :

فقلت : أن ليس فيها غير منقول
فقلت : لا بد قولاً غير ذي مِيل
فقلت : بيت بلا بانٍ من الخطل
فقلت : بل خالق الجنسين فانتقلي
فقلت : لا توجد الأجسام في الأزل

إصغ الى وصفي حدوث العالم
كم أعجزت من فيلسوف عالم
جميع ما تشهده مؤلف
وفيه للصنع دليل يعرف
عزَّ فما تدركه الأبصار
ولا له كيف ولا استقرار
لو كان محسوساً بعين ناظر
وكان ذا كل وبعض ظاهر
أو صحَّ أن ينزل أو أن يصعدا
وصحَّ أن يجلس أو أن يقعدا
ولو أراد ربنا أن يُشتما
لكان فيه طائعا قد علما
أو كاف الأمر بلا استطاعه
ولا أقام للعقاب الساعه

بحجة كحدِّ سيف صارم
فعاد للحق بأنف راغم
مركب منوع مصنف
لأنه مدبر مصرف
كلاً ولا تبلغه الأفكار
ولا له أين ولا أقطار
لكان ملوساً بكف زائر
وكان ذا حدٍ من المقادر
لصحَّ أن ينام أو أن يسهدا
وصحَّ أن يولد أو أن يلدأ
وفعل الشاتم ما قد حتما
وكان من عدبه قد ظلما
ما ذمَّ من عدوه امتناعه
اف لهذا القول من شناعه

كانت ثروة صاحب من علوم اللغة كبيرة جداً وضخمة الى حد بعيد ،
وكان تمكنه منها وتبحره فيها بارز الأثر قوي الظهور في سائر ما احتفظ به
الزمن من مراسلات ابن عباد ومكاتباته ، ومؤلفاته العديدة ، وشعره
الكثير .

وكانت معرفة صاحب باللغة وإتقانه أبحاثها وتمرسه بعلمها خبراً شائعاً
ذائعاً لدى كل معاصريه الأعلام وسائر المترجمين له من رواة التاريخ ومؤرخي
العلوم ، حتى عُدد في قائمة أعلام اللغة في أكثر الكتب اللغوية ومصادرها
المعروفة ، وحتى قال العلامة الشهير ابن فارس في مقدمة كتابه : « صاحب
في فقه اللغة العربية » في بيان سبب تسمية الكتاب بهذا الاسم ما نصه :

« لأنني لما ألفتُه أودعته خزانة صاحب الجليل . . . ، إذ كان ما يقبله
كافي الكفاة من علم وأدب مرضياً مقبولا ، وما يرذله أو ينفيه منفيّاً مردولاً ،
ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومُفاد منه » (١) .

ولا حاجة الى التطويل في نقل أقوال المؤرخين وآرائهم في معرفة صاحب
باللغة ، فقد كفانا كتابه القيم « المحيط » مؤنة ذلك ، حيث نجد صاحب
فيه عالماً لغوياً كبيراً لا يشق له غبار ، وإذا كانت الأيام لم تحتفظ بمؤلفات
الصاحب اللغوية الاخرى ككتاب « الجوهرة » وكتاب « الحجر » وأمثالهما
فان احتفاظها بالمحيط وحده كافٍ في الدلالة على مبلغ تمكن صاحب من اللغة
ووقوفه على سائر بحوثها وفروعها وفقها ومفرداتها الكثيرة الوافرة .

واليك بعض مقدمة المحيط مثلاً على أسلوب صاحب في بحثه اللغوي ،
ومنهجه في التأليف والتحقيق فيه :

« كلام العرب مبنيٌّ على أربعة أنحاء : الثلاثي والثنائي والرباعي والخماسي ،
لا يُجاوز بناء الكلمة والحروف [لا] صلية ذلك إلا أن تلحقها الزوائد ،
فقد تبلغ بها حينئذ سبعة نحو القَرَ عِبْلَانَة وهي دويبة ، فأما الثنائي فإنه يجيء
على ضربين ، ربما جاء وأصله ثلاثة نحو دم وفم وشفه ؛ ويتبين الذهاب منه
بالتصريف ، وربما جاء ولا أصل له في الثلاثي نحو الأدوات وأسماء الزجر
والحكايات مثل من وعن وصه ومه وطق وقد . »

« والثلاثي نحو قولك من الفعل : ذهب وضرب ، ومن الاسم : حجر
وشجر . »

والرباعي من الفعل نحو : دحرج وقرطس ، ومن الاسم نحو : عقرب وعبقر .
والخماسي من الأفعال لا يكون إلا بالزيادة ، فأما من الأسماء فنحو :
سفرجل وشمردل . ولا يجيء الخماسي إلا وفيه حرف أو حرفان من حروف
الذلاقة وهي ستة أحرف ، ولها مخرجان ، فمنها الفاء والباء والميم ؛ وهي من
الشفة ، ومنها الراء والنون واللام ؛ وهي من أسلة اللسان ، وكذلك الرباعي
إلا أن يكون فيه أحد حرفي الطلاقة وهما الميم والقاف ؛ أو كلاهما ؛ أو السين
والدال ؛ أو إحداهما ، وهو مع ذلك قليل . »

« واعلم أن من الأبنية الصحيح والمعتل ، فالصحيح : ما سلم أصل بنائه
من حروف العلل وهي الواو والياء والألف ، والمعتل : ما شاب حروفه حرف
أو حرفان منها ، فأما اللفيف فما لا يكون فيه من الحروف الصحاح إلا
حرف واحد . »

« فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لِمَ ابْتَدَأَ الْخَلِيلُ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَبْنِيَةِ بِالشَّائِي ، وَقَدْ قَالَ سِيدِيوِيه : أَقَلُّ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ الْكَلِمَةُ حَرْفٌ وَاحِدٌ ؟ »

قِيلَ لَهُ : إِنَّمَا أَشَارَ بِالْكََلِمَةِ تَسَامُحًا مِنْهُ إِلَى حُرُوفٍ مَفْرُودَةٍ مُوصُولَةٍ بِأَطْرَافِ الْكَلِمِ لَا يَقْدِرُ عَلَى قِطْعِهَا مِنْهَا ، وَلَا تَسْتَقِلُّ بِذَوَاتِهَا ، نَحْوُ : لَامٍ لَقَدْ وَكَافٍ هُنَاكَ ، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَلَا تَسْتَحِقُّهَا - حَقِيقَةً - إِلَّا مَا يُمْكِنُ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ وَالْوُقُوفُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ فِي أَقَلِّ مِنْ حَرْفَيْنِ « (١) » .

وَمِنْ آرَائِهِ الْمُرْتَبِطَةِ بِاللُّغَةِ قَوْلُهُ فِي كَيْفِيَّةِ وَضْعِ اللُّغَاتِ وَنَشَأَتِهَا :

« وَلَوْلَا إِرسَالُ الرِّسْلِ لَمَا عَرَفَ النَّاسُ لُغَاتٍ يَتَخَاطَبُونَ بِهَا ، وَلَيْسَ عَلَى ادِّعَاءِ الْإِصْطِلَاحِ فِيهَا دَلِيلٌ ، إِذَا الْإِصْطِلَاحُ عَلَى لُغَةٍ لَا يَكُونُ إِلَّا بِلُغَةٍ . . . ، وَالتَّجَرُّبَةُ تَكْشِفُ مَا قَلَنَاهُ « (٢) » .

وَمِنْ شَوَاهِدِ حِفْظِهِ لِلْغَرِيبِ وَاسْتِحْضَارِهِ لِمَفْرَدَاتِ اللُّغَةِ قَوْلُهُ يَوْمًا لِلشَّاعِرِ التِّيمِي :

« كَيْفَ تَقُولُ الشَّعْرَ ؟ وَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ تَجِيدُ ؟ وَإِنْ أَجَدْتَ فَكَيْفَ تَغْزِرُ ؟ وَإِنْ غَزَرْتَ فَكَيْفَ تَرُومُ غَايَةً ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ مَا الزَّهْزِيقُ ، وَمَا الْمَبْلَعُ ، وَمَا الْعَشْلَطُ ، وَمَا الْجَلْعَلُوعُ ، وَمَا الْقَهْقَبُ ، وَمَا الْقَهْقَبِيلُ ، وَمَا الْخَلْبُوسُ ، وَمَا الْخُزْعِمِلَةُ ، وَمَا الْقُدْ عِمَاةُ ، وَمَا الْعُمُرُوطُ ، وَمَا الْجِرْفَاسُ ، وَمَا اللَّثُّوسُ ، وَمَا النَّعْشَلُ ، وَمَا الطَّرِيَالُ ، وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَرْنَمِ وَالرَّذَمِ ، وَالْحَدْنَمِ وَالْحَدْنَمِ ، وَالْقَضْمِ وَالْخَضْمِ ، وَالنَضْحِ وَالرُّضْحِ ، وَالْقَصْمِ وَالْقَصْمِ ، وَالْقَصْعِ وَالْفَصْعِ ، وَمَا الْعَبْنَقَسُ ، وَمَا الْعَلْنَكَسُ ،

(١) المحيط : ١/٢-٣ مخطوط بمكتبة المتحف العراقي .

(٢) الابانة - نفائس المخطوطات : ١٦/١ .

وما الوكال ، والزومل ، وما الحيشعور ، واليسنعور ، وما الشنعوف ،
وما الخذروف ، وما الحسزون ، وما القفنداد ، وما الجمليل ،
قال الشاعر :

جاءت بخف وحنين ورحل^١ جاءت تمشي وهي قدّام الابل^٢
مشي الجميلية بالحزق النقل^٣
قال : ورأيت بعض الجهال يصحّف ويقول : وحنين وزجل « (١) » .

(١) معجم الادباء : ٦/٢٢٨-٢٣١ .

درس الصاحب النحو على العلامة اللغوي ابن فارس ، كما درس بعض المباحث النحوية على أبي سعيد السيرافي ، وأبي بكر بن كامل ، وأبي بكر بن مقسم ، فلا غرابة إذا ما كانت للصاحب يد في هذا العلم وبراعة فيه ، كما لا غرابة إذا ما عُدَّ من أعلام النحو في الكتب المعدة للترجمة لهم ، ككتاب « إنباه الرواة على أنباه النحاة » للقفطي ، وكتاب « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي ، وأمثالهما من المؤلفات المختصة بهذا الموضوع . ولكنَّ الغريب الملفت للنظر ما يرويه أبو حيان التوحيدي إذ يقول :

« أمّا أبو اسحاق فإنه أحبُّ الناس للطريقة المستقيمة ، وأضاهم على المحجة الوسطى ، وإنما يُنسَقَم عليه قلة نصيبه من النحو ، وليس ابن عباد في النحو بذلك » (١) .

وروى أبو حيان - تأييداً لرأيه في ضيف الصاحب بالنحو - هذه المطارحة :

« قال الصاحب يوماً : فَعَلٌ وأفعال قليل ، وزعم النحويون أنه ما جاء إلا زند وأزناد ، وفرخ وأفراخ ، وفرد وأفراد . فقلت له : أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فعل وأفعال ، فقال : هات يا مدعي ، فسردت الحروف ودلت على مواضعها من الكتب ، ثم قلت : ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسمع الواسع ، وليس للتقليد وجهٌ إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً » (٢) .

(١) الامتناع والمؤانسة : ٦٧/١ .

(٢) معجم الادباء : ٢٦-٢٧/١٥ .

ولقد سبق لي القول بأن ما ينفرد بنقله أبو حيان لا يصح التعويل عليه
لأنه موضوع شك و تهمة ، وأن الباحث المثبت لا يمكن أن يجعل هذه الروايات
مصدراً لرأي أو دليلاً على وجهة نظر ، ولهذا فليس باستطاعتي الانسياق مع
هذه الادعاءات ؛ وإن لم يكن لدي من القرائن ما يكذبها وينفيها .
ولم أعتز في مؤلفات الصاحب وفيما أثر عنه في كتب التاريخ والأدب على
رأي نحوي له إلا مرة واحدة ؛ حيث يقول عند ذكره لأبي سعيد السيرافي
ومجلس درسه :

« وابتدأ فقري عليه من كتاب المقتضب باب ما يجري وما لا يجري ،
إلى أن ذكر « وسحر » وأنه لا ينصرف إذا كان لسحر بعينه ، لأنه معدول
عن الأول ، فقلت : ما علامة العدل فيه ؟ فقال : إنا قلنا : السحر ، ثم
قلنا : سحر ، فعللنا أن الثاني معدول عن الأول . قلت : لو كان كذلك
لوجب أن تطرد العلة في عتمة ، لأنك تقول : العتمة ، ثم تقول : عتمة ،
فضجر واحتد ، وصاح واربد » (١) .

(١) معجم الأدباء : ٢٧٨/٦ .

كان الصاحب ذا يدٍ كبيرة في علم العروض بالدرجة التي تؤهله للتأليف فيه ، وقد اعترف له بذلك سائر مؤرخيه والباحثين عنه حتى خصمه أبوحيان التوحيدي حيث قال : بأنه « حَسَنُ القيام بالعروض والقوافي » (١) .

وكان نبوغه في هذا العلم وإتقانه له مبكراً جداً ، فقد استطاع وهو في الحادية والعشرين من سني حياته أن يصطدم بعلامة الافة والأدب أبي سعيد السيرافي ، فثبت له خطأه في قراءته وتقطيعه لبعض الأبيات الشعرية ، وكان ذلك في عام (٤٤٧ هـ) لما سافر ابن عباد البغدادي ، وحضر مجلس درس السيرافي حيث رأى بعض طلابه يقرأ الجمهرة عليه ، حتى انتهى إلى الاستشهاد بهذا البيت فقرأه هكذا :

رسم دار وقفت في طليله كدت اقضي الغداة من جليلة
يقول الصاحب : فقلت « أيها الشيخ هذا لا يجوز والمصراعان على هذا
النشيد يخرجان من بحرين ، لأن :

رسم دار وقفت في طليله « فاعلاتن مفاعيلن فعيلن »
كدت اقضي الغداة من جليلة « مُفْعِلُنْ مَفْعَلَاتُ مُفْعِلُنْ »

فذاك من الخفيف ، وهذا من المنسرح . فقال : لِمَ لا تقول : الجميع
من المنسرح والمصراع الأول مخروم ؟ فقلت : لا يدخل الخرم هذا البحر ،
لأنه أوله « مستفعِلن مفاعيلن » هذه مزاحفة عنه ، وإذا حذفنا متحركاً
بقيننا ساكناً ، وليس في كلام العرب ابتداءً به ، وإنما هو :

(١) الامتاع والمؤانسة : ٥٥/١ .

كدت أقضي الغداة من جلله

بتخفيف الضاد ، فأمر بتغييره « (١) » .

وكان يتذاكر يوماً مع استاذة أبي الفضل بن العميد شعر البحري وفضله ،

فقال له استاذة : « تعرف للبحري ما خرج فيه عن الوزن ؟ »

يقول صاحب : « فقلت : بلى ، أنشدني أبو الحسن بن المنجم قال :

أنشدني أبو الغوث لأبيه من قصيدة :

واحق الأيام بالأنس أن يؤثر فيه يوم المهرجان الكبير

فقال سيدنا : أردت غير هذا ، فقلت : لا أعرف . فأنشد قصيدته

التي أولها :

ظلم الدهر فيكم وأساء فعزاء بني حميد عزاء

الى أن انتهى الى قوله :

ولماذا تتبع الناس شيئاً جعل الله الفردوس منه جزاء

فقلت : هو كما قال سيدنا ، لأن البيت من الخفيف ، وفيه زيادة سبب « (٢) » .

ويقول صاحب في تعريف العروض :

« العروض ميزان الشعر ، بها يعرف مكسوره من موزونه ، كما ان

النحو معيار الكلام به يُعرف معرُبه من ملحونه « (٣) » .

ويقول في مقدمة كتابه : « الاقناع في العروض وتخريج القوافي » :

« الشعر مبنيٌّ على سبب ووتد وفاصلة .

(١) معجم الادباء : ٢٧٧/٦ - ٢٧٨ .

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي : ٨ .

(٣) الاقناع في العروض : ٢/١ . مخطوط مصور بمكتبتي الخاصة .

فالسبب سببان : خفيف وثقيل ، فالخفيف متحرك بعدها كن مثل من وعن ، والثقيل حرفان متحركان مثل لم وجم .

والوند وتدان : مجموع ومفروق ، فالمجموع حرفان متحركان بعدها سا كن مثل الى وعلى ، والمفروق حرفان متحركان فرقى بينهما سا كن مثل سار وباع .

والفاصلة فاصلتان : صغرى وكبرى ، فالصغرى ثلاثة أحرف متحركات بعدها سا كن مثل ذهباً وطلباً ، والكبرى أربعة أحرف متحركات بعدها سا كن مثل ذهباً وطلباً ، ولا يتوالى في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركات ، ولا يجتمع فيه سا كنان إلا في قوافٍ مخصوصة .

والمعتبر في التقطيع اللفظ دون الخط ، وكل مشدّد يعدّ حرفين : الأول سا كن والثاني متحرك ، وكل بيت مصرّع فعروضه على زنة ضربه أو ما يجوز في ضربه .

والعروض اسم لآخر جزء في النصف الأول من البيت ، والضرب اسم لآخر جزء في النصف الأخير من البيت .

والزحاف جائز كالأصل ، والمكسر ممتنع ، وربما كان الزحاف في الذوق أطيب من الأصل ، والزحاف لا يقع إلا في الأسباب ، والخرم والقطع لا يقعان إلا في الأوتاد ، وسيأتي بيان الخرم والخزم في موضعهما إن شاء الله تعالى .

وأصول الأفاعيل ثمانية : إثنان خماسيّان وهما فعولن فاعلن ، وستة سباعيّة وهنّ مفاعيلن فاعلاتن مستعملن مُفاعِلَتْن متفاعِلن مفعولاتٌ ، وما جاء بعدها فهو زحاف له أو فرع عليه (١) .

(١) الاقناع فى العروض وتخريج القوافى : ٢ / أ - ب .

وفي أثناء مناقشات صاحب الشعر المتنبي يسجل على المتنبي مخالفته للعروض
في أحد أبياته فيقول :

« وفي هذه القصيدة سقطة عظيمة لا يظن لها إلا من جمع في علم وزن
الشعر بين العروض والذوق وهو :

تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف
وذلك ان سبيل عروض الطويل أن تقع مفاعلين ، وليس يجوز أن تأتي
مفاعيلن إلا اذا كان البيت مصرعاً ، اللهم إلا أن يضع هو عروضاً تمام الدائرة ،
فهذه العروض قد ألزمت القبض ، لعل ليس هذا موضع ذكرها ، ونحن نحاكمه
الى كل شعرٍ للقديما والمحدثين على بحر الطويل فلا نجد له على خطاه مساعداً^(١).

(١) الكشف : ٢٣ .

لم يكن النقد الأدبي فناً جديداً استحدث وابتكر في العصر الاسلامي ، بل كان من الفنون القديمة المعروفة عند اليونانيين في عصر نهضتهم ، وعند العرب الجاهليين الذين اتهمت اليما اخبارهم ، واسكنه خضع لسنة التطور على مر السنين ، فتدرج من وضعه البدائي البسيط الى ادواره السامية في القرنين الأولين من الهجرة ، ثم الى دوره البارز في القرن الثالث على يد المبرد وابي سعيد السكري وابن المعتز وابن قتيبة وقدامة وأضرابهم .

وكان القرن الرابع عصر ازدهار هذا الفن وبلوغه القمة في تطوره وصعوده ، « واذا كانت الشعر العربي قد بلغ فيه ذروته ؛ فان النقد القديم انتهى فيه الى غايته ، سواء أ من جهة سعته وشموله أم من جهة عمقه ودقته أو من جهة براءته من الحدود الفلسفية الى درجة واضحة ، وذلك لتفرد النقاد الأدباء تقريباً بهذا الفن ؛ ونضج ملكة الذوق عندهم من كثرة ما درسوا ووزنوا ، وجمعوا بين جمال الطبع لتضلعتهم في الأدب القديم ؛ وحسن الصنعة من ممارسة الأدب الحديث ، فصفا ذوقهم وعاد مهذباً لطيفاً سديداً » .

« وكان نقدهم ممتازاً بالعمق وسعة الأفق وتحليل الظواهر الأدبية وإرجاعها الى اصولها الصحيحة ، وعاد نكراً ما كان يحب قدامة أن يفرضه على الشعر من قوانين المنطق واصول الأخلاق والفلسفة ، وكانت المعركة بين النقاد تدور حول ابي تمام والبحثري ، ثم بين المتنبي وخصومه ، وكسب النقد من وراء ذلك عدة كتب ورسائل قيمة تؤرخه في القرن الرابع ؛ مثل كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي ، وأخبار ابي تمام للصولي ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي

الجرجاني ، عدا كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، ورسالة صاحب بن
عباد في الكشف عن مساوي المتنبي ، ورسالة الحاتمي فيما تورده من المعاني بين
ابي الطيب المتنبي وارسطو . ودخلت مسألة السرقات الشعرية في باب النقد .
وكأنه لم يبق شيء نقدي غفل عنه ادباء القرن الرابع او لم يفتحوا فيه على اقل
تقدير « (١) » .

وكان ابو الفضل بن العميد - استاذ صاحب وموجهه الأكبر - في طليعة
أعلام النقد الأدبي ورجاله اللامعين في هذا القرن ، ولكن المؤسف ان ابا الفضل
- هذا - لم يسجل آراءه ودراساته في هذا الموضوع في كتاب مستقل ، فضع
اسمه وخبا ذكره ، ولولا تسجيل صاحب في رسالته : « الكشف عن مساوي
شعر المتنبي » لبعض آراء استاذه لما عرف عنه البروز في هذا الفن والابداع فيه ،
ولكن صاحب إذ عرض لابن العميد وبعض آرائه في نقد الشعر دللنا على
براعة هذا الرجل وعلو كعبه في هذا الفن الجميل الجليل .

ولم يكن ابن العميد في معرفته بهذا الفن ناقلاً عن غيره من المتقدمين
آراءهم وأقوالهم في نقد الشعر ، بل كان - مع اطلاعه الكبير على أقوال غيره -
مبتكراً لبعض أصول هذا الفن وأساليبه ، وفي هذا الصدد يحدثنا صاحب
فيقول :

« ها أنا منذ عشرين سنة اجالس الشعراء واكابر الادباء واباحث الفضلاء ،
وعشرين اخرى آخذ عن رواة محمد بن يزيد المبرد ، وأكتب عن أصحاب
احمد بن يحيى ثعلب ، فما رأيت من يعرف الشعر حق معرفته ، وينقده نقد
جهاذته ، غير الاستاذ الرئيس ابي الفضل بن العميد أدام الله أيامه وحصنه .

(١) اصول النقد الادبي : ١١٢ .

لديه إنعامه ، فانه يتجاوز نقد الأبيات الى نقد الحروف والكلمات ، ولا يرضى
بتهديب المعنى حتى يطالب بتخيير القافية والوزن ، وعن مجلسه - أعز الله تعالى -
أخذت ما أتعاطى من هذا الفن ، وبأطراف كلامه تعلقت فيما تحلى من هذا
الجنس ، (١).

ثم يروي عن استاذه بعض آرائه في نقد الشعر فيقول :

« انشدت يوماً بحضرة كلمة ابي تمام التي أولها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بمدي ومحت كما محت وشائع من برد
حتى انتهيت الى قوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

فقال : هل تعرف في هذا البيت عيباً ؟ فقلت : بلى ؛ قابل المدح بالوم فلم
يوف التطبيق حقه ، إذ حق المدح أن يقابل بالمجود والذم ، على انه قد روي :
(ومتى ما ذمته ذمته وحدي) ، فقال - أيده الله - : غير هذا أردت ، فقلت
ما أعرف . قال : أحد ما يحتاج اليه في الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل ،
وهذا التكرير في أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء مرتين - وهما من حروف
الحلق - خارج عن حد الاعتدال ؛ نافر كل النفر ، فقلت : هذا ما لا يدركه
ولا يعلمه الا من انقادت وجوه العلم له ، وانفضت الى ذراها طبعه ، (٢).

ومارواه صاحب عن ابن العميد أيضاً في هذا الموضوع قوله :

« إن أكثر الشعراء ليس يدرون كيف يجب أن يوضع الشعر ويبتدأ النسيج ،
لأن حق الشاعر أن يتأمل الغرض الذي قصده ، والمعنى الذي اعتمده ، وينظر

(١) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي : ٤ .

(٢) نفس المصدر : ٦-٧ .

في أيّ الأوزان يكون أحسن استمراراً ، ومع أيّ القوافي يحصل أجمل اطراداً ،
فيركب مركباً لا يخشى انقطاعه والتمثاله عليه « (١) » .

وهكذا نشأ تلميذ ابن العميد بارعاً في هذا الفن كاستاذة ، فنقد شعر المتنبي
نقدًا فنيًا دقيقًا دلّ على ذوق سليم وتمكّن كبير من اصول هذا الفن وقواعده ،
وجاءت رسالته في الكشف عن مساوي شعر المتنبي مصدرًا قيمًا من مصادر
دراسة هذا الفن في القرن الرابع ، بالنظر الى ما احتوت عليه من براءة في النقد ،
ودقة في النصوص الى استخراج المساوي الفنية التي حفل بها بعض شعر المتنبي
وبعض أبياته الركيكة .

وسواء أكان صاحب مندفعاً الى نقد المتنبي بدافع النزاهة وحب العلم ، أو
بدافع الحقد والغضب عليه ، فإن نقده وتجريحه وإظهاره العيوب والمساوي
الظاهرة فيما رواه من شعر المتنبي صحيح - في الأكثر - وغير قابل للمناقشة
والرد ، وإن حاول بعضهم الدفاع عن المتنبي فلم يوفق التوفيق الكامل .
وأورد - في أدناه - نماذج من نقده الأدبي الفني ، ليعطي بعض ملامح
الصاحب في تضلعه بهذا الفن والتمكّن منه :

١ - « أما السرقة فما يعاب بها ، لاتفاق شعر الجاهلية والاسلام عليها ،
ولكن يعاب أنه كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جل المعاني
ثم يقول : لا أعرفهم ولم أسمع بهم ، ثم يُنشد أشعارهم فيقول : هذا شعر عليه
أثر التوليد » (٢) .

٢ - « لقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحسن

(١) الكشف : ٩ .

(٢) نفس المصدر : ١١ .

على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله :
رواق العز فوقك مسبطاً

ولعل لفظاً - الاسبطرار - في مرثي النساء من الخذلان الصفيق ... وهذه
القصيدة يظن المتعصبون له انها من شعره بمثابة : ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ﴾
من القرآن ، و ﴿ اصدع بما تؤمر ﴾ من الفرقان . وفيها يقول :
وهذا أول الناعين طراً لأول ميمته في ذا الجلال
ومن سمع باسم الشعر عرف تردده في انتهاك الستر ، ولما أبدع في هذه
المرثية واخترع قال :

صلاة الله خالفنا حنوط على الوجه المكفّن بالجمال
وقد قال بعض من يغلو فيه : هذه استعارة ، فقلت : صدقت ولكنها
استعارة حداد في عرس ، ولما أحبّ تفرّيط المتوفاة والإفصاح عن أنها من
الكريّات ؛ أعمل دقائق فكره ، واستخرج زبد شعره ، فقال :
ولا من في جنازتها تجمار يكون وداعهم خفق النعال
ولعلّ هذا البيت عنده وعند كثير ممن يقول بامامته أحسن من قول الشاعر :
أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دلّ على القبر
وكان الناس يستبشعون قول مسلم :

سلت وسلت ثم سل سليلها

حتى جاء هذا المبدع بقوله :

وأجمع من فقدنا من وجدنا قميل الفقد مفقود المثال

فالمصيبة في الرائي أعظم منها في المرثي^(١).

(١) الكشف : ١٢-١٤ .

٣ - « وأطمئ ما يتعاطاه التفاضح بالالفاظ النافرة والـكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء أو غدي لبن ، ولم يطاء الحضر ولم يعرف المدر ، فمن ذلك قوله :
أيفطمه التوراب قبل فطامه ويا كله قبل البلوغ الى الأكل
ولا أدري كيف عشق التوراب حتى جعله عوذة شعره » (١).

٤ - « مازال يسمع الأقسام الشريفة في الشعر كقول النابغة :
إذن فلا رفعت سوطي إلي يدي

وكقول الأشر :

بقيتُ وفري وانحرفت عن العلا ولقيت أضيافي بوجه عبوس
الى كثير من هذا الجنس للمتقدمين والمتحضرين والمحدثين ، فأراد التشبه
بهم ، والصب على قوالهم فقال :

إن كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام
وحينئذ هاهنا أنقر من غير منفلت » (٢).

٥ - « ولم تنفك مستحسنين لجمع الأسامي في الشعر كقول الشاعر :
إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعثية بن الحارث بن شهاب
وقول الآخر :

عباد بن اسماء بن زيد بن قارب

واحتذى هذا الفاضل على مثالم وطرقهم فقال :

وانت ابوالهيजा بن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون وحمدون حارث وحارث لقمان ولقمان راشد

(١) الكشف : ١٤ .

(٢) نفس المصدر : ١٥ .

وهذه من الحكمة التي ذخرها ارسطاطاليس وافلاطون لهذا الخلف الصالح ،
وليس على حسن الاستنباط قياس « (١) » .

٦ - « ومما لم اقدره بليج ممعاً أو يرد اذناً قوله :

جواب مسائلي أله نظير ولا لك في سؤالك لا ألا

وقد سمعت بالفأء ولم اسمع بالالأء حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف « (٢) »

٧ - « ومن مدحه بيمد الغور وقد غار فيه لعمري وما انجد ؛ قوله :

تقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك منه والدنا

فالمصرعان لتنافيهما يتبرأ أحدهما من صاحبه تبرئ من آل أبي سفيان

وآل مروان ، ثم - الدنا - من الألفاظ التي لا يبالي الانسان أن يعدم مثلها

من شعره « (٣) » .

٨ - « ومن عيون قصائده التي تحير الأفهام وتفوت الأوهام ، وتجمع من

الحساب ما لا يدرك بالارتماطيق وبالاعداد الموضوعة للموسيقى قوله :

احاد أم سداس في احاد لييلتنا المنوطة بالتناد

وما ظنك بممدوح قد تشمر للسمع من مادحة فصك سمعه بهذه الألفاظ

الملفوظة ، والمعاني المنبوذة ، أي هزة تبقى هناك ، وأي أريحية تثبت بهذا « (٤) » .

٩ - « وعهدت الأدباء وعندهم ان أبا تمام أفرط في قوله :

شاب رأسي ومارأيت مشيب ال رأس إلا من فضل شيب الفؤاد

(١) الكشف : ١٦ .

(٢) نفس المصدر : ١٩ .

(٣) نفس المصدر : ١٩ .

(٤) نفس المصدر : ٢١ .

فعمد هذا الى المعنى فأخذه ، ونقل الشيب الى الكبد ، وجعل له خضاباً
ونصولاً ، فقال :

إلا يشبُّ فلقد شابت له كبدٌ شيباً إذا خضبتُه سلوة نصلاً» (١) .

١٠ - « ومنها بيت قد حشا تضاعيفه بالضعف ، وهو :

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفٌ

وهؤلاء المتعصبون له يصلح عندهم أن ينقشوا هذا البيت على صدر الكعبة ،
وينادى في الناس قعوا له ساجدين .

وله وقد غاص فأخرج جندلة :

لوم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقت بمولد نسلها حواءُ

وأنا أقول : ليت حواء عقت ولم تأتِ بمثله » (٢) .

١١ - « ومن تصريفه الحسن وضعه التقييس موضع القياس في قوله :

بشر تصور غاية في آية تنفي الظنون وتفسد التقييسا

ويليه بيت إن لم يستح منه أصحابه سلمناه لهم وهو :

وبه يضمن على البرية لا بها وعليه منها لا عليها يوسى

وليس بالحلوقوله :

صدق الخبر عنك دونك وصفه من في العراق يراك في طرسوسا » (٣) .

١٢ - « وله يريد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى بأخرى

الخزايا :

(١) الكشف : ٢٢ .

(٢) نفس المصدر : ٢٣ .

(٣) نفس المصدر : ٢٣-٢٤ .

لو استطعت ركب الناس كلهم الى سعيد بن عبدالله بعرانا
ومن الناس امه فهل ينشط لركوبها ، والمدوح ايضاً لعل له عصبية لا يجب
أن يُركبوا اليه ، فهل في الأرض أخش من هذا التسحب ، وأوضع من
هذا التبسط « (١) » .

هذه بعض الشواهد والنماذج من نقد صاحب الأدبي عرضناها بإسهاب
للدلالة على منحى صاحب واسلوبه في هذا الفن ، وطريقته وذوقه في اختيار
ما ينقد ، وفي ذلك يقول الدكتور محمد مندور :

« لأن كان التحامل واضحاً في اقواله ، فالكثير من ملاحظاته صحيح ،
وانما يقدح في المؤلف انه لم يشر الى أي حسنة للمتنبي ، ولا أورد له أي بيت
من أبياته الجميلة الكثيرة العدد » .

« والذي يدهشنا من أمر صاحب هو أن نراه ينقد المتنبي هذا النقد المر ،
مع أنه قد تأثر به واخذ عنه . . . ، ويزيدنا دهشة ان بدار الكتب الملكية
رسالة منسوبة الى صاحب بعنوان - كتاب الأمثال السائرة من شعر المتنبي - ،
وفي مقدمتها يقول المؤلف إنه قد وضعها لفخر الدولة بن بويه ، وفيها زهاء ثلثمائة
وسبعون بيتاً تجري مجرى الأمثال » (٢) .

ثم يذهب الدكتور مندور بعد ذلك الى الشك في نسبة رسالة صاحب في
الأمثال السائرة من شعر المتنبي لمؤلفها ، ويرى انه لا سبيل الى الجزم في نسبتها
اليه ، ولا دليل له على ذلك إلا نقد صاحب المر لشعر المتنبي .

ولو تصفح الدكتور مندور مقدمة رسالة « الكشف عن مساوي شعر المتنبي »
لوجد صاحب فيها معترفاً باجادة المتنبي واصابته في شعره فهو يقول :

(١) الكشف : ٢٦ .

(٢) النقد المنهجي عند العرب : ١٨٦-١٨٧ .

« كنت ذا كرت بعض من يتوسم بالأدب الأشعار وقائلها ، والمجودين فيها ، فسألني عن المتنبي فقلت : إنه بعيد المرمى في شعره ، كثير الاصابة في نظمه ، الا أنه ربما يأتي بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء ، فرأيت أنه قد هاج وانزعج ، وحى وتأجج ، وادعى ان شعره مستمر النظام متناسب الأقسام ، ولم يرض حتى تحداني فقال : إن كان الأمر على ما زعمت فأثبت في ورقة ما تنكره . . . ففعلت ، وإن لم يكن تطلب العثرات من شيمتي ، ولا تتبع الزلات من طريقي ، وقد قيل : أي عالم لا يهفو ، وأي صارم لا ينبو ، وأي جواد لا يكبو » (١).

فالساحب - إذن - لا ينقد المتنبي هذا النقد المر لينكر إجادته وإبداعه في شعره ، وإنما تدفعه روح الحرية الأدبية المحايدة الى تسجيل مساوئه الفنية في رسالة خاصة ، ثم الى تسجيل براعته الأدبية في رسالة أخرى هي رسالة : « الأمثال السائرة » ، ثم الى التأثير بالمعاني المبتكرة التي حفل بها شعر المتنبي والاستشهاد بتلك المعاني في نثره ورسائله ، وهذه هي النزاهة الأدبية بمعناها الصحيح ، إذ تقول للمحسن : أحسنت ، وللمسيء : أسأت ، وأروي في ادناه نص ما سجله الساحب في الثناء على المتنبي في مقدمة رسالته « الأمثال السائرة » ليكون مسك الختام :

قال : « وهذا الشاعر مع تميزه وبراعته ، وتبريزه في صناعته ، له في الأمثال خصوصاً مذهب سبق به أمثاله . فأملت ما صدر عن ديوانه من مثل رائع في فنه ، بارع في معناه ولفظه ، ليكون تذكرة في المجلس العالي ، تلمحظها العين العالية ، وتعيها الأذن الواعية » (٢).

(١) الكشف : ٣ .

(٢) الأمثال السائرة : ورقة ٢ ، مخطوط مصور بمكتبة الامام الحسن العامة .

صنّف الصاحب في هذا الفن عدة كتب ذكرتها المراجع القديمة ، ولم يبق منها الى اليوم سوى كتاب « عنوان المعارف في ذكر الخلائف » ، ورسالة « أخبار عبدالعظيم الحسنى » .

وبالرغم مما حفل به هذان الكتابان من أنباء متنوعة ومعلومات متعددة ، فإنهما لا يدلّان على عمق في الدراسة ، أو دقة في البحث ، أو إبداع في تحليل المشاكل التاريخية المعقدة ، بل كل ما نستفيدة منهما ان . ولفهما من ذوي الاطلاع على كتب التاريخ والوقوف على رواياته وحوادثه ، وان الكتابين - بدورهما - عرض مختصر الروايات والحوادث المرتبطة بموضوع كل واحد منهما .

واورد فيما يلي نتفاً مقتبسة من هذين الكتابين لتكون نموذجاً للمعلومات التي حفلت بها كتب الصاحب التاريخية ، وللأسلوب الذي يعرض فيه هذه المعلومات :

١ - « ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل ، ودفعته امه الى اطاره من بني سعد بن بكر فكان عندهم خمس سنين ، ثم ردّوه عليها فأخرجته امه الى أخواله بالمدينة بعد سنة ، فتوفيت بالأبواء وردته ام أيمن حاضنته الى مكة ، وخرج مع أبي طالب الى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وشهد الفجار وهو ابن عشرين سنة ، وخرج الى الشام في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وتزوجها بعد ذلك بشهرين وأيام ، وبنت الكعبة ورضيت قریش بحكمه (ص) وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وُبعث عليه السلام وهو ابن أربعين سنة ، وتوفي عمه أبو طالب وهو - عليه السلام - قد قارب

الحسين ، وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام ، ثم خرج الى الطائف ومعه زيد ابن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة ، ثم رجع الى مكة واسري به الى بيت المقدس بعد سنة ونصف من رجوعه الى مكة ، ثم هاجر ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبدالله بن اريقط ، وخلف أمير المؤمنين عليه السلام بمكة على ودايع للناس كانت عنده حتى أدّاها ثم لحق به ، وكانت هجرته - عليه السلام - وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، ودخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول ، وكان التاريخ من ذلك ثم ردّ الى المحرم^(١).

٢ - أبو العباس السفاح عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ابن عبدالمطلب ، امه ريطه بنت عبيدالله بن عبدالله بن عبدالدار الحارثية ، بويع له في شهر ربيع الأول ، وقيل الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكانت مدة بقاء الأمر له أربع سنين وعشرة أشهر . توفي في شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأنبار ، وصلى عليه عيسى بن علي ، وكان اشترى بردة النبي عليه السلام بأربعمائة دينار ، ووزيره أبو سلمة الخلال ، وفيه يقول الشاعر :

ان الوزير وزير آل محمد
أودى فمن يشنك كان وزيرا

وبعده خالد بن برمك ، وكاتبه أبو الجهم بن عطية ، وحاجبه خالد بن الهيثم مولاه ، ونقش خاتمه : (الله ثقة عبدالله وبه يؤمن) وقاضيه يحيى بن سعيد الأنصاري^(٢).

٣ - « خاف [عبدالعظيم الحسيني] من السلطان فطاف البلدان على انه فيج ، ثم ورد الري وسكن بسرّبان في دار رجل من الشيعة في سكة الموالى ،

(١) عنوان المعارف - نفائس المخطوطات : ٨-٧/١ .

(٢) نفس المصدر : ٢٤-٢٣/١ .

وكان يعبد الله عز وجل في ذلك السربان ، يصوم النهار ويقوم الليل ، ويخرج
مستتراً فيزور القبر الذي يقابل الآن قبره وبينهما الطريق ، ويقول : هو قبر
رجل من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام ، وكان يقع خبره الى الواحد بعد الواحد
من الشيعة حتى عرفه أكثرهم ، فرأى رجل من الشيعة في المنام كأن رسول الله
صلى الله عليه وآله قال : إن رجلاً من ولدي يحمل غداً من سكة الموالي فيدفن
عند شجرة التفاح في (باغ) عبد الجبار بن عبد الوهاب ، فذهب الرجل ليشتري
الشجرة ، وكان صاحب (الباغ) رأى رؤيا في ذلك ، فجعل موضع الشجرة
مع جميع (الباغ) وقفاً على أهل الشرف والشمع يدفنون فيه ، فرض عبد العظيم
رحمة الله عليه - ومات ، فحمل في ذلك اليوم الى حيث المشهد « (١) » .

(١) أخبار عبد العظيم - نفائس المخطوطات : ٢٠ - ١٩ / ٤ .

الطب :

يقول الثعالبي :

« سمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري يقول : إنَّ للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قره وابن زكريا لما زاد عليها ، فسألته أن يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه ، فاستغربت واستبعدت ما حكاه عن طبِّب للصاحب ، ونسبته في نفسي الى التزيُّد والتكبر ، الى أن ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع الى ملاحاة البلاغة ورشاقة العبارة حسن التصرف في اطائف الطب وخصائمه ، وتدل على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه » (١) .

ويقول ابن أبي أصيبعة :

« طلب الصاحب من جبرئيل بن عبيدالله بن بختيشوع أن يعمل له رسالة في الطب يذكر فيها الأمراض التي تعرض من الرأس الى القدم ، فعمل رسالة صغيرة قصرها على ذكر ما طالب منه وقدمها للصاحب ، فوصله بما قيمته ألف دينار . . . ، ولما عاد الى بغداد . . . أقام مشغلاً بالتصنيف ، فتمم كتابه الكبير وسمّاه بالكافي بلقب الصاحب بن عباد لمحبه له » (٢) .

كما ألف جبرئيل للصاحب أيضاً مقالةً في أن أفضل اسطقسات البدن هو الدم (٣) .

(١) يتيمة الدهر : ٣ / ١٨٠ .

(٢) عيون الانباء : ١ / ١٤٦ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ١٤٨ .

وهكذا نجد الصاحب مهتماً كل الاهتمام بدراسة علم الطب وفهمه ،
والاطلاع على دقائقه وفروعه ، وسواءً كانت رسالته التي ذكرها الشعالبي
بتلك الدرجة من العمق والدقة وسعة الاطلاع أو لم تكن ، فانها تدلنا على
وقوف الصاحب وقراءته لكتب جالينوس وابقراط والأفروديسي ، وفهم
آرائهم ونظرياتهم العلمية . ومن شواهد ذلك قوله في هذه الرسالة :

« وعجب مولاي من تكرُّهه شَمَّ الفواكه ، ولا عجب اذا عُرف السبب ،
فان العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل اليها من
الروائح الزكية يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتتكرُّهها
ولا تقبلها ، وتأبأها ولا تؤثرها ، وهذا قياس بين على ما كشفه
الأفروديسي » .

ثم يقول الصاحب في أواخر الرسالة :

« وجالينوس شرط في العلاجات أجمع استحفاظ القوى ، لأن الذي
يفعله الضعف لا يتداركه أمر ، إلا ان ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط
في البدن السقيم : إنك متى زدته غذاءً أزدته شراً ، وهو نفسه يقول : إن
الحمية التي في نهاية الدقة ليست بمحمودة ، والطرفان من الاسراف والاجفاف
مذمومان » (١) .

(١) رسائل الصاحب بن عباد : ٢٣٠ .

مؤلفاته

تاریخ

سجّل بعض المؤرخين^(١) للصاحب (١٨) مؤلفاً في شتى فروع العلم والأدب والثقافة الإسلامية ، كما ارتفع هذا العدد في مؤلفات بعض المتأخرين حتى بلغ (٣٠) (٢) و (٣١) (٣) و (٣٧) (٤) .

ومهما كان عدد هذه المؤلفات كثرةً أو قلةً ، فإنها لتدل على وجود رغبة كبيرة في نفس الصاحب تحفزه على التأليف والتصنيف ، وتبعثه على أن يتحلل من أعباء الحكم وواجبات الوزارة في كثير من الأحيان ليؤدي حق هذه الرغبة ، ويشبع نهمها ، ويحقق لها ما تريد ، فكان من نتيجة ذلك كله : هذه المؤلفات التي بحث فيها الصاحب أكثر المواضيع التي تمكن من دراستها وفهمها ، وعرف من نفسه إتقانها ، والمقدرة على البحث فيها ، والتدقيق في شؤونها .

وفي هذا الفصل حاولت أن أعرض لمؤلفات الصاحب بكثير من التفصيل والشرح والتحقيق ، فأشرت الى طبع المطبوع منها ، وأما كن وجود المخطوط منها ، ومواقع النقل عنها في كتب الأدب والتاريخ ، وشرحت فكرة كل كتاب من الكتب الموجودة ، مع تسجيل عدد صفحاته ، وحاولت تحديد

(١) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ ، وهدية العارفين : ٢٠٩/١ .

(٢) أعيان الشيعة : ٤٢٧/١١ - ٤٣١ .

(٣) الغدير : ٤٢ - ٤١/٤ .

(٤) مقدمة الهداية والضلالة : ٢٢ - ٢٠ .

تاريخ تأليفه اذا عثرت على ما ينير السبيل اليه ، كما رويت أيضاً بعض نصوصه
وما جاء في أوله وآخره ، لأعطي القارى صورة موجزة كافية عن كل كتاب
من هذه الكتب القيمة .

وبالنظر الى عدم العثور على كل مؤلفات الصاحب ؛ بل الى فقدان بعض
منها خلال النكبات التي مني بها العلم والأمة العربية فيما سلف من الأيام ، فقد
قسّمتُ هذه المؤلفات الى ثلاث قوائم تشمل مؤلفات الصاحب الموجودة حالياً ،
ومؤلفاته التي احتفظت المصادر الأدبية ببعض نصوصها ، ومؤلفاته التي فقدت
أو انطوت في زوايا لا يصل اليها النور .

أ - مؤلفات الصاحب الموقود

١ - الابانة :

أسماءها بعض متأخري المؤرخين : « الابانة عن مذهب أهل العدل بحجج القرآن والعقل » ^(١) ، وأسماءها السيد الصدر : « الابانة عن الامامة » ^(٢) ، وفي كتاب بروكلان : انها « الابانة عن مذهب أهل العدل بحجج من القرآن والعقل » ، وان نسخة منها في مكتبة الميرزا محمد الطهراني بسامراء ^(٣) .

وورد اسم هذه الرسالة في مقدمتها حيث قال الصاحب : « هذا مختصر في الابانة عن مذهب أهل العدل بحجج القرآن والعقل » .

ولم أعر في الكتب القديمة على ذكر اسم هذه الرسالة أو نقل عنها ، ولكن أسلوبها في العرض والبحث مشابه لاسلوب الصاحب في بقية كتبه ومؤلفاته ، كما ان كثيراً من آرائها لا يختلف عن آراء الصاحب فيما ثبتت نسبته اليه من مصنفاته ، وأما حصر الرسالة بموضوع الامامة كما ورد في تأسيس الشيعة فلم أجده ما يؤيده ، لأن بحثها شامل لجميع مباحث اصول الدين الاسلامي ، والتعرض للامامة في آخرها بسيط مختصر لا يستدعي تسمية الرسالة به ، بل ان أكثر فصولها منصب على أسماء الله تعالى وصفاته وأقوال الفرق

(١) الذريعة : ٥٧/١ ، والغدير : ٤٢/٤ .

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام : ١٦١ .

(٣) تاريخ الادب العربي : ١٣٦/١ ، ومثله في أعيان الشيعة : ٤٣٠/١١ .

الاسلامية المختلفة بهذا الشأن ، الأمر الذي حداني الى احتمال أن يكون كتاب « الابانة » هو كتاب « أسماء الله وصفاته » الذي ذكره الأقدمون في قائمة مؤلفات ابن عباد ، والى احتمال أن تكون تسمية الرسالة بالابانة مستحدثة مقتبسة من مقدمتها التي مرّ نقلها آنفاً .

والرسالة مطبوعة في عام ١٣٧٢ هـ في النجف الأشرف في (٢٠) صفحة من صفحات المجموعة الاولى من « نفائس المخطوطات » ، وتضم مكتبة المرحوم الشيخ الهادي كاشف الغطاء أقدم نسخة عثرت عليها من هذه الرسالة ، حيث تم نسخها في عام (١٠٦٠ هـ) .

أما تاريخ تأليفها فلم يرد ذكره في الرسالة كما لم يرد ذكره في كتب التاريخ ، ولكنني - بعد الاطلاع على رأي صاحب في مسألة الامامة في هذه الرسالة ، ومقارنته برأيه فيها كما ورد في شعره الذي نظم في أواسط عمره وأواخره - ، أرجح أن تكون من اولى مؤلفاته التي كتبها في صدر شبابه ومبدأ عهده بالبحث والتأليف (١) .

عرض صاحب في هذه الرسالة لآراء خصومه في الشؤون الكلامية ، وكرّ عليها بالمناقشة والنقض بالأدلة العقلية الراجعة لديه ، ثم أردف كل دليل منها بآية أو آيات من القرآن الكريم تسند ما ذهب اليه .
يبدأ صاحب رسالته بقوله :

« هذا مختصر في الابانة عن مذهب أهل العدل بحجج القرآن والعقل ، والله نستهدي ونستكفي ، واليه نفرع ونلتجى .

زعمت الدهرية : ان الأجسام التي نشاهدها قديمة ، وقالت الموحدة : هي محدثة لأن الإمارات التي فيها من التحول والتنقل والتبدل والاجتماع والافتراق

(١) يراجع في تفصيل ذلك ص ٨٤-٨٥ من هذا الكتاب .

إمارات الحدوث لا القدم ، ألا ترى ان اجتماعها يحدث فيبطل افتراقها ، فاذا كانت لا تنفك من الحوادث فهي محدثة ؛ لأنها لم تتقدمها في الوجود ، وقد علمنا ان النطفة لو وضعت بين يدي العالم لما قدروا أن يخلقوا منها ذبابة كما قال الله تعالى : ﴿ ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾ ، ووجدناها مُخلِيق منها بشر سوي فعلمنا انه حادث أحدثه قادر لا يشبهه القادرون ﴾ (١) .

ومما أورده الصاحب في هذه الرسالة قوله في مناقشة المجبرة :

« زعمت المجبرة القدرية ان الله يضل أكثر عباده عن دينه ، فانه ما هدى أحداً من العصاة الى ما أمرهم به ، وان الأنبياء عليهم السلام أراد الله ببعثهم الزيادة في عمى الكافرين ، وقالت المدلية : الله لا يضل عن دينه أحداً ، ولم يمنع أحداً الهدى الذي هو الدلالة ، ومن لم يهتد فبسوء اختياره غوى . قال الله تعالى : ﴿ فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ ، على أننا نقول : إن الله يضل من يشاء ويهدي ، وانه يضل الظالمين عن ثوابه وجنانه ، وذلك جزاء على سيئاتهم ؛ وعقاب على جرمهم . قال الله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين - الى قوله - أولئك هم الخاسرون ﴾ ، فأما الضلال عن الدين فهو فعل شياطين الجن والانس ، ألا ترى ان الله تعالى ذم عليهم فقال : ﴿ وأضلهم السامري ﴾ (٢) .

وفي ختام الرسالة يقول :

« وأما من نابذ علياً عليه السلام وحاربه ، وشهر سيفه في وجهه ، فخارج عن ولاية الله ، إلا من تاب بعد ذلك وأصلح ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (٣) .

(١) الابانة - نفائس المخطوطات : ٩/١ .

(٢) نفس المصدر : ٢١/١ - ٢٢ .

(٣) نفس المصدر : ٢٨/١ .

ذكر هذا الكتاب في كثير من المصادر باسم : « الاقناع في العروض »^(١) ، كما ذكر باسم : « العروض » في مصادر أخرى^(٢) ، وأسماء بروكلمان^(٣) : « الاقناع في العروض وتخريج القوافي » ، وذكر ياقوت في مؤلفات الصاحب : كتاب العروض الكافي وكتاب نقض العروض^(٤) ، وفي الصفحة الاولى من مخطوط هذا الكتاب الذي تم نسخه في عام ٥٥٩ هـ سمي باسم : « الاقناع في العروض وتخريج القوافي » ، وأظن أن بروكلمان قد استند الى هذا المخطوط في تسمية الكتاب بالاسم الذي مر ذكره .

أما سبب تسميته باسم : « العروض » في بعض المراجع فأظن انها مقتبسة من موضوع بحث الكتاب ، أو انها مستقاة مما جاء في آخر بحث العروض إذ يقول الصاحب : « نجز العروض بحمد الله والمنّة »^(٥) ، ثم يبدأ بعد ذلك بمبحث تخريج القوافي .

عثر من هذا الكتاب على نسختين مخطوطتين كتبت اولاهما بخط حديث واضح في رابع شهر شوال من عام ١٣٠٣ هـ في « ٤١ » ورقة ، وتحفظ مكتبة الامام الحسن العامة بنسخة مصورة منها عن نسختها الأصلية المحفوظة بمصر ،

-
- (١) كشف الظنون : ١٤٠/١ ، وهديّة العارفين : ٢٠٩/١ ، وأعيان الشيعة : ٤٢٩/١١ ، والذريعة : ٢٧٥/٢ ، والغدير : ٤١/٤ .
- (٢) نزّهة الألباء : ٣٩٩ ، وانباء الرواة : ٢٠٣/١ ، وروضات الجنات : ١٠٦ .
- (٣) تاريخ الأدب العربي : ١٣٦/١ .
- (٤) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .
- (٥) الاقناع : ٣٨/أ . نسخة مصورة بمكتبة الامام الحسن العامة .

أما ثانيتهما فقد كتبت بخط نسخ قديم في سلخ شهر رجب من عام ٥٥٩ هـ في
« ٧٥ » صفحة ، وجاء في الصفحة الأولى منها ما نصه : « صاحبه كاتبه محمد بن
تركانشاه » ، وتحتفظ مكتبتي الخاصة بنسخة مصورة منها عن أصلها المحفوظ
في باريس .

قسم صاحب الكتاب الى مقدمة وأبواب وخاتمة ، فبحث في المقدمة
تعريف العروض وفائده وانقسام الشعر الى سبب ووند وفاصلة ، ثم انقسام كل
واحد من هذه الأسباب الى فروع وأقسام ، ثم ذكر ما يستتبع ذلك بنحو
موجز ، وأردف هذا البحث بتفصيل أبواب العروض على النحو التالي :

١ — باب الطويل : أصله وعروضه وأضرابه

٢ — باب المديد : » » »

٣ — باب البسيط : » » »

٤ — باب الوافر : » » »

٥ — باب الكامل : » » »

٦ — باب الهزج : » » »

٧ — باب الرجز : » » »

٨ — باب الرمل : » » »

٩ — باب السريع : » » »

١٠ — باب المنسرح : » » »

١١ — باب الخفيف : » » »

١٢ — باب المضارع : » » »

١٣ — باب المقتضب : » » »

١٤ — باب المجتث : أصله وعروضه وأضرابه

١٥ — باب المتقارب : » » »

١٦ — باب الحزم والخزم :

ثم الخاتمة في تخريج القوافي .

افتتح صاحب الكتاب بقوله :

« العروض ميزان الشعر بها يعرف مكسوره من مؤزونه ، كما ان النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه ، والشعر مبني على سبب ووتد وفاصلة » (١) .

وجاء في ختام الكتاب قوله :

« الحروف في القافية خمسة : التأسيس ، والردف ، وحرف الروي ، والوصل والخروج . الحركات ست : الرس ، والاشباع ، والحدو ، والتوجيه ، والمجرى ، والنفاذ . والهاء إذا كان ما قبلها ساكناً لم تكن وصلاً ، كقول الشاعر :

له كفّان كفّ كفّ ضرٍ وكفّ فواضلٍ خضل نداها » (٢) .

ومن نماذج مباحث الكتاب ما جاء في مبحث تخريج القوافي :

« حرف الروي : الحرف الذي يبنى عليه الشاعر قصيدته ، ولا بد لشعر منه ، مثل اللام من حومل ، وحركته إذا كان متحركاً : المجرى .

الردف : كل ألف أو واو أو ياء تكون قبل حرف الروي بلا فصل ، مثل ألف حال وواو غفور وياه نصير ، وحركة ما قبل الردف : الحدو ،

(١) الاقناع : ورقة ١/أ .

(٢) نفس المصدر : ورقة ٤١/ب .

والواو والياء يشتركان في قصيدة واحدة ردفاً ، والألف تنفرد .
 التأسيس : كل ألف يدخل بينهما وبين حرف الروي حرف لا يجب
 تكريره بعينه ؛ مثل فاصب وكواكب ، وحركة ما قبل التأسيس : الرس ،
 والحرف الذي يدخل بينهما فلا يجب تكريره يسمى : الدخيل ، وحركته
 الإشباع .

الوصل - ويقال له الصلة - : كل ألف أو ياء أو واو أو هاء تكون
 بعد حرف الروي بلا فصل ؛ مثل ياء حوملي وواو حوملو وألف حوملا
 وهاء حومله ، والهاء التي هي هاء الصلة تكون موقوفة وتكون متحركة ؛ مثل
 حوملها أو حوملهو أو حوملهي ، فحركة الهاء : النفاذ .

الخروج : كل ألف أو واو أو ياء تكون بعد الصلة المتحركة ؛ مثل ألف
 إجمالها الأخيرة وواو إجمالها وياء إجمالي « (١) » .

ومن نماذج مباحث الكتاب أيضاً ما جاء في الكلام عن باب الوافر :
 « أصله مفاعلتن ست مرات ، وله عروضان وثلاثة أضرب :

البيت الأول :

عروضه مقطوفة وضربه مقطوف ، والمقطوف : ما سقط من آخره زنة
 سبب خفيف بعد سكون خامسه ، كان أصله مفاعلتن فسكنت لأمه فصار
 مفاعلتن ؛ فنقل الى مفاعيلن وحذف منه لن فبقي مفاعي فنقل الى فعولن ؛ وهو :
 لنا غنم نسوّفها غزار كأن قرون جلّتها العصي

تقطيعه :

لنا غنم	نسوّفها	غزار	كأن	قرون	جلّتها	العصي
مفاعلتن	مفاعلتن	فعولن	مفاعلتن	مفاعلتن	فعولن	

(١) الاقناع : ٣٨ ب - ٣٩ أ

البيت الثاني :

عروضه مجزوءة وضربه مجزوء ، وهو :

لقد علمت ربعة أن... حبلك واهن خلق

تقطيعه :

لقد علمت ربعة أن... نحببلكوا ههنا خلية
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

البيت الثالث :

عروضه مجزوءة ، وضربه مجزوء معصوب ، والمعصوب : ما سكن خامسه

كان أصله مفاعلتن فسكنت لامه ونقل الى مفاعيلن ، وهو :

اعانها وأمرها فتغضبني وتعصيني

تقطيعه :

اعانها وأمرها فتغضبني وتعصيني
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

زحافه

يجوز في كل مفاعلتن إلا التي في ضرب البيت الثاني أن يسكن خامسه ، فينقل الى مفاعيلن ويسمى : معصوباً ، ويجوز اذا صار مفاعيلن أن يحذف ياؤه فيبقى مفاعلتن ويسمى : معقولاً ، والمعقول ما سقط خامسه بعد سكونه ، ويجوز أن يحذف نونه فيبقى مفاعيلن ويسمى : منقوصاً ، والمنقوص ما سقط سابعه بعد سكون خامسه ، ويجوز فيه الخرم ، فاذا خرم مفاعلتن بقي فاعلتن فينقل الى مفتعلن ويسمى : أعضب ، وإن خرم وقد صار مفاعيلن بقي فاعيلن فينقل الى مفعولن ويسمى : أقصم ، فإن خرم وقد صار مفاعيلن بقي فاعيل فينقل الى مفعول ويسمى : أعقص ، فإن خرم وقد صار مفاعلتن بقي فاعلتن ويسمى أجم ، (١).

(١) الاقناع : ورقة ١١/أ و ب - ١٢/أ

ذكرها بروكلمان^(١) باسم « الأمثال السائرة من شعر المتنبي » ، وأشار الى وجود نسخة خطية منها في مصر ، وبهذا الاسم أ سماها بعض المتأخرين الذين ترجموا للصاحب وسجلوا قائمة مؤلفاته^(٢) ، كما أ سماها بهذا الاسم أيضاً ناسخ النسخة الخطية والاستاذ امتياز علي عرشي الرامپوري^(٣) ، وذكرها الزركلي فقال : « قد جمع الصاحب بن عباد لفخر الدولة نخبة من أمثال المتنبي وحكمه »^(٤) ، ولم يسجل الرسالة اسماً معيناً .

وقفت هذه الرسالة للنشر أربع مرات .

(أولها) في كتاب أنوار الريع في أنواع البديع للسيد علي خان المشتهر بابن معصوم المدني المتوفى عام (١١١٨ هـ) ، ويقول السيد علي خان في التقديم لها : « مدار الناس الآن على أمثال أبي الطيب المتنبي دون غيرها غالباً ، وقد جمع منها ابن حجة في شرح بديعته جملةً حسنة ، ولكنني وقفت للصاحب كافي الكفاة اسماعيل بن عباد رحمه الله تعالى على رسالة جمع فيها أمثال أبي الطيب السائرة لخدمته فخر الدولة ، ووُجد بخط فخر الدولة على نسخة الأصل علامات على رؤوس بعض الأبيات ، وهي علامات ما اختاره من الأمثال ، وقد رأيت أن اثبت الرسالة المذكورة بعينها ، واثبت العلامات المزبورة لفخر الدولة - وهي خاء معجمة - علامة الانتخاب ، وإنما نقلتها على ما هي عليه تعجباً من

(١) تاريخ الأدب العربي : ١/ ١٣٦

(٢) مقدمة الهداية والضلالة : ٢٢ ، ومجلة ثقافة الهند : مجلد ٤ عدد ٤

ص ٤٧ .

(٣) ثقافة الهند : العدد الأول من المجلد الخامس : ١٤

(٤) الأعلام : ١/ ٧٦

جودة نقده ودلالة على أنه اختيار الملوك وذوي المهمم العالية ^(١) .

ولعلّ تسمية الرسالة باسم : « الأمثال السائرة » مأخوذة من تعبير السيد علي خان إذ يقول : « جمع فيها أمثال أبي الطيب السائرة » ، ثم نفهم من مجموع كلامه انه اطلع على نسخة الأصل المخطوطة في حياة صاحب نفسه ، وقد جاءت فيها علامات فخر الدولة التي وضعها بقلمه على بعض أبيات الرسالة .

(ثانيها) في المجلد السابع والعشرين من مجلة المقتطف ، في ص ٩٥٣ — ٩٦٠ من العدد العاشر وص ١٠٥٠ — ١٠٥٦ من العدد الحادي عشر ، من دون أي إشارة الى المصدر الذي نقلت عنه الرسالة ، وقالت المجلة في التقديم لها ما نصه :

« أمثال المتنبّي ؛ جمعها صاحب بن عباد لفخر الدولة ، ويليق بكل طالب أن يكتر من تلاوة هذه الأبيات حتى يستظهرها ، ويصير قادراً على استحضارها » ^(٢) .

(ثالثها) في رسالة مستقلة طبعت ببيروت عام ١٩٥٠ م باسم : « أمثال المتنبّي » ، واذا كنت لم اطلع على نسخة منها رغم فحصي البالغ فاني أعتقد انها منقولة عن مجلة المقتطف الآنفه الذكر ، بدليل اتفاقهما في تسمية الرسالة بـ « أمثال المتنبّي » .

(رابعها) في مجلة ثقافة الهند - مجلد ٥ عدد ١ - ^(٣) ، وقد ذكر ناشرها السيد امتياز علي بأنه نقلها عن نسخة مخطوطة من كتاب أنوار الربيع .

وقد عثرت - بالاضافة الى هذه النسخ المطبوعة - على نسخة خطية صورتها مكتبة الامام الحسن العامة عن نسخة مصر ، وهي في ١٦ صفحة من الحجم

(١) أنوار الربيع : ١٦٨

(٢) المقتطف : مج ٢٧ ص ٩٥٣ .

(٣) من ص ١٤ - الى - ٤٤ .

الكبير (فولسكاب) ، وقد كتبت بخط نسخ حديث لا يتعدى هذا القرن ،
وليس في آخرها ذكر لاسم الناسخ أو لسنة النسخ .

ويفيدنا قول صاحب في مقدمة هذه الرسالة من أنه ألفها للأمر السيد
الشاهنشاه فخر الدولة أنها كانت من أواخر مؤلفاته أو آخرها على وجه الضبط ،
فهي قد ألفت بعد عام ٣٧٢ هـ الذي أصبح فيه فخر الدولة أمير أسيداً شاهنشاهاً ،
وليس لدينا من كتب صاحب ما عليم تأليفه بعد هذا الدور .

وقبل أن أنتقل من هذا الموضوع أود أن أشير إلى أن الدكتور محمد مندور
قد أظهر الشك في نسبة هذه الرسالة للصاحب ، وقد ذكرنا - فيما سبق من
فصول الكتاب - دليل شكه ومناقشة هذا الدليل فلا نعيد (١) .

يبدأ صاحب رسالته بقوله :

« الحمد لله الذي ضرب الأمثال للناس ، لا يستحي أن يضرب مثلاً ما
بعوضة فما فوقها ، صلى الله على أفصح العرب ، ومرت عبدالمطلب ، صلى الله
عليه وعلى آله أخيار الأمم ، وأنوار الظلم .

كم مثل ضرب فيه الحجة البالغة ، والحكمة الواضحة ، ثم إن الله تعالى
قد أحى بالأمير السيد الشاهنشاه فخر الدولة وملك الامة - أطال الله بقاءه ،
ونصر لواءه - دائر العلوم والآداب ، وأقام برأيه ورايته أسواقهما وكانت (٢)
في يد الكساد بل الذهاب ، فهو يقدم على المعرفة ، ويقرب على التبصرة ،
لا كملوك الذين يقال لهم :

دع المسكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكسبي

(١) تراجع ص ١٨٧ - ١٨٨ من هذا الكتاب .

(٢) في الأصل المخطوط : وان كانت .

ومن نعم الله - تعالى - عليه ، أدام الله النعم لديه ، ان الله قرن ألفاظه
 بفصل المقال ، ووشح كلامه بضرب الأمثال ، وسمعتُه - أعزُّ الله نصره -
 يتمثل كثيراً بفصوص من شعر المتنبي هي لب اللب . . . فأملت ما صدر عن
 ديوانه من مثل رائع ^(١) في فنه ، بارع في معناه ولفظه ، ليكون تذكراً
 في المجلس العالي ^(٢) .

ويختتم صاحب رسالته بهذه الأبيات :

إبن النفوس عدد الآجال

ورب قبيح وحلى ثقال أحسن منها الحسن في المعطال
 فخر الفتى بالنفس والأفعال من قبله بالعم والأخوال ^(٣)
 ومما اختاره في أثنائها من شعر المتنبي هذه الأبيات :

واذا الشيخ قال أف فما م ل حياة وإنما الضعف ملا
 آلة العيش صحة وشباب فاذا ولياً عن الرء ولى
 أبداً تسترد ما تهب الدة يا فيا ليت جودها كان بخلا
 وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا تتمم وصلا
 كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تُخلى ^(٤)

(١) في الأصل المخطوط وفي ثقافة الهند : واقع ، وهو تصحيف واضح .

(٢) الأمثال السائرة : ٢ . مخطوط مصور بمكتبة الامام الحسن العامة .

(٣) نفس المصدر : ١٦

(٤) نفس المصدر : ٩

ورد ذكرها مكرراً في كتب الباحثين المتأخرين^(١) ، ولكنني لم أجد لها ذكراً في كتب المتقدمين إلا عند ابن شهر آشوب^(٢) فقط .

نشرت الرسالة أخيراً ضمن المجموعة الثانية من « نفائس المخطوطات » في عام (١٣٧٣ هـ) في (٩) صفحات ، وكانت النسخة التي طبعت عليها التذكرة من نسخة بدورها عن نسخة قديمة يرجع تاريخها الى عام (٨١٣ هـ) حسبما يذكر ناسخها في آخر الرسالة^(٣) ، ولكنني لم أعثر - مع الأسف - على نسخة الأصل بالرغم من شدة الفحص عنها ، ويذكر الشيخ الطهراني انه رأى نسخة منها بخط الشيخ شرف الدين المازندراني تاريخ كتابتها سنة (١٠٥٥ هـ)^(٤) ، ولست أدري أين تحل هذه النسخة الآن ؟ .

لم يرد في الكتاب ما يشعر بتاريخ تأليفه ، ولكنني أعتقد انه من إنتاج صاحب الشاب يوم كان مأخوذاً بالاعتزال والدعوة اليه ، منغمساً في ذلك كل الانغماس ، فقد قسم اصول الدين على طريقة المعتزلة ، وبحسبها بحثاً اعتزالياً صرفاً ، ولدى مقارنة هذه الرسالة بالابانة التي مرت الاشارة اليها استطيع أن أقول انها متأخرة عن الابانة في تاريخ التأليف لأن رأيها في الامامة متدرج نحو التشيع ومنساق اليه ، وإن تشابهت الرسالتان كثيراً في اسلوب البحث ومرد الأدلة وطريقة التفكير والمناقشة .

(١) روضات الجنات : ١٠٦ ، وأعيان الشيعة : ٤٢٩/١١ ، والذريعة :

٢١/٤ ، والغدير : ٤١/٤

(٢) معالم العلماء : ٨

(٣) نفائس المخطوطات : ٨٦/٢

(٤) الذريعة : ٢٢/٤

يبدوها الصاحب بقوله :

« الأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والصدق في الوعد والوعد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
فصل المقالة النظر ، لأن بالتدبر والتمييز يعرف الصحيح من السقيم ، قال الله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ ، والتقليد فاسد ، لأنه يوجب أن يعذر الله جميع المبطلين الذين قلدوا آباءهم الظالمين ، ^(١) .

ويختتم الصاحب كتابه بقوله :

« وخيرة الناس بعده من اختاره لآخوته علي بن أبي طالب عليه السلام ، لاجتماع الجهاد والعز والعلم والزهد والسابقة فيه ، وهذه الخصال متفرقة في غيره ، قال عز وجل : ﴿ السابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ، ^(٢) .
ومن نماذج بحوث الكتاب قول الصاحب في العدل :

« نقول : الخير والشر من عند الله ، ونريد به الحياة والموت ، والغنى والفقر ، والعافية والسقم ، والخصب والجذب ، فأما القبائح والفضائح فلا تكون من أحكم الحكماء .

ونقول : حسناطنا من الله ، ليس بمعنى انه قطعها ، ولكن أعان عليها ،

(١) نفائس المخطوطات : ٨٧/٢

(٢) نفس المصدر : ٩٥/٢

وهدى اليها ، وأمر بها ، وأراد فعلها ، كما يقول الانسان للعالم الذي أخذ
عنه : جميع ما أحسنه منك ، كما قال تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن
الله رمى ﴾ .

ونقول : سيأتنا من الشيطان ؛ ليس بمعنى انه فعلها ، ولكن وسوس بها
وحسنها وزينها ودعا اليها ، كما قال عز وجل : ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان ﴾ (١) .

(١) نفائس المخطوطات : ٩٢/٢

أشار إليه أكثر المؤرخين من قدماء ومحدثين^(١) ، وفي بروكلمان : ان
منه نسختين بمكتبة أيا صوفيا بتركيا ونسخة بالهند^(٢) ، وذكر السيد محسن
الأمين وجرجي زيدان : ان نسخة منه في مكتبة أيا صوفيا^(٣) .

ولدى تصوير نسختي أيا صوفيا والاطلاع عليهما ظهر انهما ديوان صاحب
آخر ، هو صاحب بن مكانس ، وان مفرس المكتبة لم يدقق في قراءة
النسختين ، فسجل نسبتهما الى اسماعيل بن عباد بمجرد رؤيته لاسم صاحب ،
وتبعه في هذه النسبة المستندة الى الخطأ كل من بروكلمان والأمين وزيدان .

أما نسخة الهند التي أشار إليها بروكلمان فقد وقفت على تصويرها بمكتبة
الامام الحسن العامة في (٣٧) ورقة ، فرأيتها لا تحوي كل شعر صاحب ،
بل اقتصرت على خصوص شعره الديني المذهبي فقط ، وهي منسوخة في شهر
جمادى الآخرة سنة (١١٧٢ هـ) بخط عبدالله بن ابراهيم بن اسماعيل بن القاسم
ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله اسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله للقاسم
ابن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين .

ورأيت في مكتبة العلامة الشيخ محمد علي اليعقوبي في النجف مجموعة جمع
فيها المرحوم الشيخ محمد السماوي شعر صاحب المدون في يتيمة الدهر ومناقب
آل أبي طالب وبعض الكتب الأدبية المطبوعة ، وكتبها بخطه في (٥١) صفحة ،

-
- (١) كمعجم الادباء : ٢٦٠/٦ ، وانباء الرواة : ٢٠٣/١ ، ومعالم العلماء : ٨ ،
وبغية الوعاة : ١٩٧ ، وكشف الظنون : ٧٩٦/١ ، وهدية العارفين :
٢٠٩/١ ، وتأسيس الشيعة : ١٦١ ، والغدير : ٤١/٤ .
(٢) تاريخ الادب العربي : ١٣٦/١ .
(٣) أعيان الشيعة : ٤٣١/١١ ، وتاريخ آداب اللغة العربية : ٢٧٥/٢ .

ويقول في التقديم لها :

« أما بعد : فهذه تقاصير من شعر الصاحب اسماعيل بن عباد جمعتها مرتباً على الحروف ، لأن ديوانه لم أجده في العراق وطلبتة من الهند فلم يتيسر لي - مع وجوده - ، فأردت جمع ما في القيمة والمناقب وغيرها منه ، فرأيت السيد المحسن العاملي - أدام الله فضله - قد جمع ذلك في أعيان الشيعة فرتبته وزدته ، وعسى الله أن يمن بياقيه » (١) .

وأظن ان نسخة الهند التي أشار إليها السماوي هي التي اطلعت على مصوّر لها في العراق - كما مر - ، وإذن فهي النسخة الفريدة في العالم حسبما ترشدنا إليه فهارس المخطوطات وبحوث المعنيين بهذه الشؤون .
يبدأ الديوان بهذه القصيدة :

« قال الصاحب الجليل كافي الكفاة أبو القاسم اسماعيل بن عباد - رحمه الله

تعالى - في التوحيد :

لقد رحلت سعدى فهل لك مسعدُ	وقد أنجحت غلوا فهل لك منعجُدُ
لقد بتُ أرجو الطيف منها يزورني	وكيف يزور الطيف من ليس يرقدُ
وقد كان لي من مدمع العين منبعُ	فغار بنار الوجد فهي توقّدُ
رعبتُ بطرفي النجم لما رأيتها	تباعد بُعد النجم بل هي أبعدُ
تنير الثرىا وهي قرط مسلسل	وإن كُرُ فيها الطرف در مبددُ
وتعترض الجوزاء وهي ككاعب	تميلُ من سكراتها وتميّدُ
وتحسبها طوراً أسير جنابة	ترنّح عند المشي وهو مقيّدُ
ولاح سهيل وهو للصبح راقب	فشوهد منه طرفُ باكٍ مسهدُ

(١) شعر الصاحب : ٢ . مخطوط بمكتبة اليعقوبي .

أُردد عيني في النجوم كأنها دنائير لـكن السماء زبرجد « (١)
وجاء في ختام الديوان :
« وقال أيضاً :

قالوا : خراسان أخرجت رشاً ليس له في ملاحمها ثاني
فقلت : لا تنكروا محاسنه فطلع الشمس من خراسان
الى هذا المحل الذي وجدته منقولاً ... وما سواه مما لحق من شعر الصاحب
فنقلته من خط بعض الشيعة ... وقال أيضاً :

وشادن [جماله] تقصر عنه صفتي
أهوى لتقبيل يدي فقلت : قبل شفتي
وقال في وصف الخمر :

رقّ الزجاج ورقّت الخمر وتشابها ففشا كل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
وقال أيضاً يرثي كثير بن أحمد الوزير :

يقولون لي : أودى كثير بن أحمد وذلك رزء في الأنام جليل
فقلت : دعوني والعلائيكه معاً فمثل كثير في الرجال قليل
تمام هذا الديوان المبارك كان في ليلة الأحد ليلة رابع عشر من شهر
جمادى الآخر من شهور سنة اثنتين وسبعين ومائة بعد الألف من هجرته النبوية
صلوات الله عليه وعلى آله .. الخ « (٢) .

(١) ديوان الصاحب : ٨/أ . مخطوط مصور بمكتبة الامام الحسن العامة .

(٢) ديوان الصاحب : ٣٦ ب - ٣٧ أ

أسمائها بعض المؤرخين : « الكافي في الرسائل » ^(١) ، وذكر ياقوت في مؤلفات الصاحب : « ديوان رسائله عشرة مجلدات ، وكتاب الكافي رسائل » ^(٢) ، كما ذكر حاجي خليفة : « كافي الرسائل » ^(٣) ، ورسائل ابن عباد ^(٤) ، كما ذكرها أيضاً لفيف آخر بأسماء مختلفة ترجع جميعها الى معنى واحد ^(٥) .

قال حاجي خليفة : ان الرسائل مرتبة على خمسة عشر باباً ^(٦) ، وقال ياقوت : إنها عشرة مجلدات - كما مر - ، وقال أبو حيان التوحيدي : إنها ثلاثون مجلدة ^(٧) ، وأظن ان رواية التوحيدي أرجح الروايات ، لأنه اطلع على مكتبة الصاحب وطلب منه نسخ هذه المجلدات ، فهو أعرف بها وبعدد مجلداتها من غيره ، كما أظن أن سائر ما ينسب لابن عباد من « منتخبات

-
- (١) الفهرست : ١٩٤ ، ووفيات الاعيان : ٢٠٨/١ ، وتاريخ ابى الفداء : ١٣٠/٢ ، وشذرات الذهب : ١١٤/٣ .
- (٢) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .
- (٣) كشف الظنون : ١٣٧٦/٢ .
- (٤) نفس المصدر : ٩٠١/١ .
- (٥) انباه الرواة : ٢٠٣/١ ، وتاريخ ابن خلدون : ٤٦٦/٤ ، ونزهة الالباء : ٣٩٩ ، ومعاهد التنصيص : ١٥٧/٢ ، وبغية الوعاة : ١٩٧ ، وتأسيس الشيعة : ١٦١ ، وأعيان الشيعة : ٤٢٩/١١ ، والغدير : ٤١/٤ .
- (٦) كشف الظنون : ٩٠١/١ .
- (٧) معجم الادباء : ٣٤/١٥ .

خطية « (١) و « فصول أدبية ومراسلات عبادية » (٢) مقتبس كله من مجموع رسائله الذي ذكره أبو حيان التوحيدي .

والمؤسف أن تكون عهود نكبات العلم والثقافة في سالف الأيام قد أتلفت - فيما أتلفت - هذه المجلدات الثلاثين من رسائل ابن عباد ، وتحتفظ اليوم مكتبة باريس الوطنية بمجلد واحد من هذه المجلدات كتب عام (٥٧٧ هـ) ، وهو يحتوي على منتخبات من رسائل صاحب أسماها بروكلمان : « المختار من رسائل صاحب » (٣) ، وقد طبعت هذه المنتخبات بمصر عام (١٣٦٦ هـ) في (٢٤٥) صفحة ، بتحقيق الاستاذين عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف .

جاء في أول الكتاب :

« ذكرت - أطال الله بقاءك - شديد حرصك على تحفظ بعض رسائل صاحب كافي الكفاة رضي الله عنه ، واحتياجك على من تستعين به على جمع ذلك مبوءاً ، مختاراً الأشف فلاشف منه . فوعدتك القيام لك به ، وجرأت له عنايتي ، وخرجت من كل باب من أبواب ديوان رسائله العشرين عشر رسالات ليخفف حجم هذا المجموع ولا يعتاص تحفظه . وقد رجوت أن يقع ذلك منك موضع الوفاق ، والله ولي التوفيق والارشاد » (٤) .

وفيما يلي فهرس أبواب الكتاب :

الباب الأول - في البشائر والفتوح .

الباب الثاني - في العهود .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٧٥/٢ .

(٢) مقدمة الهداية والضلالة : ٢٢ .

(٣) تاريخ الادب العربي : ١٣٦/١ .

(٤) رسائل صاحب : ١ .

الباب الثالث — في الأمان والأيمان والمواقفات والمناشير ومراعاة الكيسة
من السنين وما يجري مجراه .

الباب الرابع — في أمر الحجيج والمصالح والثغور .

الباب الخامس — في الاستعطاف وما يجانسه .

الباب السادس — في إصلاح ذات البين والدعاء الى الطاعة وتهجين المعقوق
بين ذوي الأرحام وما يشاكل ذلك .

الباب السابع — في المدح والتعظيم .

الباب الثامن — في الذم وتهجين وما يجري مجراه .

الباب التاسع — في التهنيت .

الباب العاشر — في التعازي .

الباب الحادي عشر — في الإخوانيات والمداعبات .

الباب الثاني عشر — في التشكر .

الباب الثالث عشر — في الاستزادة والتقريع .

الباب الرابع عشر — في التنصل والاسترضاء .

الباب الخامس عشر — في الشفاعات .

الباب السادس عشر — في توصية العمال بتجانب المال وإظهار العفاف
وحسن السياسة .

الباب السابع عشر — في الأدب والمواعظ .

الباب الثامن عشر — في فصول وغرر وتوقيعات ودُرر .

الباب التاسع عشر — في النوادر وهي الكتب النادرة .

الباب العشرون — في الشوارد وهي الكتب المختلفة المعاني .

وجاء في ختام الكتاب ما نصه :

« وله :

كتابي ومولانا محبوباً من النعم بما يتجلى صنع الله فيه باهراً للعيون ، محققاً للظنون ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد وآله أجمعين .
وتأخرت كتبي عن مولاي لـكروور علـل عليّ صارت حلفاً لازماً ، وطبعاً ثانياً ، حتى عادت الصحة كطارقٍ مستغرب ، وطاريٍّ مستبدع ، وعولت في المهمات أجمع على ما ينهيه أبو فلان ، فقد عرف في كل باب ما عرفته وعلم منه ما علمته ، وقد نهض منذ أيام ، والله ييسر المناح . . .

وكان مولاي - أدام الله عزه - بشرّ بما تيسر في كذا ، فابتسمت تغور الأمل ، وآذنت بنهاية المراد في أقرب أمد ، لا زالت عزائم مولانا غنائم لأوليائه ، وصوارم على أعدائه . وكتاب البشرى بغية الطرف ليجلوه ، والروح ليغذوه .

آخر الباب العشرين ، وبه تمام هذا المجموع من الديوان ، والحمد لله حق حمده ، والصلاة على النبي محمد وآله ، (١) .

٧ - رسالة في أحوال عبد العظيم :

نشرت هذه الرسالة في المجموعة الرابعة من نفائس المخطوطات عام ١٣٧٤ هـ في (٤) صفحات ، وقلتُ في أثناء التقديم لها :
« المؤسف جداً أننا لم نشاهد ذكراً لاسم هذه الرسالة في كتب التاريخ والتراجم القديمة كمعجم الأدباء وقيمة الدهر ووفيات الأعيان وأمثالها (١) ، ولكن لدينا من القرائن ما يبعث على الاطمئنان بصحة نسبتها ، كقِدم تاريخ كتابة النسخة الأم ، وكاشتمال هذه الرسالة على الاهتمام بالعدل والتوحيد ، وذكر ما روي عن عبد العظيم فيهما ، ومدح المترجم له بكونه ممن يقول بهما ، وهذا مشابه لنمط أسلوب صاحب وإهتمامه بهذين الأصلين من أصول الدين في سائر كتبه الكلامية .

والنسخة التي طبعت عليها الرسالة مخطوطة عام (١٣٢٤ هـ) في النجف الأشرف ، وهي منقسخة - بدورها - عن نسخة المحدث المغفور له الميرزا حسين النوري . . . المخطوطة عام (٥١٦ هـ) بخط بعض بني بابويه (٢) .

بدأ صاحب هذه الرسالة بقوله :

« سألت عن نسب عبد العظيم الحسيني المدفون بالشجرة ، صاحب المشهد - قدس الله روحه - وحاله واعتقاده ، وقدر علمه وزهده ، وأنا ذاكر ذلك على اختصار ، وبالله التوفيق .

هو أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن

(١) ورد ذكر هذه الرسالة في بعض الكتب المتأخرة كروضات الجنات :

١٠٧ ، وأعيان الشيعة : ٤٣٠/١١ ، والغدير : ٤٢/٤

(٢) نفائس المخطوطات : ١٧/٤

ابن علي بن أبي طالب عليه وعلى آباءه السلام . ذو ورعٍ ودين ، عابد معروف
بالأمانة وصدق اللمجة ، عالم بأمور الدين ، قائل بالتوحيد والعدل .. الخ « (١) .
وجاء في ختام الرسالة :

« روى عبيد الله بن موسى ، عن عبد العظيم ، عن إبراهيم بن أبي محمود
قال : قال الرضا عليه السلام : ثمانية أشياء لا تكون إلا بقضاء الله وقدره :
النوم واليقظة ، والقوة والضعف ، والصحة والمرض ، والموت والحياة .
ثبَّتْنا الله بالقول الثابت من موالاة محمد وآله ، وصلى الله على سيدنا
رسوله محمد وآله أجمعين » (٢) .

(١) نفائس المخطوطات : ١٩/٤

(٢) نفس المصدر : ٢٢/٤

لم أجد بين المؤرخين القدامى من ذكر هذه الرسالة غير الثعالبي صاحب القيمة ، فقد أشار إليها ، وأسمّاها بهذا الاسم ، ونقلها نصاً في كتابه ^(١) ، وروى عن بعض معاصريه كثيراً من المدح والثناء عليها ، ولم أكن لأفرد لها وأخصّها بالذكر لولا اهتمام الثعالبي بها ، وإكباره لما تضم من فوائد وتحوي من نكات ودقائق .

ووردت هذه الرسالة في كتاب « رسائل ابن عباد » على شكل رسالة مرسلّة منه الى صديقه أبي العباس الضبيّ بمناسبة مرض أَلَم به ، فاحتلت من الكتاب ما يزيد بقليل على صفحتين .
بدأها الصاحب بقوله :

« وصل كتاب مولاي فلفصق بيدي ، وتدي على كبدي ، ولم أدر بماذا أنعته وقد ملّى قلبي وملاً صدري ، وكيف أصفه وقد أمتع نفسي ورفع طرقي ، وهل أقول نسيم الرياض تدرّجت الشمال على أنوارها ، وأغرّيت الصبا بإخراج أسرارها ، أم أقول الحياة عادت في الجسد ، والروح سرى في البدن ، فله على كل مستحسن أنيق فضل ، وعند كل حضارٍ سبق وخصل » ^(٢) .
ويقول في آخرها :

« أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء بالسلامة والشفاء ، وقد كتبت في كذا ما يغني اهتمام سيدي به عن ترديد ذكره :
واذا رميت الى ابن عزم حاجة فاعلم بأن جناحها يستقيس ^(٣) » .

(١) يتيمة الدهر : ٣ / ١٨٠ - ١٨٢

(٢) رسائل الصاحب : ٢٢٨ - ٢٢٩

(٣) نفس المصدر : ٢٣٠

لم يذكروا أحد من المؤرخين ، ولكنها ليست بحاجة الى تأييد تاريخي في صحة انتسابها لمؤلفها ، لأن نسختها الخطية منسوخة في حياة صاحب عام (٣٦٤ هـ) ومزدانة بخطه ، وقد كتب صاحب عليها ما نصه :

« بسمه تعالى . أنهاء أدام الله فضله ، وكتب اسماعيل بن عباد . شهر رجب الفرد سنة ست وستين وثلاثمائة . الحمد لله وحده » (١) .

والنسخة محفوظة في خزانة كتب الوجيه مجيد موقر في طهران ، وقد نشرت في عام ١٣٧٤ هـ في (٢٠) صفحة ، فكانت الكتاب الأول من منشورات « أنجمن فرهنگي مهر » .

ومن الاطلاع على تاريخ نسخها عام (٣٦٤ هـ) وتاريخ تعليق صاحب عليها عام (٣٦٦ هـ) نستطيع أن نقول إنها من مؤلفاته في أواخر شبابه ، ومنهجها في البحث والتفكير شبيه جداً بمنهج صاحب في الابانة والتذكرة وغيرها من مؤلفاته الكلامية .

يبدأ صاحب كتابه بقوله :

« الحمد لله الواحد العدل فلا يجور فيما أنشأ وابتدع ؛ الرحيم فلا ظلم فيما ابتدأ و اخترع ؛ الحكيم الذي لا باطل فيما قدّم وأخّر ؛ العليم فلا سفة فيما قضى وقدّر ، المنزه عن إضلال العباد عن الدين ؛ وإغوائهم عن الحق المبين ، الذي لا يدّخر عن عباده إحساناً ، ولا يختزل دونهم إرشاداً وبياناً ، المتعالي عن فعل القبائح وإرادة الفواحش والفضائح ، وصلى الله على نبيه المبعوث

(١) رسالة في الهداية والضلالة : ٥٢ .

لهداية الكافّة ، المرسل بالرحمة والرأفة ، وعلى أهل بيته نجوم الاسلام وشموس
الايمان ، وسلم تسليما .

أمّا على اثر ذلك - أدام الله توفيقك لما يرضيه ، ونزّهك عما يعتقد
أبناء الإلحاد فيه - سألت أن أذكر لك جملة من الكلام في الهداية والفضال ،
يزداد بها نفاذ بصيرتك ونقاء سريرتك ، في وصف الله - عزّ اسمه - بالعدل ،
وتنزيهه عما يحيله القدريّة من صريح الجور والظلم ، فقد تقدم من كلام سلفنا
في هذا الباب ما يغني . . . ونبتدى القول فخذوه « (١) .

ويقول في ختام الرسالة :

« جعلنا الله ممن أقرّ بذنبه ، ولا يحيل به على ربّه ، وتوفّانا على القول
بتوحيده ، والافرار بعدله ، وموالاة نبيه محمد خير خلقه والنجوم الزاهرة
من أهل بيته ، صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما » (٢) .

ومن نماذج مباحث الكتاب قوله :

« فأما الختم والطبع والأغلال التي أخبر أنّها في الأعناق فعلى طريق
التمثيل ، كأنهم لما لم يستفهموا هذه الآيات شَبَّهوا بمن ختم على حواسه وحيل
بينه وبين رشاده . ألا ترى انه قال : ﴿ صمّ بكم عمي ﴾ ، وليسوا في الحقيقة
كذلك ، لكنهم كانوا به - هذه المثابة لما لم يعلموا هذه الأدوات في هذه
الآيات .

والذي يدلُّ أن ذكر الأغلال والأقياد مجاز قولُ الأفوه الأودي :

كيف الرشاد وقد صرنا الى نفرٍ لهم عن الحق أغلال وأقيادُ

(١) رسالة في الهداية والضلالة : ٣٤ .

(٢) نفس المصدر : ٥١ .

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أفاهاها ﴾ ،
فلو أن على قلوبهم الأقفال - على الحقيقة - لكان في أعناقهم الأغلال
على الحقيقة .

وقد أخبر الله تعالى بما هو أكثر من هذا في التمثيل فقال : ﴿ إنك
لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ﴾ وهم لم يكونوا أمواتاً ، ولا كن
في حكمها ، (١) .

(١) الهداية والضلالة : ٤٦ .

ذكره ياقوت الحموي في معجمه باسم : « عنوان المعارف في التاريخ »^(١) ، فكان هو المؤرخ الوحيد الذي سجل اسم الكتاب في قائمة مؤلفات ابن عباد ، ثم كان المرحوم السيد محسن الأمين أول من كشف عنه النقاب ، إذ عثر على نسخة خطية منه كتبت في شهر رجب سنة (٤٢٠ هـ) أي بعد وفاة صاحب بخمس وثلاثين سنة^(٢) ، فكانت هذه النسخة بقديم تاريخها وقرب عهدها من حياة مصنفها مصدراً كافياً لاثبات انتسابها للصاحب ، كما كانت - في الوقت نفسه - أمّا لسائر النسخ الخطية الموجودة اليوم .

طبع الكتاب ضمن المجموعة الأولى من نفائس المخطوطات في النجف الأشرف سنة (١٣٧٢ هـ) في (٢٩) صفحة ، ويدور بحثه الموجز على تاريخ النبي (ص) ومن خطوب بعده بالخلافة حتى المطيع العباسي ، كما ذكر في آخر عرضه للامويين تاريخ من بويج له بالخلافة في عهد بني أمية كالحسين ابن علي ، وابن الزبير ، ومحمد بن الحنفية وغيرهم .

ويظهر من مقدمة الكتاب ان صاحب قد ألّفه بطلب من بعض أصدقائه من دون أن يذكر اسمه أو أية إشارة اليه ، فلم استطع معرفته كما لم استطع معرفة تاريخ تأليفه ، لعدم وجود أي قرينة تدل على ذلك .

افتتح صاحب مؤلفه بقوله :

« قد أسعفتك بالمجموع الذي التمسته ، في نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وبنيه وبناته ، وأعمامه وعمّاته ، وجمل من غزواته ، وسائر

(١) معجم الادباء : ٢٦٠ / ٦ .

(٢) أعيان الشيعة : ٤٣٠ / ١١ .

ما يتصل بذلك من ذكر مولده ومدفنه وهجرته ، وتسمية أفراسه ونوقه وسيفه ودرعه ، وأتبع ذلك بذكر من خوطب بالخلافة على النسق ، غير مرتب للمفضول والفاضل والجائر والعاقل ، إذ لو ابتدأت بأتم الخلفاء فضلاً ، وأعد لهم عدلاً ، لافتتحت بسيد المهاجرين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين ، وذكرت عند انتهائي إلى كل منهم اسم أمه ، ونبدأ من حاله ، وأسماء خلفائه وكتابه وحجابه ، ونقش خاتمه ، بعد أن آثرت الاختصار الذي طلبته ، والايجاز الذي حاولته ، ووسمت هذا المختصر بـ - عنوان المعارف وذكر الخلائف - ، فاذا أنت حفظته أنك ما بعده بشرح وإيضاح ، وتلخيص وإفصاح ، إن شاء الله « (١) .

وجاء في ختام الكتاب :

« المطيع بن المقدر : أبو القاسم الفضل ، أمه شملة ، بويح له يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة » (٢) .

ومن مباحث الكتاب قوله فيمن بويح بالخلافة في مدة بني أمية :

« أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو إمام الحق بايع له أهل الكوفة على رأس تسع وخمسين سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام من الهجرة ، وأخرج له يزيد من حاربه وقتله بالطف يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة ، وكانت له سبع وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . تولى قتله وحز رأسه سنان بن أنس لعنه الله .

(١) عنوان المعارف - نفائس المخطوطات : ٥/١ .

(٢) نفس المصدر : ٣٣/١ .

عبدالله بن الزبير : أبو بكر . امه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وهو أول مولود ولد في الهجرة . هاجت فتنته بعد قتل الحسين عليه السلام ، وحج بالناس سنة ستين ولم يُبايع له ، ثم حج بهم سنة احدى وستين ، وبعث اليه يزيد بالجنود وحاربه ، وكان يوم الحرة ، وبايع الناس ابن الزبير سنة خمس وستين بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ، وقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين .

أبو القاسم محمد بن أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو محمد بن الحنفية . خلع المختار بن أبي عبيدة ابن الزبير وبايع لمحمد عليه السلام ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن لعلي بن أبي طالب عليه السلام إن وُلِدَ له ولد بعده أن يكنيه بكنيته ويسميه باسمه ، ودفن بالبقيع سنة احدى وثمانين من الهجرة في ربيع الأول ، وهو ابن خمس وستين سنة لم يُحسَبَ كلها ، (١) .

(١) عنوان المعارف - نفائس المخطوطات : ٢٠/١ - ٢١ .

لم أجد من المؤرخين في القديم والحديث مَنْ ذكر هذه الرسالة ، ولا كني
عُثرت في مكتبة الامام الحسن العامة على صورة لها عن النسخة الأصلية المحفوظة
في مكتبة الفاتح بتركيا ، وقد جاء في آخرها ما نصه : « تم الكتاب ، وفرغ
من مشقه يوم الأربعاء ثاني عشر رجب سنة عشرين وخمسمائة ، والحمد لله
رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم تسليما » (١) .

وتقع الرسالة بمجموعها في (١٣) ورقة ، ويدور موضوعها على تسجيل الفروق
اللغوية بين حرفي الضاد والظاء ، حيث رأى مؤلفها خلط الكتاب بين هذين
الحرفين والتباس أمرهما عليهم ، فدعته غيرته على اللغة الى تأليف هذه الرسالة ،
لتكون سبباً في إصلاح هذه الأخطاء ورفع الإيهام والالتباس عن موارد استعمال
هذين الحرفين .

يبدأ صاحب رسالته بقوله :

« كتاب الفرق ما بين الضاد والظاء المعجمتين ، وتميز بعضها من بعض ،
ومعرفة تأليف أبنيتهما ، إذ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكتاب ،
لتقارب أجناسهما في المسامع ، وإشكال أصل تأسيس كل واحد منهما ، والتباس
حقيقة كتابتهما ، لأن في ترك النظر في ذلك إفساداً للغة ، وتغييراً لأحكام
العربية ، وهجنة على من لم يحط به معرفة ، ومخالفة لحقائق الهمجاء ، وبياناً في
تفسير المعاني ، ألا ترى انك اذا قلت : قرّطت الرجل وقرّضته ... فالتقريط
مدحك إيّاه ، والتقريض ذم واعتياب ، وقولك : عطل الرجل اخته اذا

(١) الفرق بين الضاد والظاء : ١٣/١ .

منعها أن تتزوج ، وعضلها اذا عهد اليها ، وأنا أبين كل ظاء انتقلت من كلام العرب ، وما ورد من نظائره من الضاد ، وبالله التوفيق » (١) .

وجاء في آخر الرسالة :

« الجلفاظ : الذي يغير السفن ، ويقال : اجلفظ الرجل اذا وقع على ظهره ورفع رجليه » (٢) .

ومن أمثلة البحث اللغوي في هذه الرسالة ما يلي :

« الظرب : حجر نابت الأصل في أرض أو جبل ؛ ناتي الطرف محدّد ؛ وجمعه ظراب ؛ قال الشاعر :

إن جنبي على الفراش لناب (٣)

الأسرّ : بعير في سرّته داء ، وعامر بن ظرب : من فرسان الجاهلية ،

والظرابي والظربي جمع الظربان وهو : دابة لا يطاق فسوه ، وقال :

وهل أنتم إلا ظرابي فضة تفاسي وتسقشني بأنفها الطخمي (٤)

(١) الفرق بين الضاد والطاء : ١/ب .

(٢) نفس المصدر : ١٣/أ .

(٣) في المخطوط : لنات ، والتصحيح من لسان العرب : ١/٥٦٩ .

(٤) الفرق بين الضاد والطاء : ٧/ب .

١٢ - الكشف عن مساوي شعر المتنبي :

هكذا ورد اسم الرسالة في بعض المصادر التاريخية^(١) ، وسميت في مصادر أخرى باسم : « الكشف عن مساوي المتنبي »^(٢) كما سميت في بعض الكتب : « إظهار مساوي المتنبي »^(٣) ، وفي بعض آخر : « الأخذ على أبي الطيب المتنبي »^(٤) .

روى بعض نصوصها لفيف من الأدباء في مؤلفاتهم^(٥) ، وإن لم يصرح بعضهم باسم صاحب حين النقل^(٦) ، وتعد هذه الرسالة - بحق - من أهم مصادر تاريخ النقد الأدبي في القرن الرابع - على ما مر تفصيله -^(٧) .

طبعت الرسالة بمصر سنة (١٣٤٩ هـ) في (٢٤) صفحة ، وكانت النسخة المطبوعة بتصحيحها وأخطائها وتحريفها مشوهة سقيمة الى حد بعيد . ووقفت في مكتبة الامام الحسن العامة على نسخة مصورة منها عن أصلها المخطوط المحفوظ في مكتبة دير الاسكوريال باسبانيا ، وهي حديثة الكتابة مغربية الخط أمماها ناسخها : « رسالة صاحب كافي الكفاة في كشف عيوب المتنبي » ، وتقع في (٢١) ورقة .

-
- (١) الفهرست : ١٩٤ ، ووفيات الاعيان : ٢٠٨/١ ، وروضات الجنات : ١٠٦ ، وتاريخ الادب العربي : ١٣٦/١ .
 - (٢) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ ، وبغية الوعاة : ١٩٧ ، وكشف الظنون : ١٤٩١/٢ ، وتأسيس الشيعة : ١٦١ .
 - (٣) معجم الادباء : ٢٤/١٤ ، ويتيمة الدهر : ٤/٤ .
 - (٤) نزهة الالباء : ٣٩٩ .
 - (٥) يتيمة الدهر : ١٢٣-١٤٥ ، ونهاية الارب : ٢٢١/٥ .
 - (٦) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٣٥٢ و ٣٥٤ .
 - (٧) تراجع ص ١٨٠-١٨٢ من هذا الكتاب .

يظهر من مقدمة الرسالة انها كتبت لشخص معين لم يرد ذكره فيها ولم
يشر ناشرها اليه ، ولكن ناسخ النسخة الخطية يقول في صدرها : انها ألّفت
لأبي الحسين حمزة بن محمد الاصبهاني .

أما تاريخ تأليفها فلم يرد نص فيه ، ولكنه كان قبل عام (٣٦٠ هـ) الذي
توفي فيه ابن العميد ، لأنّ صاحب يذكر استاذة ابن العميد فيها فيقول في
الدعاء له : « أدام الله أيامه ، وحصّن لديه إمامه » (١) ، وإذا علمنا تاريخ
قصد المتنبي لابن العميد في أرجان ومدحه له سنة ٣٥٤ هـ ، وعلمنا طلب صاحب
من المتنبي أن يزوره في اصفهان ويمدحه ورفض المتنبي لذلك وثورة صاحب على
هذا الرفض نفهم ان الرسالة قد كتبت في الفترة الواقعة بين عامي ٣٥٤ - ٣٦٠ .
يبدأ صاحب الرسالة بقوله :

« أما بعد أطل الله مدتك ، وأدام في العلوم رغبتك ، فالهوى مرّ كـ
يهوى بصاحبه ، وظهر يغير برا كبه ، وليس من الحزم أن يزري العالم على
نفسه بالعصبية ، ويضع من علمه بالحمية ، فالناس مع اختلافهم وتباين أصنافهم ،
متفقون على أن تغليب الأهواء يطمس أعين الآراء ، وان الميل عن الحق يبهـم
سبل الصدق ، وكنت ذا كرت بعض من يتوسم الأدب في الأشعار وقائلها
والمجودين فيها ، فسألني عن المتنبي فقلت : انه بعيد المرمى في شعره ، كثير
الاصابة في نظمه ، إلا أنه ربما يأتي بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء ،
فرأيت قد هاج وانزعج ... ولم يرض حتى تحداني فقال : إن كان الأمر كما
زعمت فأثبت في ورقة ما تنكره ، وقيّد بالخط ما تذكره ... ففعلت وإن لم
يكن تطلب العثرات من شيمتي » (٢) .

(١) الكشف : ٤٠

(٢) نفس المصدر : ٣٠

ويقول في آخرها :

« وكانت الشعراء تصف المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يُستبشع ذكره حتى
تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال :
اني على شففي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها
وكثير من العهر أحسن من عفافه هذا .

هذه - أيدك الله - مقدمة علقها ليستدل بها على ما بعدها ، ولو أتيت
بنظائرها مما أخرجت من شعره لأضجرت القارىء وأملت السامع ، وإن دام
هؤلاء الأنهار على النفار لم يهدموا الزيارة ولم يفقدوا الزيادة .

فمن شاء فليعذر ومن شاء فليعلم فللصدق أولى من وفاق البهائم ^(١) .
ومن نماذج بحوث الرسالة هذا المثال :

« ومن بدائمه الظرفية عند متعاقبي حبله ، وفواتحه البديعة عند ساكني ظله :
شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع الخليل
فلا أدري استهلال الأبيات أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله :
« ترنج » أفصح .

ومن لغاته الشاذة وكلماته النادرة :

كل آخائه كرام بني الدن يا ولاكنه كريم الكرام
ولو وقع الآخاء في زائفة الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :
قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلك بدرة في المنام
والكلام اذا لم يتناسب زيفه جهابذته ، وبهرجه نقاده ^(٢) .

(١) الكشف : ٢٦ ، والبيت الاخير لم يرد في النسخة المطبوعة ، وانما
أضفناه من المخطوط .

(٢) نفس المصدر : ١٦-١٧ .

ذكره أكثر علماء اللغة ورجال التاريخ في موسوعاتهم ومؤلفاتهم ، ولكنهم اختلفوا في عدد أجزائه فعيّن بعضها بعضهم سبعة^(١) ، وأوصلها آخرون الى عشر^(٢) ، ويروي الوزير القفطي عن ياقوت الرومي الناسخ انه نسخ منه نسخة بالاجرة في سبعة مجلدات^(٣) .

ومهما كان من أمر المجلدات وعددها فانه خلاف في القشر ولا علاقة له بصميم مباحث الكتاب بعدما عثرنا على نسخة كاملة منه في بعض المكتبات العراقية تضم سائر الحروف الهجائية من دون أي نقص أو خرم أو فقد شيء منه . وقفت على قطعة مصورة من هذا الكتاب بمكتبة الامام الحسن العامة ، كتبت في القرن السابع بخط جميل جيد مشكول في (٢٧٥) ورقة ، تبدأ بباب المضاعف من حرف الحاء - الحاء والقاف - وتنتهي بأخر حرف القاف ، وتحفظ مكتبة أحمد الثالث بتركيا بالنسخة الأصلية من هذه القطعة .

كما وقفت في مكتبة المتحف العراقي ببغداد على نسخة كاملة من هذا الكتاب كتبها المرحوم الشيخ محمد السماوي سنة (١٣٥٤ هـ) عن نسخة كتبت للسيد علي بن السيد أحمد نظام الدين المدني المعروف بابن معصوم سنة (١١١٧ هـ) ،

-
- (١) وفيات الاعيان : ٢٠٨/١ ، ومعاهد التنصيص : ١٥٧/٢ ، والبداية والنهاية : ٣١٦/١١ ، وشذرات الذهب : ١١٤/٣ ، وكشف الظنون : ١٦٢١/٢ .
- (٢) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ ، وبغية الوعاة : ١٩٧ ، وتاريخ آداب اللغة العربية : ٣٠٨/٢ ، وتأسيس الشيعة : ١٦١ .
- (٣) انباه الرواة : ٢٠١/١ .

وتتألف نسخة السماوي من مجلدين : أولهما في (٤٤٤) صفحة وثانيهما في (٤١٥) صفحة .

وتحتوي دار الـكتب المصرية على قطعة من الكتاب كتبت في القرن السابع في (٢٧٤) ورقة ، تبدأ بباب الليف من حرف الفاء وتنتهي الى باب الخامي من السين ، والـكن لم يتسن لي الوقوف عليها ، كما لم يتسن لي الوقوف على نسخة كربلاء التي سمعت انها في ملك أحد السادات هناك ، والـكنه لا يسمح بالاطلاع عليها .

يبدأ الجزء الأول من نسخة السماوي بما نصه :

« كلام العرب مبني على أربعة أنحاء : الثلاثي والثنائي والرباعي والخامي ، لا يُجاوز بناء الكلمة والحروف [لا] صلية ذلك الا أن تلحقها الزوائد ، فقد تبلغ بها حينئذ سبعة نحو القَرَءَـبِلانة وهي دويبة » (١) .

وجاء في آخر الجزء الأول :

« القفندر من الرجال : القصير الحاذر ، والضخم من الابل ، والأيض من كل شيء . القفنديل : الضخم من الابل . ادلفق الرجل : أمرع وتقدم ، وخرق مدلفق : بعيد ممتد . القفرنية : القصيرة القمئة : ويقال : قفرنية بالياء » (٢) .

وورد في أول المجلد الثاني :

« باب الـكاف — باب الثنائي المضاعف — باب الـكاف والشين :
كش : كش البكريكش كشيشاً : وهو صوت من الكثيب والهدير ،

(١) المحيط : ٢/١ . مخطوط بمكتبة المتحف العراقي .

(٢) نفس المصدر : ٤٤٣/١ .

والكشكشة : لغة تعرف لربيعة يقولونها عند كاف التانيث نحو : عليـكش
وبـيكش ، وبجر لا يكشكش : أي لا ينزح .

شكّ : الشكّ : نقيض اليقين . شكّكني أمرك وأمرك يشك عليّ ،
والشكة : ما يلبسه الرجل من السلاح ، والشك : ظلم خفيّ ؛ بعير شاك
وقد شك واشتك اشتكاكاً ، والشكاك : الفرق من الناس ؛ الواحدة
شكيكة ، والشكاكة من الأرض : ناحية منها ، والشكوك : الجوانب ،
وشككت الى فلان وشككته : أي ركننت اليه ، وشككت اليه البلاد :
قطعتها ، وانه لبعيد الشكة : أي الشقة ، وشك عليّ الأمر ، وشق بمعنى ،
ولجام شكي : أي عسر ، والشكيكة : السلة التي تكون فيها الفاكهة (١) .
وجاء في آخر الجزء الثاني وهو ختام الكتاب :

« اليؤيوؤ : طائر يشبه الباشق ؛ والجمع اليثآياء واليئآئي ، واذا قيل :
هل يزورك فلان قالوا : نعم يا أي نعم يزورنا ، ويقولون يا اذهب : أي
يا هذا ، وقرئ قوله عز وجل : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا ﴾ أي ألا يا هؤلاء اسجدوا ،
والياء : الحرف ، وقصيدة ياويّة : اذا كانت مبنية على الياء ؛ ويائيّة ؛
كذلك ؛ وقيل ميويّة ، ويديت ياءاً حسنة أي كتبت ياءاً حسنة » (٢) .

أما تسلسل الحروف الهجائية فلم يستعمل فيه طريقة الألفباء ولا الأبجدية
المعروفة ، بل اتبع فيه الناحية الصوتية فقسّم الحروف الى مجموعات متعددة
تختلف باختلاف أصواتها حسب الجدول التالي :

حلقية — ع ، ح ، ه ، خ ، غ

(١) المحيط : ٢/٢ .

(٢) نفس المصدر : ٤١٥/٢ .

لهويّه — ق ، ك
شجريّه — ج ، ش ، ض
أسليّه — ص ، س ، ز
نطعيّه — ط ، د ، ت
لثويّه — ظ ، ذ ، ث
ذلقيّه — ر ، ل ، ن
شفويّه — ف ، ب ، م
هوائيه — و ، أ ، ي ، (١)

أسمائها مفرس مخطوطات دار الكتب المصرية بهذا الاسم ، ولعله استقاه مما جاء في آخر المنظومة إذ يقول الناسخ : « تمت وبالحير عمت الفريدة المشتملة على أفضل كل عقيدة » .

والمنظومة - المشار اليها - قصيدة واحدة من قصائد ابن عباد التي وردت في ديوانه المخطوط وفي عدة كتب اخرى ، وقد شاء أحد الناسخين أن يفرد لها في النسخ في (٣) صفحات إعجاباً بها واستثناساً بمضامينها ، فكان لها بعد ذلك اسمها المعيّن وذكرها الخاص في فهرس دار الكتب .

عدد أبيات القصيدة (٦٤) بيتاً ، وتاريخ النسخ سنة (١٠٨٧ هـ) ، وهي كثيرة الأخطاء والتصحيّف والتحريف مما يدل على أن كاتبها لا يحسن العربية ولا يفهمها كما يجب .

جاء في أولها :

قالت : أبا القاسم استخففت بالغلز^(١) فقلت : ما ذاك من هي ولا أملي
قالت : أريد اعتذاراً منك تظهره فقلت : عذراً ولا أخشى من العذل
قالت : الخ على تكرير مسألتي فقلت : ما أنا عن رأيي بذي حَوْل^(٢)
الى أن يقول :

قالت : فمن صاحب الدين الخفيف أجب^(٣) فقلت : أحمد خير السادة الرسل^(٣)
قالت : فهل مهجز وافي النبي به قلت : القرآن وقد أغنى عن الأوّل

(١) في المخطوط : الحففت ، والتصحيح من الديوان المخطوط .

(٢) المنظومة الفريدة : ص ١ . مخطوط مصور بمكتبة الامام الحسن العامة .

(٣) في المخطوط : الاول ، والتصحيح من الديوان .

قالت : فمن بعده كان الولاء له قلت : الوصي الذي أربى على زحل^(١)
ويقول في ختامها :

قالت : أتيت ابن عباد بمعجزة فقلت : لا تعجبي فالشعر من خولي
قالت : فهل منشد ترضى لينشدها فقلت : كل كريم النجر ينشد لي^(٢)
وقد شرح القاضي جعفر بن أحمد بن يحيى البهلوي هذه القصيدة شرحاً
جَمِلاً مفصلاً وقفت منه على نسختين :

(الاولى) مصوّر النسخة المحفوظة في الخزانة التيمورية بمصر ، وهي
في (١٤) ورقة بخطٍ يعني حديث ، وليس في آخرها ذكر للناسخ أو
لسنة النسخ .

(الثانية) مصوّر النسخة المحفوظة في المكتبة الامبروزيانية في ايطاليا ،
وهي في (٢١) ورقة بخطٍ يعني واضح ، وليس فيها ذكر للناسخ أو لتاريخ
النسخ سوى ما جاء في الصفحة الاولى منها من تسجيل تملك لها سنة (١١١٣هـ) .
جاء في أول الشرح :

« قالت : أبا القاسم استخففت بالغزل

فقلت : ما ذاك من همي ولا شغلي

يحكي عن قائلة خاطبته في استخفافه بالغزل وهو إعراضه عن اللهو والصبا
فأجابها ان ذلك أمر لا يصرف اليه همته ، ولا يعلق به أمره »^(٣) .

وجاء في ختام الكتاب :

« قالت : فهل لك في نظم لترويه فقلت : ان جوابي منه حق هل

(١) المنظومة الفريدة : ٢ .

(٢) نفس المصدر : ٣ .

(٣) شرح المنظومة : ٢/١ . مصور نسخة ايطاليا .

ثم جلاها هنا انها طلبت منه شعراً فأجابها الى ما سألته معجلاً :

قالت : فأمل على هذا الفتى معجلاً فقلت : هذا ولم ألبث ولم ابل

قالت : أمبتدها في القول مرتجلاً ؟ فقلت : ما قلت شعراً غير مرتجل

قالت : أتيت ابن عباد بمعجزة فقلت : لا تعجبي فالشعر من خولي

قالت : فهل منشد ترضى لينشدها فقلت : كل كريم النجر ينشد لي

تمت القصيدة المباركة بتفسيرها ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم تسليماً (١).

ب - مؤلفات الصاحب المفقودة

« التي روت كتب الأدب والتاريخ بعض نصوصها »

١٥ - الأنوار :

لم يذكره أحد من القدماء سوى السيد رضي الدين علي بن طاووس ، فقد أشار إليه وتحدث عنه وروى بعض نصوصه المرتبطة بموضوع بحثه فقال :
« الباب الرابع والسبعون بعد المائة : فيما ذكره من أمر النبي (ص) من حضر من أصحابه بالتسليم على مولانا علي (ع) بأمر المؤمنين ؛ من كتاب (الأنوار) تأليف الصاحب الفاضل اسماعيل بن عباد فقال اسماعيل بن عباد في كتاب الأنوار الذي ذكرناه ما هذا لفظه :
الإمام الأول : اسمه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وله أسام كثيرة في التوراة والانجيل والفرقان والزبور ، وبشرحها يطول الكتاب . يكنى (أبو الحسن) ، ولقبه رسول الله (ص) أمير المؤمنين خاصاً له ؛ حين قال لأصحابه : قوموا وسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، روى ذلك أبو بردة وغيره في قصة طويلة ، ويقال له المرتضى والوصي والولي ، ولقبه النبي (ص) بالوزير » (١) .

(١) اليقين في امرة أمير المؤمنين : ١٧٤-١٧٥ .

وهي كلمة فارسية بمعنى (اليوميّات) سجّل فيها الصاحب كثيرًا من القصص الأدبية والمطارحات العلمية والنوادر الشعرية التي تمّ له سماعها والاطلاع عليها في بغداد ؛ حينما زارها بصحبة الأمير البويهى عام ٣٤٧ ، ويظهر من بعض نصوصها انه كتبها لاستاذ ابن العميد ليطلعه على كل ما شاهد وما جرى له في رحلته .

ومن نماذجها وصفُ الصاحب لما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلبى :
 « استدعاني الاستاذ أبو محمد فحضرت ، وابنا المنجم في مجلسه ، وقد أعدّا قصيدتين في مدحه ، فغنمنا من النشيد لأحضره ، فأنشدا قعوداً وجوذاً بعد تشبيب طويل وحديث كثير ؛ فان لأبي الحسن رماً أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولئن أحصل عنده في صورة متزيّد أحب إليّ من أن أحصل عنده في رتبة مقصّر : يبتدىء فيقول ببحّة عجيبه - بعد إرسال دموعه وتردّد الزفرات في حلقة واستدعائه من جوذر غلامه مندبلَ عبراته - : والله والله . . وإلاّ فأيمان البيعة تلزمه بحلّها وحرامها وطلاقها وعتاقها ، وما ينقلب اليه حرام ؛ وعبيده أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ؛ واتفق من عهد أبي دؤاد الأيادي الى زمان ابن الرومي لأحدٍ شكله ، بل عيبه ان محاسنه تتابع ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يحمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد فاذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء .

ثم ينشد الابن ؛ والأب يعوذّه ويهتزل له ويقول : أبو عبدالله ؛ استودعه
الله ، ولي عهدي ، وخليفتي من بعدي ، ولو اشتجر اثنتان من مصر
وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواء ، أمتعنا الله به ورعاه .

وحديثه عجب ، وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه
- أيد الله مولانا - من سعة النفس والخلق ، ووفور الأدب والفضل ، وتمام
المروءة والظرف ؛ بحالٍ أعجز عن وصفها ، وأدل على جملتها أنه - مع كثرة
عياله واختلال أحواله - طلب سيف الدولة جاريته المغنيّة بعشرين ألف درهم
أحضرها صاحبها ، فامتنع من بيعها ، وأعتقها وتزوج بها ^(١) .

ومما جاء في هذه اليوميات قوله :

« توفرتُ على عشرة فضلاء البلد ، فأول من كرثني ^(٢) أولادُ المنجم
لفضل أبي الحسن علي بن هارون وغزارته ، واستكشاري من روايته وطيب
مخامه ولذيد عشرته ، فسمعت منه أخباراً عجيبية وحكايات غريبة ؛ ومن ستارته
أصواتاً نادرة مشنفة مقرطقة يقول في كل منها : الشعر لفلان والصنعة لفلان ؛
أخذته هذه عن فلان أو فلانة حتى يتصل النسب بإسحاق أو غيره من أبناء
جنسه ، وكان أكثر ما يُعجب به مولاهما أبيات له أولها :

ضلّ الفراق ولا اهتدى ونأت فلا دنت النوى

وهوى فلا وجد القرا رَ معنّفٌ أهل الهوى

فاتفق أن سألت أول ما سمعت اللحن فيه عن قائله ، فغضب واستشاط ،
وتنكر واستوفز ، ونفرو وتنمّر ، وقال : تقول لمن هذا ؟ أما يدل على
قائله ؟ أما يعرب عن جوهره ؟ أما ترى أثر بني المنجم على صفحته ؟ ^(٣) .

(١) يتيمة الدهر : ١٠١/٣ - ١٠٢ ، ومعجم الادباء : ١١٣/١٥ - ١١٤ .

(٢) كارثني : اشتد على وعارضني .

(٣) معجم الادباء : ١١٦/١٥ - ١١٧ .

وهي - حسبما يظهر مما نقل عنها - مجموعة جمع فيها الصاحب ما يستحسنه من الشعر الجيد الذي يسمعه أو يقف عليه في كتب الأدب ، وكان الصاحب حريصاً عليها أشد الحرص ، بخيلاً بها كل البخل ، وأظن ان هذا الحرص والبخل ناشئ من اعتزازه بها ومعرفته بقيمتها الأدبية الكبيرة .

لم يذكرها أحد غير الثعالبي ، فقد نقل عنها بعض الأبيات الشعرية مع الإشارة الى مصدر نقله ، وكان ذلك في ثلاثة مواضع :

١ - قال في ترجمة أبي الضياء الحمصي :

« حدثني أبو عبدالله الحامدي قال : أنشدني أبو محمد الخازن قال : من الفوائد التي سرقها من سفينة الصاحب التي كان لا يمكن منها أحداً قول أبي الضياء في بعض الرؤساء :

وما خلقت كفك إلا لأربعٍ وما في عباد الله مثلك ثاي
لتجريد هندي وإسداء نائلٍ وتقييل أفواه وأخذ عنانٍ » (١)

٢ - وقال في ترجمة أبي محمد البوصري آبادي :

« قرأت شعره في سفينة لأبي عبدالله الحامدي ذكر فيها انه استملاه من أبي محمد الخازن وانه سُرق من سفينة الصاحب بخطه » (٢) .

٣ - وقال في ترجمة أبي الثريا الشمشاطي :

« حدثني الحامدي : ان من الأبيات التي علقها الصاحب في سفينته قول أبي الثريا من مقطعة في مخطّط :

كانه البدر في لآلاء غرّته قد زار جبريل في عيدٍ فغلّفه » (٣)

(١) تتمة اليتيمة : ٢٧/١

(٢) نفس المصدر : ٤٢/١

(٣) نفس المصدر : ٧٠/١

لم يذكره من المتقدمين غير ياقوت الحموي ^(١) ، ولكن ورد ذكره في كتب المتأخرين في عدة مواضع ، ويقول الشيخ الطهراني : انه عثر على قطعة منه في ذيل نسخة من كتاب « التذكرة » كتبت في عام (١٠٥٥ هـ) بخط الشيخ شرف الدين المازندراني ^(٢) ، ونقل الأميني في كتابه فصلاً من نهج السبيل في تفضيل علي (ع) ؛ من دون أن يشير الى مصدر نقله ، وأظنه منقولاً عن النسخة التي أشار اليها الطهراني فيما سبق ذكره .

يقول ناسخ التذكرة :

« ذكر صاحب رحمه الله في آخر كتاب نهج السبيل : ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام أفضل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله ، واستدل عليه بأن الأفضلية تستحق بالسابقة والعلم والجهاد والزهد فوق جميعهم ، فلا شك انه متقدمهم وغير متأخر عنهم ، وقد سبقهم بمنازلة الأقران وقتل صناديد الكفار وأعلام الضلالة ، وهو الذي آخى النبي صلى الله عليه وآله بينه وبينه حين آخى بين أبي بكر وعمر ، ورضيه كفواً لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، ودعا الله أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه ، وأخبرنا انه منه بمنزلة هارون من موسى لفضل فيه ، وقال عليه السلام : اللهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطائر ، ولا يكون أحبهم الى الله إلا أفضلهم ، وقال : أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، وقال : أنا ما سألت الله شيئاً إلا سألت لعلي مثله حتى سألت له النبوة فقبل : لا ينبغي لأحد من بعدك ، ولم يكن

(١) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .

(٢) الذريعة : ٢٢/٤ .

يسألها إلا لفضله ، ولهذا استثنى النبوة في حديث : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، فصبر على المحن ، وثبت على الشدائد ، ولم تزده^(١) أيام توليته إلا خشونة في الدين ، وأكلاً^(٢) للجشب ، ولبساً للخشن ، يستقون من علمه ؛ وما يُستقى^(٣) إلا ممن هو أعلم ، خير الأولين وخير الآخرين ، عهد إليه في الناكثين والقاسطين والمارقين ، وقتل^(٤) بين يديه عمار بن ياسر المشهود له بالجنة لبصيرته في أمره ، وشبهه رسول الله بعيسى بن مريم كما شبهه بهارون ؛ لا يضرب^(٥) الأمثال إلا بالأنبياء ، وتصدق بخاتمته في ركوعه حتى أنزل فيه : ﴿ انما وإيكم الله ورسوله - الآية - ﴾ ، وآثر المسكين واليتيم والأسير على نفسه حتى انزل فيه : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ .. الخ ،^(٦) .

-
- (١) في الغدير : ترده .
(٢) في الغدير : أكله
(٣) في الغدير : يستقى . بالبناء للمعلوم .
(٤) في الغدير : وقيل .
(٥) في الغدير : لا تضرب ، مع أن ضمير الفاعل راجع الى رسول الله (ص) .
(٦) الغدير : ٥٨/٤ - ٥٩ .

ج - مؤلفات الصاحب المفقوده

١٩ - أُنْبَارُ أَبِي الْعَيْنَاء :

ذكره ياقوت^(١) ، ولم يتعرض له غيره .

٢٠ - أسماء الله وصفاته :

سمّاه بهذا الاسم كل من ابن خلكان^(٢) وحاجي خليفة^(٣) والخوانساري^(٤) والصدر^(٥) ، وأسماء ابن النديم^(٦) وياقوت^(٧) : « مختصر أسماء الله وصفاته » .

٢١ - الأعيان وفضائل النبوة :

هكذا أسماء ابن النديم^(٨) وبعض المتأخرين عنه^(٩) ، وورد باسم

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | معجم الادباء : ٢٦٠/٦ . |
| (٢) | وفيات الاعيان : ٢٠٨/١ . |
| (٣) | كشف الظنون : ١٣٩١/٢ . |
| (٤) | روضات الجنات : ١٠٦ . |
| (٥) | تأسيس الشيعة : ١٦١ . |
| (٦) | الفهرست : ١٩٤ . |
| (٧) | معجم الادباء : ٢٦٠/٦ . |
| (٨) | الفهرست : ١٩٤ . |
| (٩) | معجم الادباء : ٢٦٠/٦ ، ووفيات الاعيان : ٢٠٨/١ ، وشذرات الذهب : ١١٥/٣ . |

« الأعياد » في كتب آخرين^(١) ، وذكر حاجي خليفة « الأعياد » اسماً لكتاب آخر^(٢) .

٢٢ — الامامة :

يقول ابن النديم :

« كتاب الامامة يذكر فيه تفضيل علي بن أبي طالب وتثبيت إمامة مَنْ تقدمه »^(٣) ، وعلى هذا النحو ذكره كثير من المؤرخين^(٤) .

ويقول ابن العماد :

« كتاب الامامة يذكر فيه فضائل علي رضي الله عنه وتثبيت إمامته على من تقدمه لأنه كان شيعياً »^(٥) .

وذكر ياقوت للصاحب كتاباً في تفضيل علي بن أبي طالب وتصحيح إمامة من تقدمه^(٦) ولم يسمّه ، وأظن انه يقصد هذا الكتاب .

٢٣ — تاريخ الملك واهتمامه بالدول :

لم يذكره من المؤرخين غير ياقوت الرومي^(٧) .

-
- (١) معاهد التنصيص : ١٥٧/٢ ، وتأسيس الشيعة : ١٦١ .
 - (٢) كشف الظنون : ١٣٩٤/٢ و ١٢٧٨/٢ .
 - (٣) الفهرست : ١٩٤ .
 - (٤) وفيات الاعيان : ٢٠٨/١ ، وتاريخ ابى الفداء : ١٣٠/٢ ، ومعاهد التنصيص : ١٥٧/٢ ، وكشف الظنون : ١٣٩٨/٢ .
 - (٥) شذرات الذهب : ١١٥/٣ .
 - (٦) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .
 - (٧) نفس المصدر .

٢٤ - التعليق :

ذكره ابن شهر آشوب^(١) ، ولم أعتز على ذكر له عند غيره .

٢٥ - جوهرة الجوهرة :

هكذا أمماها لفيف من المؤرخين القدامى والمتأخرين^(٢) ، وأمماها حاجبي خليفة باسم « الجوهرة »^(٣) تارة وباسم « جواهر الجوهرة »^(٤) تارة أخرى ، وأخبر الطهراني عن وجود نسخة من هذا الكتاب في المكتبة الكاظمية^(٥) ، ولكن لم يتسن لي الاطلاع عليها ، بل اعلمها بحكم المفقود .

٢٦ - الحجر :

قال ابن فارس النحوي :

« أخبرني علي بن أحمد بن الصباح قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه : ان الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العملي ففسره ، فقال : يا أصمعي إن الغريب عندك لغير غريب ، فقال : يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين امماً ، وهذا كما قال

(١) معالم العلماء : ٨ .

(٢) نزهة الالباء : ٣٩٩ ، ومعجم الادباء : ٢٦٠/٦ ، وانباء الرواة :

٢٠٣/١ ، وبغية الوعاة : ١٩٧ ، وتأسيس الشيعة : ١٦١ .

(٣) كشف الظنون : ٦٠٦/١ .

(٤) نفس المصدر : ٦١٩/١ .

(٥) الذريعة : ٢٩٢/٥ .

الأصمعي ، ولكافي الكفاة - أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد^(١) .

٢٧ - الزبيريّة :

ذكره ابن النديم^(٢) وياقوت^(٣) .

٢٨ - السّواهر :

تفرّد ابن شهر آشوب^(٤) بين القدامى بذكره .

٢٩ - الفصول المهرزيّة للعقول :

٣٠ - القضاء والقرر :

ذكرها الشيخ الأميني في كتابه^(٥) ، ولم أجد ذكرألهما في بحوث القدماء .

٣١ - الوزراء :

ذكره بعض المؤرخين بهذا الاسم^(٦) ، وأسماء أبو الفدا : « كتاب الوزارة »^(٧) ، ووصفه ياقوت بأنه « لطيف »^(٨) ، وذكره حاجي خليفة

-
- (١) الصاحبى : ١٥-١٦ .
 - (٢) الفهرست : ١٩٤ .
 - (٣) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .
 - (٤) معالم العلماء : ٨ .
 - (٥) الغدير : ٤١-٤٢ ، وورد ذكر ثانيهما في روضات الجنات : ١٠٧ .
 - (٦) الفهرست : ١٩٤ ، ووفيات الاعيان : ٢٠٨/١ .
 - (٧) تاريخ ابى الفداء : ١٣٠/٢ .
 - (٨) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .

بهذا الاسم وقال : بأن الشيخ تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي البغدادي
قد ذُيِّلَه في مجلد واحد^(١) ، وذكره في مقام آخر باسم « أخبار الوزراء »^(٢).

٣٢ — الوقف والابتداء :

ذكره القفطي^(٣) والأنباري ، وقال الأنباري عند ذكره لهذا الكتاب :
« يُحكى عنه انه لما صنَّف كتاب الوقف والابتداء كان ذلك في عنفوان شبابه ،
فأرسل اليه أبو بكر بن الأنباري وقال له : إنما صنفتُ كتاب الوقف والابتداء
بعد أن نظرتُ في سبعين كتاباً تتعلق بهذا العلم ، فكيف صنفتَ هذا
الكتاب مع حداثة سنِّك ؟ فقال صاحب الرسول : قل للشيخ : نظرتُ
في النيف وسبعين التي نظرتُ فيها ونظرتُ في كتابك أيضاً »^(٤).

(١) كشف الظنون : ١٤٦٩/٢ .

(٢) نفس المصدر : ٣٠/١ .

(٣) انباه الرواة : ٢٠٣/١ .

(٤) نزهة الالباء : ٤٠٠-٣٩٩ .

كتب اخرى

١ - الزبيرين :

ذكره ياقوت الحموي ^(١) ، وأظنه تصحيحاً لكتاب « الزيدية » المار
الذكر ، فظنها ياقوت كتابين مستقلين .

٢ - الطافي في الترميل :

ذكره عبدالرحيم العباسي بهذا النص ^(٢) ، وورد ذكره في مصادر اخرى
باسم : « الكافي في الرسائل » ^(٣) أو « كافي الرسائل » ^(٤) أو « الكافي -
رسائل » ^(٥) مما يظهر انه جامع لرسائل صاحب أو بعض منتخبات منها ،
فلا يصح - مع هذا - أن نفرد له رقماً في أعداد مؤلفات صاحب - كما فعل
بعض المتأخرين - .

٣ - المفصور والمروور :

ذكر بروكلمان انه للصاحب بن عباد وانه نشر بعناية المستشرق برونله

(١) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .

(٢) معاهد التنصيص : ١٥٧/٢ .

(٣) الفهرست : ١٩٤ ، ووفيات الاعيان : ٢٠٨/١ ، وتاريخ ابي الفداء :

١٣٠/٢ ، وشذرات الذهب : ١١٤/٣ .

(٤) كشف الظنون : ١٣٧٦/٢ .

(٥) معجم الادباء : ٢٦٠/٦ .

في عام (١٩٠٠ م) ^(١) ، وتابعه على قوله هذا الدكتوران عبدالوهاب عزام وشوقي ضيف ^(٢) ، والصحيح انه لابن ولأد كما سجل على غلافه من دون أي شك في ذلك أوريب .

٤ — ينقض العروض :

ذكره يافوت ^(٣) في مؤلفات الصاحب ، وتبعه بعض المتأخرين على ذلك ، ولا أجد معنىً مناسباً لهذه التسمية ، وكيف ينقض الصاحب العروض وهو من علماء هذا الفن والمؤلفين فيه ؟

-
- (١) تاريخ الادب العربي : ١/١٣٦ .
(٢) رسائل الصاحب بن عباد - المقدمة : ك .
(٣) معجم الادباء : ٦/٢٦٠ .

القسم الرابع

کتاب الامتعا

حديثُ المراجع الأدبية والتاريخية عن أدب ابن عباد حديثٌ متعدد الجوانب مترامي الأطراف ، وبحثها في ذلك الأدب وخصائصه من قدح فيه الى مدح له الى إعجاب به الى مبالغة في شأنه بحثٌ كبير منطوق على شيء كثير من الاطناب والتفصيل .

ولا عجب من ذلك ، فقد اتيح لابن عباد من الحظ والشهرة ما لم يُتَسَحَّ لأكثر العلماء والادباء من معاصريه ، فكان له من ماله ونفوذه ، وقوته وجاهه ، وغناه وسلطانه ، وغروره وعجبه بنفسه ، ما يحمل الناس ويحثهم على ذكره والتحدث عنه والاهج بأخباره وآثاره ، بين مدح وقدح وثناء وذم وإكبار وثلب ، تبعاً لظرف كل واحد من اولئك المتحدثين ومقدار نجاحه أو خيبته في اجتذاب هذا الرجل الكبير ، والتمتع بما آتاه الله من أسباب الغنى والجاه .

رأى الادباء القرامى فى أدب الصاحب :

وقد اوتي الصاحب من الحظ ما حمل أكثر معاصريه الادباء على التحدث عنه والاعتراف بأدبه وبراعته فيه ، وطول باعه في فنون النثر والشعر ، على اختلاف في نوعيّة الاعتراف من الصراحة أو التضمين .

فالشعالي يرى ان الصاحب قد « بلغ من البلاغة ما يعدّ في الشعر ، ويكاد

يدخل في حد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتي الشرق والغرب » (١) .

وابن النديم يذهب الى أن الصاحب « أوحّد زمانه وفريد عصره في البلاغة والفصاحة والشعر » (٢) .

وأبو حيان التوحيدي - عدو الصاحب - يصرّح بأنه « كثير المحفوظ ، حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافاً ، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابته مهجّنة بطرائقهم ، ومناظرته مشوبة بعبارة الكتاب ويقول الشعر ، وليس بذلك ، وفي بديهته غزارة ، وأمارويته فخوّارة » (٣) .

والوزير ابن سعدان يسأل أبا حيان عن بلاغة الصاحب وعن تحديد نسبتها لبلاغة ابن العميد فيجيبه بأنه قد سأل جماعة من الأدباء عن هذا الأمر فأجابوه بأجوبة مختلفة (٤) تدور كلها على الشتم والسباب الرخيص ، وسواء أكان أبو حيان صادقاً أو واضعاً لما نقل من آراء ، فإنها لتدل بمجموعها على ضخامة السمعة الأدبية التي كان يتمتع بها الصاحب في ذلك العصر .

وسار الأدباء والمؤرخون - فيما تلا القرن الرابع من قرون - على هذا النحو من الرأي في أدب ابن عباد ، فأثنى عليه من أثنى ، ونقل شتم أبي حيان من نقل ، من دون أن نجد جدة في الرأي وطرافة في البحث وحرية في المناقشة ، حتى انتهى بنا المطاف الى هذا العصر عصر الدراسات المنهجية والبحوث الموضوعية

-
- (١) يتيمة الدهر : ١٦٩/٣ .
(٢) الفهرست : ١٩٤ .
(٣) الامتاع والمؤانسة : ٥٤/١ - ٥٥ .
(٤) نفس المصدر : ٦١/١ - ٦٦ .

رأى الأدباء المخربين :

وجاء الدارسون المحدثون فأدلوأ بدلوهم مع الدلاء ، واستخرجوا ما استطاعوا أن يستخرجوا من رأي طريف وفكرة جديدة في أدب ابن عباد .
فالاسكندر ي « يعد ابن عباد ثاني ابن العميد في حليته ، وأبلغ من سلك طريقته ، غير انه اوقع بالسجع والجناس » (١) .

والزيات يرى ان الصاحب قد سار على نهج ابن العميد « وأربى عليه في الحلية اللفظية ، ولا سيما في السجع والجناس ومنزلته بعد البديع وقبل الحوارزمي ، وله ذوق سليم في صوغ الشعر ، ونظر صادق في نقده » (٢) .
ويقول الدكتور أحمد أمين - في أثناء حديثه عن القرن الرابع - :

« أدب هذا العصر تقدم خطوات في السجع والمحسنات اللفظية ، والمبالغة البلاغية ، فالصابي وابن عباد أفرطوا في السجع وكادا يلتزمانه ، وغيرها يسجع وإن كان لا يلتزم ، هذا الى الامعان في الاستعارات والمجازات والتشبيهات ، وتفننوا في تزيين الكتابة تفنن أصحاب الطُرف فيما يصنعون من حلي وأدوات زينة » (٣) .

وحين يتحدث الدكتور زكي مبارك عن ابن عباد يصرح بأن « أشعاره ورسائله تدل على أنه كان اعجوبة من أعاجيب زمانه ، وانه كان من أوفى الناس حظاً في دقة الفهم ، وبراعة القول ، وسعة الاطلاع » (٤) .

(١) الوسيط : ٢١٢ .

(٢) تاريخ الادب العربي : ٢٣١ .

(٣) ظهر الاسلام : ١٣٣/١ .

(٤) النشر الفني : ٢٤٤/٢ .

والدكتور شوقي ضيف يذهب الى ان ابن عباد « كان أحد أساتذة البلاغة في عصره ، وقد بلغ بمذهب التصنيع مبلغاً عظيماً من الزخرف والتنميق وما يتصل بذلك من الزر كشة والتطريز » (١) .

وفي مقدمة رسائل ابن عباد يقول الدكتور عبد الوهاب عزام وصاحبه :
« إن صاحب عُني في رسائله بالسجع فلا ينفك عنه إلا نادراً ، كما عُني بطول الجمل وتحليلتها بالبديع ، وخاصة الجناسات والاقتباسات والتشبيهات والاستعارات ، وإن من يقرن رسائله الى رسائل القاضي الفاضل وحليته من كتاب العصور التالية ، يدرك ان هؤلاء الكتاب انما استندوا في رسوم كتاباتهم بالسنن التي نراها هنا عند صاحب ، ونقصد سنن تطويل العبارات وما يطوى فيها من سجع وبديع ، وهي سنن اقتفى صاحب فيها استاذه ابن العميد ، ومن المعروف ان ابن العميد تناول الكتابة ممن سبقوه وهي مليئة بالسجع . . . ولم يكتف ابن العميد بالسجع فقد أضاف اليه البديع ، وكان يشغف بالطباق ، ثم جاء صاحب من بعده فارتفع بالكتابة الديوانية الى الصورة التي وصفناها ، وهي صورة تستمد خطوطها وألوانها من السجع والتشبيهات والاستعارات والجناسات والاقتباسات وكل ما يمكن أن يعد حلية بيانية » (٢) .

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي : ١٤٨ .

(٢) رسائل صاحب - المقدمة : ت .

الأدب في القرن الرابع^(١) :

وإذا رجعنا الى الخصائص الأدبية لهذا القرن لنعرف مقدار تأثيرها في تفكير ابن عباد ومقدار تأثير صاحب بها نجد ان النثر والشعر قد خضعا - كما هو طبيعي لهما - لسنن الحضارة والترف والاختلاط باللام الاخرى غير العربية وبنلسفاتها وآرائها وآدابها ، فكان لهما من مجموع هذه السنن مذهب خاص طبع هذا القرن بطابعه ، هو نتيجة تطور القرون بما حملت من عناصر التجديد والتحضر والتدرج المطرد .

وكان القرن الرابع - بما زخر به من آثار الترف والرفاه وضروب الزر كشة والزخرفة والتلوين - ذا أثر كبير على الأدب بكلا فرعيه ، حيث نقله من جوّه الفطري الهادئ ، واطاره القائم على الاهتمام بالروح والمعنى والخيال الواضح الأداء ، الى عالم الزخرفة والتصنيع والاهتمام بالتزيق والمظاهر اللفظية .

فكان للنثر - أكثر النثر - هذا الذي نحسه ونراه من التزام بالسجع في جميع الرسائل والمكتابات ، وتأنق في كتابة الاخوانيات والفكاهات وصور الحياة العامة ، وإمعان في المبالغة ، وإكثار من التشبيه والاستعارة ، الى ما شاكل

(١) ليس المقصود من هذا العنوان هو البحث المستوعب في الادب ومذاهبه وخصائصه في القرن الرابع ، فان ذلك مما تضيق به المجلدات فضلا عن الصفحات المحدودات ، ولكن الغرض منه هو الاشارة - بايجاز - الى أهم الملامح والخطوط التي تجلت في أدب هذا القرن نشرا وشعرا ، فطبعته بطابعها ووسمته بميسمها ، وعلى القارئ الراغب في الاطلاع على تفصيل ذلك أن يرجع الى الكتب المؤلفة في هذا الموضوع ، وفي طليعتها : ظهر الاسلام للدكتور أحمد أمين ، والنثر الفني للدكتور زكي مبارك ، والفن ومذاهبه في النثر العربي ، والفن ومذاهبه في الشعر العربي ، وكلاهما للدكتور شوقي ضيف .

ذلك من شؤون وخصائص لم يكن يعرفها النثر فيما سبق من عصوره ، أو لم يكن يعرفها على هذا النحو من الالتزام والشيوع والانتشار .

وكان للشعر - أكثر الشعر - هذا الذي نلمسه ونشاهده من اهتمام بالتصنيع والجناس الشكلي والتلوين البديعي والزخرفة اللفظية ، وصراحة في الكدنية والتسؤل ، وتكشف في المجون والخلاعة ، وتغزل مفضوح بالجواري والقيان والغلمان ، ووصف لمظاهر الترف والنعيم ، الى ما شابه ذلك من نواح لم يتطرق لها الشعر في عهوده السالفة ، أو لم يتظاهر بها أكثر الشعراء - وإن نظموا فيها - ، أو لم يكن يعرفها ادباء القريض القدامى .

وهكذا أصبحنا « نرى كثيراً من الأدب في هذا العصر شكلاً ناقصه الروح ، كما كانت الحياة الاجتماعية المترفة شكلاً بلا روح » (١) .

* * *

وكان لكل هذه الخصائص الأدبية - التي مرّ ذكرها بإيجاز - أثرها الكبير الواضح على نثر ابن عباد وشعره ، وكان لمذهب التصنيع الأدبي صده المدوي في نفسه ، وانعكاساته البارزة في أدبه ، وتأثيره البليغ على كل ما خطه قلمه من مكاتبات ورسائل وقصائد ومقطعات ، حتى عدّه مؤرخو الأدب من أساتذة هذا المذهب في ذلك القرن .

وليس ذلك بمستغرب من صاحب بعد معرفة تلمذته على ابن العميد في الأدب والكتابة والترسل . وابن العميد - كما روت المصادر - من مؤسسي فن التصنيع ومنظميه ، بل ممن طوّر هذا الفن وأضاف اليه وأزاد عليه ، فتلقى ابن عباد من استاذة هذا الأسلوب الخاص في الكتابة وهذا المذهب المعين من المذاهب الأدبية ، فنال فيه رتبة (الاستاذية) بعد حين .

(١) ظهر الاسلام : ١٣٤/١ .

ومن أبرز ما يلاحظ في نثر ابن عباد هذا الالتزام بالسجع وهذا الاهتمام بأمره ، وعجبت كتب الأدب القديمة والحديثة بذكر ذلك حتى جعلته من أجلى خصائص نثر ابن عباد وأوضح ملامحه ، وحتى نسبت إليه ما نسبت من تصرفات حمقاء وحركات رعناء دفعه إليها كلفه بالسجع وحببه له ، كما توضحه الوقائع التالية :

١ — « قال أبو حيان : كان ابن عباد يأتي بالسجع في اثر كلامه ، مع روية طويلة وأنفاس مديدة ، وحشجة صدر ، وانتفاخ منخريه ، والنواء شديقه ، وتعويج عنقه » (١) .

٢ — وقال ايضاً : « مما يدل على ولوع ابن عباد بالسجع ومجاورته الحد فيه بالافراط قوله يوماً : حدثني أن ناش وكان من سادة الناش ، جعل السين شيناً ، ومر في هذا الحديث ، وقال : هذه لغة » (٢) .

٣ — ومما رواه أبو حيان أيضاً عن الصاحب : « قال ابن عباد لشيخ من خراسان في شيء جرى : والله لولا شيء لقطعتك تقطيعاً ، وبضعتك تبضيعاً ، ووزعتك توزيعاً ، ومنعتك تمزيعاً ، وجزعتك تجزيعاً ، وأدخلتك في خزائنك — ثم وقف ساعة ثم قال : — جميعاً » (٣) .

٤ — وقال أبو حيان في حديثه عن ابن عباد : « كان كلفه بالسجع في الكلام والقول عند الجد والهزل يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه

(١) معجم الادباء : ٢٦٤/٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢١٣/٦ .

(٣) نفس المصدر : ٢١٣/٦ .

البلاد . قلت لابن المسيبي : أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع ؟ قال : يبلغ به ذلك لو أنه رأى سجمة ينحل بموقعها عروة الملك ، ويضطرب بها جبل الدولة ، ويحتاج من أجلها الى غرم ثقيل ، وكلفة صعبة ، وتجشّم امور ، وركوب أهوال ، لما كان يخف عليه أن يفرج عنها ويخلصها ، بل يأتي بها ويستعملها ، ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها » (١) .

٥ — « كان ذو الكفائتين ابن العميد يقول : خرج ابن عباد من عندنا من الري متوجهاً الى اصفهان ، ومنزله ورامين وهي قرية كالمدينة ، فجاوزها الى قرية غامرة وماء ملح ، لا شيء إلا ليكتب اليها : كتابي هذا من النوبهار ، يوم السبت نصف النهار » (٢) .

٦ — « لقاضي قم قال الصاحب بن عباد : أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم ، فكان القاضي يقول اذا سئل عن سبب عزله : أنا معزول السجع من غير جرم ولا سبب » (٣) .

ولدى التحقيق في سند رواية هذه القصص نجد أن أكثرها مرروي عن أبي حيان التوحيدي بالنص على اسمه ، والباقي منها منقول عنه أيضاً — فيما أظن — وإن لم يصرح بذلك .

وقد سبق لي القول مراراً في تضايف هذا الكتاب بأن أحاديث أبي حيان ومروياته لا يمكن أن تعتبر مصدراً موثقاً معتمداً عليه ما لم تشفع بروايات غيره من معاصري الصاحب الثقات .

واني لأعجب — أشد العجب — من بعض الباحثين المتأخرين إذ جعلوا

(١) معجم الادباء : ٢٠٧/٦ - ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢٢٠/٦ - ٢٢١ .

(٣) معجم البلدان : ١٦١/٧ .

من هذه الروايات المشكوكة مصدراً للبحث وأساساً للرأي من دون مناقشة لها أو وقوفٍ منها موقف التشكيك والتأمل ، فلم يتورع الدكتور أحمد أمين من أن يعتمد على هذه الروايات فيقول في أثناء الحديث عن كتاب القرن الرابع : « وزاد الطين بلة صاحب بن عباد المعاصر لهم فقد كان يعزل الوالي أو يواليه ليحصل من ذلك على سجعة » (١) .

ومهما يكن من أمر ، فالذي لا شك فيه ان صاحب من محبي السجع وعشاقه ، ولكنه لم يصل في حبه وعشقه له الى تلك الدرجة التي زعمها أبو حيان ، وحسبنا من رسائله وكتبه أوضح شاهد على ذلك ، إذ نجده - في كثير من الأحيان - تاركاً للسجع مستعملاً الازدواج والجناس البديعي ، كما نجده في كثير من الأحيان أيضاً سجعاً مقبول السجع جميل التعبير لا يظهر عليه أدنى تكلف أو تعقيد فيه ، في الوقت الذي نجده في بعض تعابيرها ذا سجع متكلف ظاهر النبوءة والثقل ، ولكن هذا النحو من سجعه قليل جداً ، ولا يجوز أن يؤخذ منه الحكم على سائر نتاج هذا الرجل الأديب .

وأورد فيما يلي - من دون انتقاء واختيار - بعض كلمات صاحب وجمله وأقواله الحافلة بالسجع والازدواج ، لتكون نموذجاً لاسلوب صاحب وأدبه : « حضرة هي الغاية القصوى من المجد ، وسدرة المنتهى بين أهل الأرض » . « وصل كتاب مولاي فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح ، وواسطته أنفس من واسطة العقد ، وخاتمته أشرف من خاتم الملك » .

« سلام كما هب نسيم السحر على صفحات الزهر ، ولذ طعم الكرى بعد برح السهر » .

(١) ظهر الاسلام : ٩٨/٢ .

« بعض الوعد كلع السراب ، وبعضه كمنقع التراب .
 « سحائب الصيف أثبت من قولك ، والخط في الماء أقوى من عهدك » .
 « كلام كصوب الغمام ، وسجع كسجع الحمام » .
 « الحجييج وفد الله ، وهم له متاجرون ، وفي طلب ثوابه مسافرون ،
 وإلى بيته الحرام سائرون ، ولقبر نبيه صلى الله عليه وسلم زائرون » .
 « فلان كريم مل لباسه ، موفق مد أنفاسه ، ذو جد كعلو الجد ،
 وهزل كحديقة الورد ، وعشرته أطف من نسيم الشمال ، على أديم الماء الزلال ،
 وألصق بالقلب ، من علائق الحب » (١) .

ومن نماذج رسائله المطولة قوله في رسالة له بمناسبة فتح جرجان :
 « كتابنا من المعسكر المنصور بظاهر جرجان ، على سمت خراسان ،
 يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي القعدة ، وقد أنزل الله النصر أعم إنزال ،
 فكشفنا لنا كئين كشف الاستئصال ، وسرنا اليهم يومنا هذا هاجمين على
 معسكرهم مستنصرين بنصر الله ، مستظهرين بعون الله ، معولين على ما عود الله
 مولانا الملك السيد المنصور عضد الدولة ، وتاج الملة ، وعودنا من الإظهار
 والإظهار ، فحككم أولياء الحق في أشياع الباطل سيوف الانتقام ، وجزروهم
 جزر الأنعام ، فولى المفلول تاش والمنقوص فائق والعاق علي والمنحوس
 قابوس وقد كملوا طبائع الخذلان ، وأتاهم بأمر الله من كل مكان ، نا كصين
 على الأعقاب ، راجمين على الادراج ، وغنم أنصارنا كراهم وأموالهم ،
 وأساحتهم وخيامهم ، وهام من نجا من استباحام الحديد عارياً ، لا يلوي أول
 على آخر .

(١) نقلنا هذه الفقرات من : يتيمة الدهر ، وثمار القلوب .

وقد سرّينا في طلبهم الأتراك ركضاً ، والأعراب حشّاً ، والأكراد
حَضّاً ، وأمرناهم بأن لا يُكذّبوا عن نيسابور بإذن الله ، وسيستأمر من
أخطاه السيف بمشيئة الله ، إن الله متبع الخاسرين الغادرين ذلاً بعد ذل ،
ووهناً بعد وهن ، فالحمد لله الذي منح وأنجح ، ومنّ وأحسن ، ويسّر
ونصر ، حمداً يحرس الدولة ، ويحفظ الدعوة ، ويوزعنا شكر ما ذلّل لنا من
هذا الخطب الذي أعيا القرون ، وأعجز القروم ، (١) .

ومن جملة نماذج نثر الصاحب ما ورد في بعض رسائله وكلماته من فقر
تشبه الشعر روعة وجمالاً ، وتبهج النفس بنغمها وصفائها وعذوبة ايقاعها ، كما
تجده في الجمل التالية :

« أَلْفَاظُ كَمَا نَوْرُ الْأَشْجَارِ ، وَمَعَانٍ كَمَا تَنْفَسُ الْأَسْحَارُ . »

« نَثْرٌ كَمَا تَفْتَحُ الزَّهْرُ عَنْ كَيْمِهِ ، وَنَظْمٌ كَمَا تَنْفَسُ السَّحَرُ عَنْ نَسِيمِهِ ،
وَتَبَسُّمٌ الدَّرُّ عَنْ نَظِيمِهِ . »

« نَثْرٌ كَنَثْرِ الْوَرْدِ ، وَنَظْمٌ كَنَظْمِ الْعَقْدِ . »

« يَهْدِي إِلَيْكَ سَلَاماً كَرَقَةَ خَدِهِ ، وَنَسِيمَ عَرْفِهِ ، وَغَزَاةَ دَمْعِكَ
مِنْ بَعْدِهِ . »

« أَنَا عَلَى طَرَفِ بَسْتَانٍ أَذْكَرُنِي وَرَدَّهُ الْمُتَفَتِّحُ بِخَلْقِكَ ، وَجَدُولُهُ السَّابِجُ
بَطْبَعِكَ ، وَزَهْرُهُ الْجَنِيُّ بِقَرْبِكَ . »

« كَتَبْتُ هَذَا وَقَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ ، وَسَحَبَ الظَّلَامُ ذِيُولَهُ . »

ثم ننتقل الى نماذج أخرى من نثر الصاحب حاول فيها إخضاع المطالب
العلمية والمواضيع الجافة للتعبير الأدبي الجميل ، حيث كتب في الطب والخراج

(١) رسائل الصاحب : ٣٣ .

والري والزراعة والحسبة وما شاكل ذلك ، فيقول في رسالته الطبية المرسلة الى
أبي العباس المضي :

« الأقرص في أواخر الحيات خير ما نُقيست به الكبد ، وأصلحت به
العروق ، وقوي به الطحال ، . . . وإنما اغترّ مولاي بأيام السلامة ، فكان
ينبسط بأنواع الطعام ، ويسرف في تناول الشراب ، فامتلاء الجسم من تلك
الكيموسات الردية ، وورد بلباً شديداً التحليل ، مضطرب الأهوية ، فوجدت
النفس عوناً على حلّ ما انعقد ، ونقض ما اجتمع ، وسيتفضل الله بالسلامة
فتطول صحبتها ، وتتصل مدتها ، لأن الجسد يخلص خلاص الأبريز اذا زال
عنه الخبث ، وسبك ففارقه الدرن » (١) .

ويقول في عهد حسبة :

« واهتمّ بأمر المعايير والمكاييل ، والقسطاسات والموازين ، اهتماماً
يقضيه افتقارُ المعاملات أجمع اليها ، ورجوع المبايعات عليها ، فقد عظم الله
تعالى في نص المصحف ، وزرّ الباخس وإثم المطفّف . . . وأجرى الرعية ،
على طريقة سوية ، في المنع عن المجاهرة بما يُحظر ، والمبادرة بما يُنكر ، غير
مفرق بين أبناء الثروة واليسار ، وإخوان الخلة والإعسار ، فالجماعة عبيد الله ،
لا تختلف فيهم حدود الله ، بل الأغنياء - إلا من عصم الله - أجرة على
المنالكير ، وأقدر على بلوغ الذات بالتبذير . . . وألزم النساء اذا تخللن الأسواق
والمحال ، وداخلن الشوارع وقابلن الرجال ، أن يضربن بخمرهن على
جيوبهن ويمددن جلاليتهن على وجوههن ، فذلك أدفع للمحبة الفاسق ونظرتة ،
وأسلم للعبد للصالح وعفته » (٢) .

(١) رسائل الصاحب : ٢٢٩ .

(٢) نفس المصدر : ٤٠-٤١ .

وهكذا يوصلنا التأمل في هذه النماذج الأدبية (الصاحبية) الى نتيجة ثابتة لا تقبل الجدل هي : ان صاحب أديب من الطراز الأول في عصره ، و كاتب من ذوي القابلية الكبرى في هذا الفن ، واستاذ من اساتذة التصنيع المبرزين في القرن الرابع . وان كل ما حاول أبو حيان تلفيقه ووضعه - وهو بصدد شتم صاحب والوقية به - واضح البطلان ظاهر الخطأ مفضوح الغرض والمهدف المقصود منه .

واذا تركنا موضوع سجع صاحب وازدواجه في نثره ، وحاولنا الوقوف على الخصائص الأدبية الاخرى البارزة في كلامه وترسله ، نجد انه يعنى كثيراً بالاقتراس من القرآن الكريم والشعر الجيد والأمثال البليغة ، واستخدام التشبيهات والاستعارات ، واستعمال الأساليب البديعية استعمالاً جميلاً يتكرر في اكثر تعابيرهم .

ثم نجد انه يكثر من حشر الجمل المعترضة والعبارات الفاصلة بين المبتدأ والخبر ، والفعل ومفعوله ، وفعل الشرط وجوابه ، بالشكل الذي لم نعثر على مثله عند كتاب ذلك القرن إلا فيما ندر .

فمن شواهد فصله بين المبتدأ والخبر قوله :

« مواهبُ الله عند مولانا الملك السيد - وإن كانت قائمةً للتعدد ، ضامنةً للزيد ، سابقةً للحصر ، غامرةً للشكر ، متجاوزةً حدود العرف ، ممتعةً على أيدي الإحصاء وألسنة الوصف ، مقبلةً بالفتوح المتوالية ، مشتملةً على الكلم العالية ، ناظمةً أشتات العوائد ، شافعةً غر المآثر بزهر المحامد - يحكم تفضُّل الله فيها باستعلاء نجمه » (١) .

(١) رسائل صاحب : ١٥ .

ومن أمثلة فصله بين الفعل ومفعوله قوله :

« كَمَا أَعْلَمْنَاكَ - عند ذكرنا حال إبراهيم بن المرزبان في انتقاض عزمته ، واستمرار هزيمته ، واستنفاذ الأجل ذمّاه من ظبي السيوف وقد شارفته ، وشبا الختوف وقد شافهته ، وذهابه على وجهه فريداً موحداً ، وطريداً مشرداً ، لا يعلم أين المفر ، وكيف المقر ، قد احتملته رياح الخيفة ، ومنهابة الزانات المطيفة ، واستأمن أتباعه متعرفين الخير في مباحثته ، كما تعرفوا الخسر في مساعدته - أن هسوذان بن محمد قد طالت للدولة العالمية مداجاته » (١) .

ومن نماذج الفصل بين فعل الشرط وجوابه قوله :

« إذا تصفح أهل اصبهان ما فاض عليهم من بركات أيامنا ، وانصب اليهم من ثمرات إنعامنا ، وكثر من خيراتهم في ظل سلطانتنا ، وتوفر من سعاداتهم في كنف إحساننا ، حتى عاد المرمل غنياً مستظهاً ، والمُقنوي موسراً مكثراً ، والمستتر الخفي لشخصه مباهياً بحاله ، والمنقبض المكتم لنفسه مسامياً بحاله ، ومن كانت السلامة معظم مناه ، والأمن غاية ما يسمو إليه مداه ، تشير إليه الأصابع وتنعطف عليه ، وتقيأ أفناء الناس أفنية الخصب والدعة ، بعد البؤس والمتربة ، وتفسحوا في ضروب اللذات ، بعد التشحط في حصول الأقوات ، هذا إلى ما تعمدنا به صنفاً صنفاً من فضل امتدّ بآه ، ونظر اتسعت رباعه ، وتسويغ كبر قدره ، وتخويل فرض شكره - علموا ... » (٢) .

(١) رسائل صاحب : ١٦ .

(٢) نفس المصدر : ١٧٥ .

وإذا انتقلنا الى شعر الصاحب نجد ان مذهب التصنيع والزخرفة اللفظية والأساليب البديعية قد أثّر أثره البارز في شعر ابن عباد ، ونقش ملامحه الواضحة في كل منظومه ، فجاء أكثره ظاهر الصناعة والتكلف والتحمل ، وإن ورد فيه بعض القطع والأبيات التي تعد في الرتبة العليا من الأدب العربي صفاء نغم ، وانتقاء لفظ ، ورقة معنى ، وروعة صياغة .

وكان اهتمام الصاحب بتضمين قصائده بعض القصص والحوادث والروايات والمناقشات ذا تأثير كبير على شعره بوجه عام ، وعلى ما ارتبط منه بالنواحي الدينية والمذهبية التي حاول بحثها وإقامة الأدلة على ما اختار منها نظماً على الأخص ، فجاء شعره المتعلق بهذه الشؤون متارجحاً متنوعاً يسمو مرة ويهبط مرات .

وإذا رجعنا الى ديوانه المخطوط لنقرأ فيه أساليب التصنيع نجد ان الصاحب قد خطا في الزخرفة خطوات كبرى لم يُعرف مثلها ولم يشاهد نظيرها عند غيره من شعراء عصره وادباء عهده ، ولعلّ لثرائه اللغوي يدأ في هذه الزخرفة المعقدة المعتمدة على مجموعة كبرى من الأدوات اللفظية التي لا تقسنى لغير أعلام اللغة ورجالها المتمرسين .

ولنقرأ له هذه النماذج المسجلة في أدناه لنعرف مقدار ما كان له من يد في فن التصنيع والزركشة :

١ - قال من قصيدة في اصول الدين :

قالت : أبا القاسم استخففت بالغزل فقلت : ما ذاك من همي ولا شغلي
قالت : أريد اعتذاراً منك تظهره فقلت : عذراً وما أخشى من العذل

قالت : الحُ على تَكْرِيرِ مسألتِي فقلت : ما أنا عن رأيي بذِي حولِ
قالت : اريدُ رشاداً منك أُنعمه فقلت : سمعاً فإن الرشد من قبلي
ويستمر في القصيدة على هذا النحو من (قالت — قالت) حتى يوصلها في
العدد إلى (٦٠) بيتاً .

٢ - وقال من قصيدة يخاطب بها الامام علياً عليه السلام :
أنت الذي بسيفه ورحمه الدين كملُ
أنت الذي في الوحي تب بين علاه وقد نزلُ
أنت الذي نام على الد فراش في ليل الوجلُ
ويسير على التزامه بابتداء كل بيت بلفظ « أنت الذي » حتى تبلغ
القصيدة (٤٩) بيتاً .

٣ - وقال من اخرى في مدح الامام علي عليه السلام :
ألف : أمير المؤمنين عليُّ باء : به ركن اليقين قويُّ
تاء : توى أعداءه بحسامه ثاء : ثوى حيث السماك مضيُّ
جيم : جرى في خير أسباق العلا حاء : حوى العليا وهو صبيُّ
وهكذا يتسلسل في هذا الاسلوب حتى آخر الحروف الهجائية ، ثم يعلن
اعتزازه وتبجحه بهذا النحو من الصناعة فيقول :

أهدى ابن عباد اليه هذه غراء لم يظن لها شيعيُّ
يرجوها حُسن الشفاعة عنده حَسَنُ الولاء موحدٌ عدليُّ
٤ - ويقول في قصيدة رابعة :

مشيب عراه لو يدوم مشيبُ مشيب به ثوب الرشاد قشيبُ
قشيب ولكن يخلق المرء عنده ويلقى ضروب الانس وهو مريبُ
مريب إذا ما قيل هل تذكر الظبا وعهدي بجنب الجانين يطيبُ

ويستمر على هذا الشـكل من جعل كل قافية كلمة أولى من صدر البيت الذي يليها حتى يبلغ بالأبيات (٣٣) بيتاً .

٥ - واشتد بالصاحب حبه للزخرفة والصنعة فنظم قصيدة كاملة خالية من حرف الألف ، ثم أعجبه هذا الإغراب في النظم فعمل عدة قصائد خلت كل واحدة منها من حرف من حروف الهجاء ما عدا الواو ، حيث عجز عن نظم قصيدة بدونه ^(١) ، ومن حسن الحظ أن يضم ديوان الصاحب قصيدتين من هذه القصائد المتكلفة تعطينا صورة كاملة عن القصائد الأخرى .

فما جاء في قصيدته الخالية من الألف قوله :

من ليس يعدوه فكري	قد ظلُّ بجرح صدري
يزهو به سطر شعرٍ	ظلي بصفحة بدرٍ
وكم يميل لهجرٍ	كم ملت فيه لوصلٍ
فكم يجور وبغري	بغري هموي بقلبي

وقال في ختامها :

قد زف درة بحرٍ	كوفي خذه فطبعي
لغير طبعي وفكري	بدفقة لم تُنشرٍ
يدور في كل ذكرٍ	تمت على حذف حرفٍ
في مد نظمي ونثري	ومعجزتي مستمرٍ
تشبيه شعرٍ بشعري	فلن يـحل لحـرٍ

وجاء في مطلع قصيدته الخالية من السين :

يا واصل مالك لا تعاودُ يا هجر مالك لا تباعدُ

(١) تاريخ آداب العرب : ٣ / ٣٨٣ .

أَبْنِ التَّصَافِحِ والتَّعَا
نَقِ القَلَائِدَ والوَلَائِدَ
إلى أن يقول في آخرها :

يا أَيُّهَا الكُوفِيُّ هـ
أوردتها ترمي النوا
ضعت بهم في عيد أض
وحذفت اخت الشين من
ذي غرّة بين القصائد
صبّ بالصواب والصوارد
حي إنهم نعم شوارد
ها عن طلاب أخ معاند

ومن شعره المتضمن لبعض مباحث اصول الدين قوله :

أَنَا بِذِكْرِ مُحْكَمٍ مِنْ كَلَامِهِ
وَإِنْ قَالَ أَقْوَامٌ : قَدِيمٌ لِأَنَّهُ
كَذَلِكَ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ مَقَالُهَا
فَتَبّاً لَهُمْ إِذْ عَانَدُوا فَتَنَصَّرُوا
وَإِنْ سَفَتُ مَا قَالُوهُ فِي الْجَبْرِ ضَلَّةٌ
يَقُولُونَ : إِنْ اللَّهُ يَخْلُقُ نَسَمَةً
وَأَخْلَصَ مَدْحِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
نَبِيٌّ أَقَامَ الدِّينَ وَالدِّينُ مَائِلٌ
وَأُرْصَى إِلَى خَيْرِ الرِّجَالِ ابْنُ عَمِّهِ
هُوَ الْبَدْرُ فِي هَيْجَاهِ بَدْرٍ وَغَيْرُهُ
وَكَمْ خَيْرٍ فِي خَيْرٍ قَدْ رُوِيَ
وَفِي أَحَدٍ وَلَى رِجَالٍ وَسَيْفُهُ
هُوَ الْحُجَّةُ الْعَلِيَا لِمَنْ يَتَسَدَّدُ
كَلَامٌ لَهُ فَانْظُرْ إِلَى أَيْنَ صَعَدُوا
وَقَدْ شَرَدُوا عَنْ دِينِنَا فَتَشَرَّدُوا
وَوَيْلًا لَهُمْ إِذْ كَايَدُوا فَتَهَوَّدُوا
خَشِيتُ جِبَالِ الْأَرْضِ مِنْهُ تَهَدَّدُ
لِيُشْتَمَ كَلّاً فَهُوَ أَعْلَى وَأَعْجَدُ
وَذَرِيَّةٌ مِنْهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
وَأَوْحَى قَنَاءَ الْكُفْرِ وَهِيَ تَشَدَّدُ
وَإِنْ نَاصَبَ الْأَعْدَاءِ فِيهِ فَمَا هُدُوا
فَرَانَصَهُ مِنْ ذِكْرِ السَّيْفِ تَرَعَدُ
وَالْكُنُكُمُ مِثْلُ النِّعَامِ تَشْرَدُ
يَسُودُ وَجْهَ الْكُفْرِ وَهُوَ مَسُودُ

وبازاء هذا الشعر المتضمن المتكلف الذي مرّت الشواهد عليه نجد للصاحب
من الشعر الجميل الرصين الرائع المعنى ، الصافي النبرات ، الحلواجرس ، ما تداولته

الرواة وسارت به الركبان ، وزهت به كتب الأدب العربي ، كقوله :

وشمعة قدّمت إلينا تجمع أوصاف كل صبّ

صفرة لون وذوب جسم وفيض دمع وحرّ قلب

وقوله :

رقّ الزجاج ورقّت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وقوله :

يا خاطراً يخطر في نيه ذكرك موقوف على خاطري

إن لم تكن أثر من ناظري عندي فلا تمتعت بالناظر

وقوله :

قال لي : إن رقيبى سيء الخلق فدأره

قلت : دعني وجهك الجنّة نمت حفّت بالمكاره

وقوله :

نصدّ أميمة لما رأت مشياً على عارضي قد فرش

فقلت لها : الشيب نقش الشبا ب فقالت : ألا ليته ما نقش

وقوله :

دعني عينك نحو الصبا دعاءاً تكرر في كل ساعة

فلولا - وحقك - عذر المشيد ب لقلت لعينيك : سمعاً وطاعة

وقوله :

وقائلة لم عرتك الهموم م وأمرك ممثّل في الأمم

فقلت : دعيني وما قد عرا فان الهموم بقدر الهمم

وقوله مخاطباً صديقاً له وقد أرسل له أحياناً يشكو فيها من ابتلائه
بداء النقرص :

عَنَانِي مِنْ أَلْهَمَ مَا قَدْ عَنَانِي	فَأَعْطَيْتَ صَرْفَ اللَّيَالِي عِنَانِي
أَلْفَتْ الدَّمُوعَ وَعَفَتْ أَلْهَجُو	عَ فَعِينَايَ عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ
لَسَقَمَ أَلْحَ عَلَى سَيِّدِ	بِهِ قَدْ غَفَرْتَ ذُنُوبَ الزَّمَانِ
أَحَاطَ بِرَجْلَيْهِ جَوْرًا عَلَيْهِ	هَ وَأَنَّى وَنَعْلَاهَا الْفَرْقَدَانِ
وَكَيْفَ سَطَا بِهَا وَاسْتَطَا	لِ وَأَرْضَ بِسَاطِهَا الْبَيْتِرَانِ

إلى أن يقول :

أَنْتَقِي بِالْأَمْسِ أَيْيَاتِهِ	تَعْلَلُ رُوحِي بِرُوحِ الْجَنَانِ
كَبُرْدُ الشَّبَابِ وَبَرْدُ الشَّرَا	بِ وَظِلُّ الْأَمَانِ وَنِيلُ الْأَمَانِي
وَعَهْدُ الصَّبَا وَنَسِيمُ الصَّبَا	وَصَفْوُ الدَّنَانِ وَرَجْعُ الْقِيَانِ
فَلَوْ أَنَّ أَلْفَاظَهَا جَسَمَتْ	لَكَانَتْ عَقُودُ نَحُورِ الْغَوَانِي

وبالانتباه إلى هنا نقف بالقلم فنختم هذه الدراسة المتواضعة برجاء أن
تكون وافية باعطاء صورة كافية للصاحب بن عباد وتاريخه الحافل وأثره
الكبير في دنيا السياسة والعلم والأدب العربي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين

فهرس الأعلام

الألف

- ابن الدارى ٥٦
- ابن الرومى ٢٤٣
- ابن الزبير ٢٢٧ و ٢٢٩
- ابن زكريا ١٩٢
- ابن سعدان ١٢٧ و ٢٥٨
- ابن سكره ١٣٠
- ابن سيرين ٤٩
- ابن الشحنة ٣١
- ابن شهر آشوب ٢٥ و ٧١ و ٢١١
- و ٢٥٠ و ٢٥١
- ابن عباس ١٥٧
- ابن عبد ربه ١٤٨
- ابن عبد كان ٤٨ و ٥٢
- ابن العماد الحنبلى ٥ و ٧ و ١٣ و ٢٤
- و ٣٠ و ٧٠ و ٢٤٩
- ابن العميد - أبو الفضل - ٧ و ٨ و ٩
- و ١٨ و ٢١ و ٥١ و ٥٧ و ٥٩
- و ٩٨ و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٢٧
- و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٩
- و ١٧٦ و ١٨٠ و ١٨١ و ٢٣٣
- و ٢٤٣ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠
- و ٢٦٢ و ٢٦٤
- ابن فارس - النحوى - ١٤١ و ١٤٢
- و ١٤٩ و ١٦٩ و ١٧٣ و ٢٥٠
- ابن القاشانى ١٢٩
- ابن قتيبة ١٤٥ و ١٧٩
- ابن قره ١٩٢
- ابن كثير ٥ و ٣٠ و ١٥٨
- ابن مجاهد ٤٩
- ابن المسيبى ٢٦٤
- ابن المعتز ١٧٩

- آدم منز ١٤ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٩٨
- آقا بزرك الطهرانى ١٣ و ١٤ و ٢٥
- و ٢٦ و ٢٧ و ٣١ و ٧١ و ٢١١
- و ٢٤٦ و ٢٥٠
- ابراهيم بن ابى محمود ١٥٩ و ٢٢٢
- ابراهيم الصولى ٤٨
- ابراهيم بن المرزبان ٢٧٠
- ابن ابى اصيبعة ١٩٢
- ابن ابى الحديد ٨١
- ابن ابى خالد ٤٩
- ابن ابى طى ٦٩
- ابن الأثير ١٩ و ٢٠ و ٣٠ و ١٢١
- و ١٤٨
- ابن بابك (يراجع ابو القاسم بن بابك)
- ابن البندارى ٣٧
- ابن تغرى بردى ٨ و ٩ و ٢١ و ٢٥
- و ٣٠
- ابن ثوابه ٤٨
- ابن جرير - الطبرى - ٤٩ و ١٤٣
- ابن الجوزى ٢١ و ٣١
- ابن حجاج ١٣٠
- ابن حجر ١٤ و ٢٥ و ٣١ و ٤٧ و ٧٢
- و ١٤٥
- ابن حجه ٢٠٣
- ابن حزام العكلى ٢٥٠
- ابن خلدون ٣١ و ١٥٣
- ابن خلكان ٥ و ٧ و ١٣ و ١٥ و ١٩
- و ٢٠ و ٢٤ و ٣٠ و ٢٤٨

- ابن نباته ١٣٠
- ابن النديم ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥١
- و ٢٥٨
- ابن نوبخت ٤٩
- ابن ولاد ٢٥٤
- ابن يزيد ٤٩
- ابو اسحاق بن حمزة ٢٠
- ابو اسحاق الصابى ٨ و ٩ و ٥٢
- و ١٢٩ و ٢٥٩
- ابو برده - الصحابى - ٢٤٢
- ابو بشر الجرجاني ٥٥
- ابو بكر ٨٥ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٩٠
- و ٢٤٦
- ابو بكر الاسكى ٧٣
- ابو بكر بن الأنبارى ٢٥٢
- ابو بكر الخوارزمى ١٦ و ١٩ و ٥٦
- و ٦٠ و ٦١ و ١٠٧ و ١٢٩ و ١٤٩
- و ٢٥٩
- ابو بكر بن دريد ٢٥٠
- ابو بكر بن شاهويه ١١٠
- ابو بكر بن كامل (يراجع أحمد بن كامل)
- ابو بكر بن مردويه ٢٠
- ابو بكر بن مقسم ١٧٣
- ابو تمام ١٧٩ و ١٨١ و ١٨٥
- ابو الثريا الشمشاطى ٢٤٥
- ابو جعفر الاسكافى ٤٩ و ٧٧
- ابو جعفر البلاذرى ١٩٢
- ابو الجهم بن عطية ١٩٠
- ابو الحجاج بن ظهير الدولة ١٢٤
- ابو الحسن البديهى ٥٨ و ١٢٩
- ابو الحسن البيهقى ٢٥ و ٢٦ و ١٢٩
- و ١٤٧
- ابو الحسن الجرجاني (يراجع على بن عبدالعزيز)
- ابو الحسن الجوهري ١٠ و ١٢٩
- ابو الحسن الحسنى ٣٦
- ابو الحسن الغويرى ٦٠ و ٦١ و ١٢٩
- ابو الحسن المنجم ١٧٦ و ٢٤٣
- ابو الحسن الهمداني ١٢٨
- ابو الحسين السلامى ٥ و ١٢٩
- ابو حفص الشهرزورى ١٢٩
- ابو حنيفة ٧٤ و ١٥٩
- ابو حيان التوحيدى ١٢ و ١٣ و ١٥
- و ١٧ و ١٨ و ٢٤ و ٢٦ و ٤١
- و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦
- و ٤٧ و ٤٨ و ٥٣ و ٥٦ و ٥٧
- و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٧٢
- و ٧٤ و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٨
- و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٤٢
- و ١٤٩ و ١٥٣ و ١٦١ و ١٦٥
- و ١٦٦ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥
- و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢٥٨ و ٢٦٣
- و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٩
- ابو دلف الخزر جى ١٢٩
- ابو دؤاد الأيادى ٢٤٣
- ابو الرجاء الضرير ٦
- ابو سعد الآبى ١٢٤ و ١٢٥
- ابو سعيد الرستمى ٥ و ١٦ و ١٧
- و ١٩ و ٣٦ و ١٢٩
- ابو سعيد السكرى ١٧٩
- ابو سعيد السيرافى ١٦٦ و ١٧٣
- و ١٧٤ و ١٧٥
- ابو سلمه الخلال ١٩٠
- ابو شجاع الروذرارى ٣٠ و ٣١
- و ١١٧ و ١٢٠
- ابو الشيخ ٢٠
- ابو الضياء الحمصى ٢٤٥
- ابو طالب بن عبدالمطلب ١٨٩
- ابو طالب العلوى ٥١ و ١٠٤

- ابن نباته ١٣٠
- ابن النديم ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥١
- و ٢٥٨
- ابن نوبخت ٤٩
- ابن ولاد ٢٥٤
- ابن يزيد ٤٩
- ابو اسحاق بن حمزة ٢٠
- ابو اسحاق الصابى ٨ و ٩ و ٥٢
- و ١٢٩ و ٢٥٩
- ابو برده - الصحابى - ٢٤٢
- ابو بشر الجرجاني ٥٥
- ابو بكر ٨٥ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٩٠
- و ٢٤٦
- ابو بكر الاسكى ٧٣
- ابو بكر بن الأنبارى ٢٥٢
- ابو بكر الخوارزمى ١٦ و ١٩ و ٥٦
- و ٦٠ و ٦١ و ١٠٧ و ١٢٩ و ١٤٩
- و ٢٥٩
- ابو بكر بن دريد ٢٥٠
- ابو بكر بن شاهويه ١١٠
- ابو بكر بن كامل (يراجع أحمد بن كامل)
- ابو بكر بن مردويه ٢٠
- ابو بكر بن مقسم ١٧٣
- ابو تمام ١٧٩ و ١٨١ و ١٨٥
- ابو الثريا الشمشاطى ٢٤٥
- ابو جعفر الاسكافى ٤٩ و ٧٧
- ابو جعفر البلاذرى ١٩٢
- ابو الجهم بن عطية ١٩٠
- ابو الحجاج بن ظهير الدولة ١٢٤
- ابو الحسن البديهى ٥٨ و ١٢٩
- ابو الحسن البيهقى ٢٥ و ٢٦ و ١٢٩
- و ١٤٧
- ابو الحسن الجرجاني (يراجع على بن عبدالعزيز)

- ابو القاسم بن ابى العلاء ٣٦ و ١٢٩
- ابو القاسم الاصبهاني ١١ و ٣٦
- ابو القاسم بن بابك ١٠ و ١٢٩
- ابو القاسم البلخي ٨٢ و ٨٣
- ابو القاسم الزعفراني ٦٢ و ١٢٩
- ابو القاسم القوبائي ٥ و ٢٤ و ٧١
- ابو محمد البوصري آبادي ٢٤٥
- ابو محمد الخازن ١٠ و ١٢٩ و ٢٤٥
- ابو محمد المهلبى ٢٤٣
- ابو مسلم الكجى ١٤٤
- ابو معمر الاسماعيلي ١٢٩
- ابو منصور الجرجاني ١٠
- ابو نصر بن خواشاده ١٢٦
- ابو نصر صاحب عضد الدولة ١٠٨
- ابو نعيم - الحافظ - ٥ و ١٤ و ١٩
- و ٢٠ و ٢٥ و ٣٠
- ابو هاشم بن الجبائي ١٨ و ٧٢ و ٧٣
- و ٨٣ و ١٤٦ و ١٦٧
- ابو هاشم العلوى ٥٣ و ٥٤ و ١٢٩
- ابو هاشم بن محمد بن الحنفية ٨٠
- ابو الهذيل العلاف ٨٣
- ابو يوسف ٤٩
- احمد بن ابى عبدالله ١٥٩
- احمد امين ٧٢ و ٢٥٩ و ٢٦١ و ٢٦٥
- احمد بن بويه (يراجع معز الدولة)
- احمد بن حنبل ٨٢
- احمد شلبى ١٨
- احمد بن فارس (يراجع ابن فارس)
- احمد بن كامل ١٤٣ و ١٤٤ و ١٧٣
- احمد بن نصر ٨٢
- احمد بن يحيى (يراجع ثعلب)
- ارسططاليس ٤٩ و ١٨٠ و ١٨٥
- اسحاق - المغنى - ٢٤٤
- اسفار بن شيرويه ٩٢
- الاسكافى (يراجع ابو جعفر الاسكافى)

- ابو طالب المأمونى ١٢٩
- ابو طالب النوبندجاني ٩٤
- ابو الطيب المتنبي (يراجع المتنبي)
- ابو العباس تاش ١٢٦
- ابو العباس الضبى ٣٥ و ١٢١ و ١٢٩
- و ٢٢٣ و ٢٦٨
- ابو العباس العلوى ٣٦
- ابو العباس الفيروزان ١٢٥
- ابو عبدالله البريدى ٩٦
- ابو عبدالله الحامدى ٢٤٥
- ابو العلاء الأسدى ٦٠ و ٦١ و ١٢٩
- ابو على الجبائي ١٦٦
- ابو على القاسم ١١٢
- ابو على القاشاني ٩٩
- ابو على القمى (يراجع العميد)
- ابو على المحسن التنوخى ١٠٩ و ١١٠
- ابو على بن مقله ٩٤
- ابو على الهائم ١١٠
- ابو عمرو الصباغ ١٤٥ و ١٤٦
- ابو عمرو بن العلاء ٤٩
- ابو عيسى بن المنجم ٤٩ و ٥٠
- ابو العيناء ٤٩ و ١٤٤
- ابو الغوث بن البحتري ١٧٦
- ابو الفتح بن العميد ١٠١ و ١٠٢
- و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٧ و ١٤٢
- ابو الفداء ٧ و ١٣ و ١٩ و ٢٤ و ٣٠
- و ٢٥١
- ابو الفرج الاصفهاني ١٤٨ و ١٨٠
- ابو الفرج بن ميسرة ٣٦
- ابو الفضل بن أحمد الشيرازى ١١٠
- ابو الفضل بن العميد (يراجع ابن العميد)
- ابو الفضل الهمداني ١٢٩
- ابو الفوارس بن عضد الدولة ١١٢
- ابو الفياض الطبرى ٣٦ و ١٢٩

التاء

- تاش (القائد) ٢٦٦
- التميمي الشاعر ١٧١

الثاء

- الثعالبي ١٣ و ١٤ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨
- و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ١٢٩ و ١٤٩
- و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢٢٣ و ٢٤٥
- و ٢٥٧
- ثعلب (احمد بن يحيى) ١٤٤ و ١٨٠

الجيـم

- الجاحظ ٤٩ و ٧٧
- جالينوس ١٩٣
- جبرئيل بن عبدالله ١٩٢
- جرجي زيدان ٢١٤
- جستان بن نوح ١٢٥
- جعفر بن أحمد البهلولى ٢٤٠
- جعفر بن حرب ٧٧
- جعفر الصادق (راجع الصادق - ع)
- جعفر بن محمد القرماني ١٩
- جهم بن صفوان ٨١ و ٨٢ و ٨٣

الحاء

- الحاتمي ١٨٠
- حاجي خليفة ٢١٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩
- و ٢٥٠ و ٢٥١
- الحر العاملي ٦٥ و ٧١
- الحسن بن بويه (يراجع ركن الدولة)
- حسن الصدر ١٣ و ١٤ و ٧١ و ١٩٩
- و ٢٤٨

- الاسكندري ١٤ و ٢٥ و ٢٥٩
- اسماء بنت ابي بكر ٢٢٩
- اسماعيل الشاشي ١٢٩
- الأشر - مالك - ١٨٤
- أشجع السلمى ٤٩
- الأصمعى ٢٥٠
- الأفروديسي ١٩٣
- الأفوه الأودي ٢٢٥
- البير نادر ٨٥ و ١٤٦
- ام أيمن ١٨٩
- امتياز على عرشي ٢٠٧ و ٢٠٨
- امير المؤمنين - ع - (يراجع على عليه السلام)
- الأميني (يراجع عبدالحسين الأميني)
- الأنباري ٢٥٢

الباء

- البحترى ٥٦ و ١٤٤ و ١٧٦ و ١٧٩
- و ١٨٢
- بدر بن حسنويه ١١٨
- البديع (يراجع بديع الزمان)
- بديع الزمان الهمداني ٦٥ و ١٤١
- و ٢٥٩
- البديهي (يراجع ابو الحسن البديهي)
- بروكلمان - المستشرق - ١٩٩ و ٢٠٢
- و ٢٠٧ و ٢١٤ و ٢١٨ و ٢٥٣
- برونله - المستشرق - ٢٥٣
- البستاني ١٤
- بقراط ١٩٣
- بهاء الدولة ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١
- بهاء الدين العاملي ٣١ و ٣٢ و ٧١
- بويه (ابو الملوك) ٩١
- البيهقي (يراجع ابو الحسن البيهقي)

الراء

- الراضى بالله ٩٤
- الرافعى القزوينى ٢٥ و ٢٧ و ٧٤
- الرستمى (يراجع ابو سعيد الرستمى)
- رسول الله -ص- ١٥٩ و ١٦٣ و ١٨٩
- و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٢٧ و ٢٢٩
- و ٢٤٢ و ٢٤٦ و ٢٤٧
- الرشيد - هارون - ١٢٩ و ٢٥٠
- الرضا - على (ع) - ٧٠ و ١٥٩
- و ٢٢٢
- ركن الدولة ١٨ و ١٩ و ٢١ و ٢٨
- و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨
- و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٣٩
- ريطة بنت عبيدالله ١٩٠

الزاي

- الزركلى ١٤ و ٣١ و ٢٠٧
- زكى مبارك ٢٥٩ و ٢٦١
- زيد بن حارثة ١٩٠

السين

- سعد بن عباد ٧٦
- السلامى (يراجع ابو الحسين السلامى)
- السماوى (يراجع محمد السماوى)
- السمعانى ١٢ و ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥
- و ٣٠ و ٣٢ و ١٥٨
- سنان بن أنس ٢٢٨
- سهل بن هارون ٤٩
- السيد المرتضى (يراجع المرتضى)
- السيرافى (يراجع ابو سعيد السيرافى)
- سيف الدولة ١٨٢ و ٢٤٤
- السيوطى ٥ و ٨ و ١٣ و ١٤ و ١٥

- الحسن بن عبد الرحمن ٢٠
- الحسن بن عبد الله السيرافى ١٤٣
- الحسن بن محمد بن سهلويه ١١٦
- الحسن بن محمد القمى ٢٠ و ٢٢
- و ١٤٩
- حسن بن وشمكير ١٢٤
- الحسين بن على - ع - ٢٢٧ و ٢٢٨
- و ٢٢٩
- الحسين بن على الفراس ١١٩
- الحسين بن محمد النجار ٨٣
- حسين النورى ٢٢١
- حفص بن سالم ٨١ و ٨٢ و ٨٣
- حمزه بن محمد الاصفهانى ٢٣٣
- حيدر بن وهسودان ١٢٥

الخاء

- خالد بن برمك ١٩٠
- خالد بن الهيثم ١٩٠
- خديجة - بنت خويلد - ١٨٩ و ١٩٠
- خسر فيروز بن ركن الدولة ١١٣
- و ١١٤
- الخليل - بن أحمد - ٤٩ و ١٧١
- الخليلي ٢٤ و ٢٦
- الخوارزمى (يراجع ابو بكر الخوارزمى)
- الخونسارى ٣٧ و ٧١ و ٢٤٨

الدال

- الدارقطنى ١٤٥
- الداوودى ١٤٨

الذال

- ذبيح الله صفا ٣١ و ٧٣ و ١٤٦

و ٢٢ و ٢٥ و ٣٠ و ١٣٠ و ١٤٨
و ١٧٣ .

الشين

• شرف الدولة ١١٨ .
• شرف الدين المازندراني ٢١١ و ٢٤٦ .
• الشريف الرضي ٣٦ و ٦٤ و ١٢٩ .
• شغلة - ام المطيع - ٢٢٨ .
• شكيب أرسلان ٣١ .
• الشماخ ٢٣٤ .
• شوقي ضيف ٧٣ و ٢١٨ و ٢٥٤ .
• ٢٦٠ و ٢٦١ .
• شهاب الدين النويري (يراجع النويري)
• الشهرستاني - عبد الكريم - ٨٥ .
• الشيخ المفيد ٧٠ و ٧٤ .
• شيرزاد الديلمي ٩٣ .
• شيرزيل بن سلار ١٢٥ .

الصاد

• الصابي (يراجع ابو اسحاق الصابي)
• صاحب بن مكانس ٢١٤ .
• الصادق - جعفر ع - ٨٠ و ١٥٩ .
• الصدر (يراجع حسن الصدر) .
• صريع الغواني ٤٩ .
• الصفدي ٧٢ .
• صمصام الدولة ١١٦ و ١٢٧ .

الطاء

• الطائع لله ١١٧ .
• الطهراني (يراجع آقا بزرك) .

العين

• عامر بن ظرب ٢٣١ .

• عامر بن فهيرة ١٩٠ .
• عباد بن أحمد ٥ و ٦ .
• عباد بن العباس ٥ و ٦ و ١٦ و ١٧ .
• ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ .
• ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٧٢ و ٩٨ .
• ٩٩ و ١٣٧ و ١٣٨ .
• عباس بن عباد ١٦ و ١٧ .
• عباس القمي ١٤ و ٣١ و ٧١ .
• العباس بن محمد ١٤٥ .
• عبد الجبار بن عبد الوهاب ١٩١ .
• عبد الجبار المعتزلي ٣٤ و ٥٧ و ٧٠ .
• ١٢٩ و ١٥٨ .
• عبد الحسين الأميني ٧١ و ٢٤٦ و ٢٥١ .
• عبد الحميد - الكاتب - ١٣٩ .
• عبد الرحيم العباسي ٥ و ٦ و ١٣ و ٢٤ .
• ٣٠ و ٦٥ و ٧٤ و ٢٥٣ .
• عبد الرزاق محي الدين ١٨ .
• عبد السلام المأموني ٧٤ .
• عبد العزيز الجواهري ٧١ .
• عبد العظيم الحسني ٧٧ و ١٥٩ و ١٨٩ .
• ١٩٠ و ١٩١ و ٢٢١ و ٢٢٢ .
• عبدالله بن ابراهيم اليميني ٢١٤ .
• عبدالله بن اريقط ١٩٠ .
• عبدالله بن اسحاق المعتزلي ٥١ .
• عبدالله بن جعفر بن فارس ١٤٥ .
• عبدالله السفاح ١٩٠ .
• عبد الوهاب عزام ٧٣ و ٧٩ و ٢١٨ .
• ٢٥٤ و ٢٦٠ .
• عبيد الله بن محمد اليزيدي ١٤٥ .
• عبيد الله بن موسى الروياني ١٥٩ و ٢٢٢ .
• عضد الدولة ٨ و ٩٧ و ١٠٠ و ١٠١ .
• ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ .
• ١١٥ و ٢٦٦ .
• علي - عليه السلام - ٧٠ و ٧٦ و ٨٠ .
• ٨١ و ٨٤ و ٨٥ و ١٥٧ و ١٦٣ و ١٩٠ .

- و ٢٠١ و ٣١٢ و ٢٢٨ و ٢٢٩
- و ٢٤٢ و ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٧٢ .
- على بن ابي هاشم الجبائي ١٤٦ .
- على بن أحمد بن الصباح ٢٥٠ .
- على بن أحمد - بن معصوم - ٢٠٧
- و ٢٠٨ و ٢٣٥ .
- على بن أنجب بن الساعي ٢٥٢ .
- على بن بويه (يراجع عماد الدولة) .
- على بن الحسين (يراجع المرتضى) .
- على بن الحسين السعدآبادي ١٥٩ .
- على بن طاووس ٢٤٢ .
- على بن عبدالعزيز الجرجاني ٥٥ و ١٢٩
- و ١٤٩ و ١٨٠ .
- على بن عيسى الرمانى ١٥٤ .
- على بن محمد - الهادي ع - ١٥٩ .
- على بن موسى (يراجع الرضا - ع -) .
- على بن هارون بن المنجم ٢٤٣ و ٢٤٤ .
- عماد الدولة ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥
- و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ .
- عمار بن ياسر ٢٤٧ .
- عمر - بن الخطاب - ٨٥ و ١٦٣
- و ١٦٤ و ٢٤٦ .
- عمرو بن بحر (يراجع الجاحظ) .
- عمرو بن العاص ١٦٣ .
- العميد - ابو على القمي - ١٧ و ٩٢
- و ٩٣ و ٩٨ و ١٣٩ .
- العميرى ١٠ .
- عوف بن الحسين الهمداني ٦٢ .
- عيسى - عليه السلام - ٢٤٧ .
- عيسى بن سمح ٧٧ .
- عيسى بن على ١٩٠ .

الفاء

- فائق ٢٦٦ .

- فاطمة الزهراء - ع - ٢٤٦ .
- فخر الدولة ١٩ و ٢١ و ٢٢ و ٣٣
- و ٣٤ و ٣٥ و ٧١ و ٩٧ و ١٠٨
- و ١٠٩ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣
- و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧
- و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١
- و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٨٧ و ٢٠٧
- و ٢٠٨ و ٢٠٩ .
- الفضل بن الحباب ١٩ .
- فولاذ بن مانادر ١٢٤ و ١٢٥ .

القاف

- قابوس بن وشمكير ١١١ و ١١٣ و ١١٥
- و ١٢٧ و ٢٦٦ .
- القاضي الفاضل ٢٦٠ .
- قدامة - بن جعفر - ١٧٩ .
- القفطى ٣٠ و ١٧٣ و ٢٣٥ و ٢٥٢ .
- القوبائى (يراجع ابو القاسم القوبائى)

الكاف

- كبات بن بلقاسم ١٢٥ .
- كثير بن احمد ٢١٦ .
- كسرى ٦٥ .
- الكندى ٤٩ .
- كيخسرو بن المرزبان ١٢٥ .

الميم

- المافروخي ٢٨ و ١٣١ .
- ماكان بن كالى ٩٢ .
- المأمون ٨٢ .
- المبرد ١٤٤ و ١٤٥ و ١٧٩ و ١٨٠ .
- المتنبى ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٢

- محمد بن يحيى المروزي ١٩
- محمد بن يزيد (يراجع المبرد)
- محمود بن سبكتكين ١٤٧
- المختار بن ابي عبيدة ٢٢٩
- المرتضى - علي بن الحسين - ٧٤ و ٨٠
- ١٦٦
- مرداويج بن زيار ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥
- ٩٦
- مسكويه ٩٩
- المطيع - العباسي - ٢٢٧ و ٢٢٨
- معاوية بن يزيد ٢٢٩
- المعتصم - العباسي - ٨٢
- المعز بن باديس ١٣٠
- معز الدولة ٩١ و ٩٤ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٩
- معن بن زائدة ٦٣
- المقدسي ٨٣
- مكي المنشد ٥٨ و ٥٩
- منوچهر بن قابوس ١٢٤ و ١٢٥
- موسى - الكاظم ع - ١٥٩ و ١٩١
- موسى - النبي ص - ١٥٧
- مؤيد الدولة ٨ و ٩ و ١٠ و ٩٧ و ٩٩
- ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣
- ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩
- ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥
- ١٢٦
- ميمون بن سهل الواسطي ١٢٨

النون

- النبي - ص - (يراجع رسول الله - ص -)
- نجاح الخادم ٤٥
- نجم الدين الكاتب ٨١
- نصر بن الحسن بن الفيروزان ١٢٥
- النظام ١٨ و ٧٢ و ٨٥

- ١٨٧ و ١٨٨ و ٢٠٣ و ٢١٠
- ٢٣٢ و ٢٣٣
- المتوكل ٨٢
- مجد الدولة بن فخر الدولة ١٤١
- مجيد موقر ٢٢٤
- محسن الأمين ١٣ و ٧١ و ٢١٤ و ٢١٥
- ٢٢٧
- محمد بن ابراهيم الزبيرى ٨٣
- محمد ابراهيم - الكلبي - ٣٧
- محمد بن اسماعيل - ابو علي - ٧١
- محمد الباقر - عليه السلام - ٨٠
- محمد باقر الخونساري (يراجع الخونساري)
- محمد باقر المجلسي ٧١
- محمد بن تركانشاه ٢٠٣
- محمد تقى المجلسي ٧٠
- محمد بن جرير الطبري (يراجع ابن جرير)
- محمد بن جعفر الديباج ١٣١
- محمد بن حبان المازني ١٩
- محمد بن الحسن بن مقسم ١٤٤
- محمد بن الحسين البهائي (يراجع بهاء الدين العامل)
- محمد بن الحسين الفارسي ١٢٦
- محمد بن الحنفية ٢٢٧ و ٢٢٩
- محمد ربيع الأردستاني ١٦ و ٣١ و ٣٢
- محمد السماوي ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٣٥
- ٢٣٦
- محمد الطهراني ١٩٩
- محمد بن عبد الوهاب ٧٧
- محمد بن علي - الجواد ع - ١٥٩
- محمد بن علي العارض ١١٣
- محمد بن علي الصدوق ٧٠ و ١٤٩
- محمد علي اليعقوبي ٢١٤ و ٢١٥
- محمد مندور ١٨٧ و ٢٠٩

• وهسودان بن محمد ٢٧٠ •

الياء

ياقوت الحموى ٨ و ٩ و ١٠ و ١٤
و ١٥ و ١٨ و ٢١ و ٢٢ و ٢٥
و ٢٨ و ٣٠ و ٤٥ و ٤٧ و ٥٦
و ٩٨ و ١٠٩ و ١٣٠ و ١٤٨
و ١٥٣ و ٢٠٢ و ٢١٧ و ٢٢٧
و ٢٣٥ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٤٩
و ٢٥١ و ٢٥٣ و ٢٥٤ •

• يحيى بن سعيد الأنصارى ١٩٠ •
• يحيى بن محمد بن صاعد ١٤٤ •
• يزيد - بن معاوية - ٢٢٨ و ٢٢٩ •
• يوحنا ٤٩ •

• نوح بن منصور ١٢٦ •

• نورالله المرعشى ٧١ •

• النويرى ١٢ و ١٤ و ٣٠ •

• النيسابورى ٣٦ •

الهاء

• الهادى كاشف الغطاء ٢٠٠ •

• هارون الرشيد (يراجع الرشيد) •

الواو

• الواثق - العباسى - ٨٢ •

• واصل بن عطاء ٨٠ و ٨٢ و ٨٣ •

• وشمكير بن زيار ٩٢ و ٩٣ و ٩٦ •

—٢٤٣—

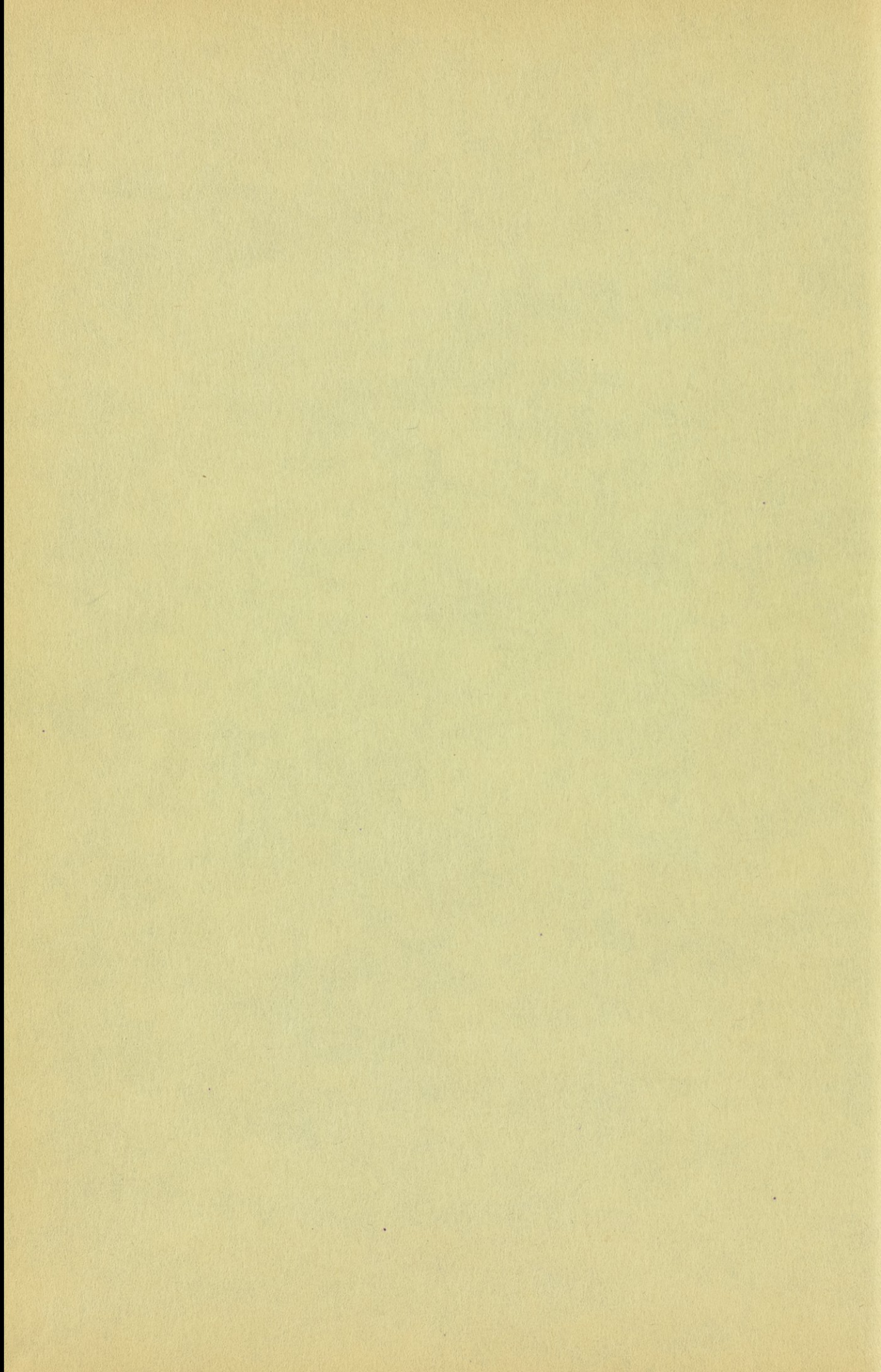
فهرس المراجع

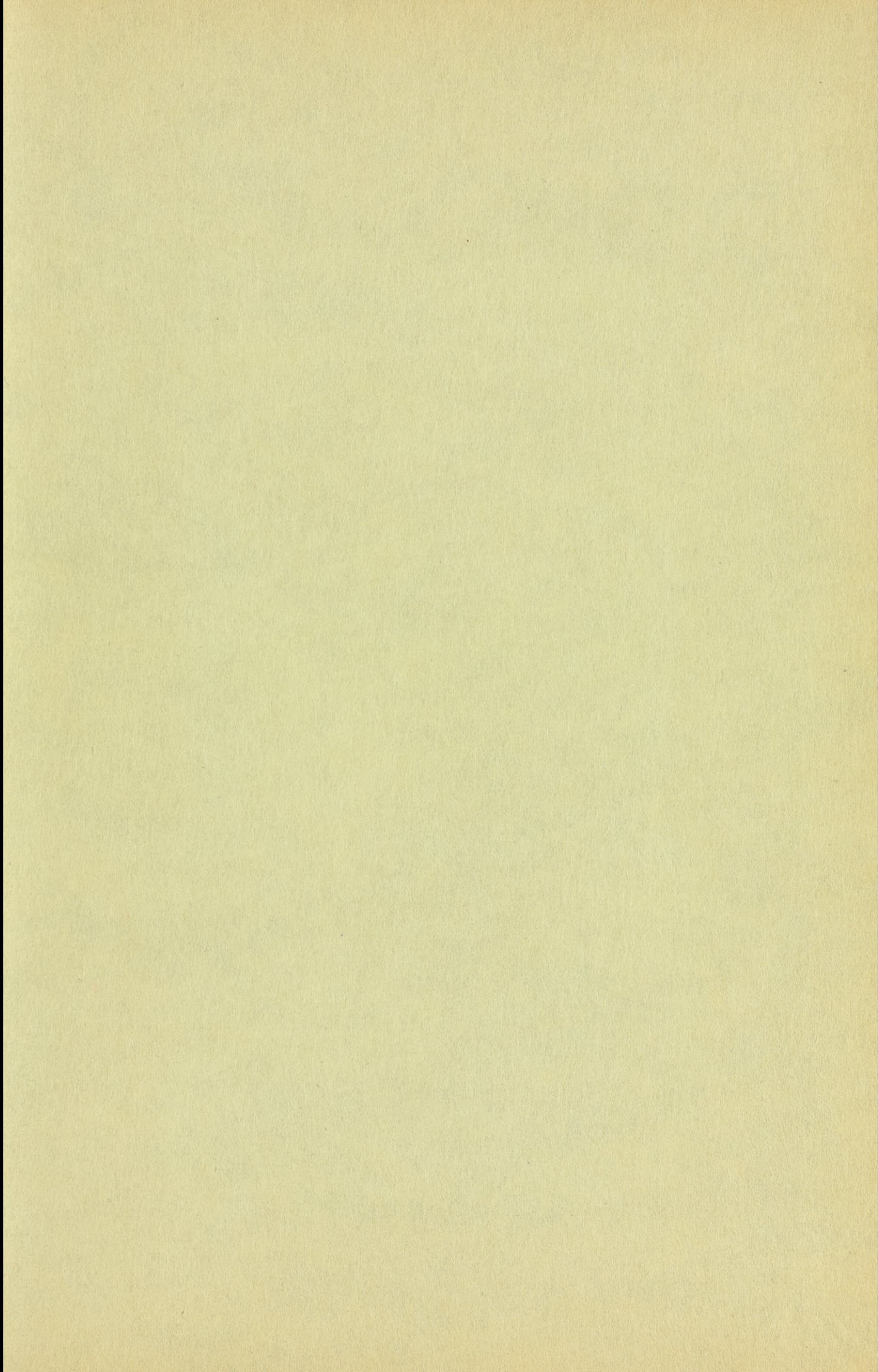
- | | |
|--------------------------|--------------------------------|
| ١ - آثار الشيعة الامامية | : عبدالعزيز الجواهرى « فارسى » |
| ٢ - الآداب السلطانية | : ابن الطقطقى |
| ٣ - الابانة | : الصاحب بن عباد |
| ٤ - ابن العميد | : خليل مردم |
| ٥ - أبو حيان التوحيدى | : عبدالرزاق محى الدين |
| ٦ - أحسن التقاسيم | : المقدسى |
| ٧ - أخبار اصبهان | : أبو نعيم |
| ٨ - الارشاد | : أبو القاسم القوبائى |
| ٩ - اصول النقد الأدبى | : أحمد الشايب |
| ١٠ - الأعلام | : الزركلى |
| ١١ - أعيان الشيعة | : محسن الأمين |
| ١٢ - الاقناع | : الصاحب بن عباد « مخطوط » |

١٣ - الامتاع والمؤانسة	: أبو حيان التوحيدي
١٤ - الأمثال السائرة	: صاحب بن عباد
١٥ - أمل الآمل	: الحر العامل
١٦ - انباء الرواة	: القفطي
١٧ - الأنساب	: السمعاني
١٨ - أنوار الربيع	: علي (خان) بن أحمد بن معصوم
١٩ - بحار الأنوار	: المجلسي
٢٠ - البداية والنهاية	: ابن كثير
٢١ - بغية الوعاة	: السيوطي
٢٢ - تاريخ آداب العرب	: مصطفى صادق الرافعي
٢٣ - تاريخ آداب اللغة العربية	: جرجي زيدان
٢٤ - تاريخ ابن الشحنة	:
٢٥ - تاريخ أبي الفدا	:
٢٦ - تاريخ الأدب العربي	: أحمد حسن الزيات
٢٧ - تاريخ الأدب العربي	: بروكلمان « بالألمانية »
٢٨ - تاريخ أدبيات إيران	: ذبيح الله صفا « فارسي »
٢٩ - تاريخ بغداد	: الخطيب البغدادي
٣٠ - تاريخ التربية الإسلامية	: أحمد شلبي
٣١ - تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري	: آدم متز « الترجمة العربية »
٣٢ - تاريخ قم	: الحسن القمي « فارسي »
٣٣ - تأسيس الشيعة	: حسن الصدر
٣٤ - تنمة المنتهى	: عباس القمي
٣٥ - تنمة اليتيمة	: الثعالبي
٣٦ - تجارب الأمم	: مسكويه
٣٧ - التذكرة	: صاحب بن عباد
٣٨ - ثقافة الهند	: مجلس الروابط الثقافية « مجلة »
٣٩ - الخطط والآثار	: المقرئ
٤٠ - دائرة المعارف	: البستاني
٤١ - دائرة المعارف الإسلامية	: لجنة من المستشرقين « الترجمة العربية »
٤٢ - ديوان الشريف الرضي	:
٤٣ - ديوان صاحب بن عباد	: « مخطوط »
٤٤ - الذريعة	: آقا بزرك الطهراني
٤٥ - ذيل تجارب الأمم	: أبو شجاع
٤٦ - الرجال	: أبو العباس النجاشي

٤٧ - الرسائل	: أبو اسحاق الصابى
٤٨ - الرسائل	: أبو بكر الخوارزمى
٤٩ - الرسائل	: الصاحب بن عباد
٥٠ - رسالة فى أحوال عبدالعظيم	: الصاحب بن عباد
٥١ - روضات الجنات	: الخونسارى
٥٢ - شذرات الذهب	: ابن العماد الحنبلى
٥٣ - شرح المنظومة الفريدة	: البهلولى « مخطوط »
٥٤ - الصاحبى	: ابن فارس
٥٥ - الظرائف واللطائف	: الثعالبى
٥٦ - ظهر الاسلام	: أحمد أمين
٥٧ - العبر - تاريخ -	: ابن خلدون
٥٨ - عمدة الطالب	: الداودى
٥٩ - عنوان المعارف	: الصاحب بن عباد
٦٠ - عيون أخبار الرضا	: الصدوق
٦١ - عيون الأنباء	: ابن أبى اصيبعة
٦٢ - الغدير	: عبدالحسين الأمينى
٦٣ - فرج المهموم	: ابن طاووس
٦٤ - الفرق بين الضاد والظاء	: الصاحب بن عباد « مخطوط »
٦٥ - فلسفة المعتزلة	: البير نصرى نادر
٦٦ - الفن ومذاهبه فى الشعر	: شوقى ضيف
٦٧ - الفن ومذاهبه فى النثر	: شوقى ضيف
٦٨ - الفهرست	: ابن النديم
٦٩ - الكامل فى التاريخ	: ابن الأثير
٧٠ - كشف الظنون	: حاجى خليفة
٧١ - الكشف عن مساوى شعر	: الصاحب بن عباد
المتنبى	
٧٢ - الكشكول	: بهاءالدين العاملى
٧٣ - كمال البلاغة	: قابوس بن وشمكير
٧٤ - الكنى والألقاب	: عباس القمى
٧٥ - اللباب	: ابن الأثير
٧٦ - لسان العرب	: ابن منظور
٧٧ - لسان الميزان	: ابن حجر
٧٨ - مجمع البحرين	: فخرالدين الطريحي
٧٩ - محاسن اصفهان	: المافروخى
٨٠ - المحيط	: الصاحب بن عباد « مخطوط »

٨١ -	المزهر	: السيوطي
٨٢ -	معالم العلماء	: ابن شهر آشوب
٨٣ -	معاهد التنصيص	: عبدالرحيم العباسي
٨٤ -	معجم الأدباء	: ياقوت الحموي
٨٥ -	معجم البلدان	: ياقوت الحموي
٨٦ -	المقتطف	: فؤاد صروف « مجلة »
٨٧ -	الملل والنحل	: الشهرستاني
٨٨ -	المنتظم	: ابن الجوزي
٨٩ -	منتهى المقال	: أبو علي محمد بن اسماعيل
٩٠ -	المنظومة الفريدة	: صاحب بن عباد « مخطوط »
٩١ -	المنية والأمل	: ابن المرتضى
٩٢ -	النثر الفني في القرن الرابع	: زكي مبارك
٩٣ -	النجوم الزاهرة	: ابن تغري بردي
٩٤ -	نزهة الألباء	: ابن الأنباري
٩٥ -	نفائس المخطوطات	: محمد حسن آل ياسين
٩٦ -	النقد المنهجي عند العرب	: محمد مندور
٩٧ -	نهاية الأرب	: النويري
٩٨ -	الهداية والضلالة	: صاحب بن عباد
٩٩ -	هدية الأحاب	: عباس القمي
١٠٠ -	هدية العارفين	: اسماعيل البغدادي
١٠١ -	الوساطة بين المتنبي وخصومه	: علي بن عبدالعزيز الجرجاني
١٠٢ -	الوسيط في الأدب العربي	: الاسكندري وصاحبه
١٠٣ -	وفيات الأعيان	: ابن خلكان
١٠٤ -	يتيمة الدهر	: الثعالبي
١٠٥ -	اليقين	: ابن طاووس





DATE DUE

MAY 31 2002

MAR 07 2004

SEP 20 2006

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0040270556

893.7Sa19

DA

Q 10171029

DEC 27 1965

